الأسرار الخفية
فى الحضارة الفرعونية

بكر محمد إبراهيم



الاسرار الخفية
فى الحضارة الفرعونية

بكر محمد إبراهيم

الناشر

مركز الراية للنشر والأعلام

اسم الكتاب : الاسرار الخفية

في الحضارة الفرعونية

بقلـــم . بكر محمد إبراهيم

الطبعة . الأولى ٢٠٠٤

الناشر : مركز الراية للنشر والأعلام

فكرة الكتاب : للناشر أحمد فكرى.

رقم الإيداع : ٥٥٨٢ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولي

I.S.B.N. : 977 - 354 -038 - 3

المقدمة

الحمد لله ولى الصالحين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أشهد أن لا إله إلا الله إله الأولين والآخرين

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين.

وبعـــد ،،،

فهذا الكتاب يتحدث عن الأسرار الخفية فى الحياة الفرعونية والتى لا يعلمها كثير من الناس .

يتحدث عن لغز حجر رشيد وترجمته ونصوصه فى اللغات المختلفة ، وتشكيك سليم حسن فى ترجمة شمبليون وعن فرعون موسى ، واليهود وفرعون وموسيقى الفراعنة والفنون الفرعونية بصفة عامة ونماذج من الحِكَم والأمثال عند الفراعنة وعبقرية الحضارة الفرعونية والمعمار والعمران وأسرار التحنيط.

ويتناول الكتاب أيضا الكلام عن الطب والصيدلة عند الفراعنة والأعياد المصرية الفرعونية مثل عيد شم النسيم وعيد وفاء النيل وعيد النيروز وبقاء هذه الأعياد فى مصر حتى الآن .

كما يتحدث عن قيام الحضارة فى وادى النيل وتاريخ مصر الفرعونية بكثير من التفاصيل وحياة الأمراء وحياة الشعب المصرى وبيت الفلاح المصرى والكهنة ومحاكمة الموتى والمعابد .

كما يتضمن الحديث عن الزراعة والحصاد وقصة الفلاح الفصيح والعدل والمحاكم والتجارة وصناعة السفن والقصص الأدبى والجيش والآثار الفرعونية واخناتوت والاسكندر الأكبر وبطليموس وحكمه مصر .

فهذا الكتاب يغطى قصة الحضارة المصرية والتاريخ الفرعونى متضمنا لكثير من أسرار هذه الحضارة ومقومات هذه الحضارة وهو يعد استكمالاً للجزء الأول والثانى من تاريخ الفراعنة ويعده الكتاب الرابع عن الفراعنة وهو عجائب الفراعنة .

نرجو أن نأخذ منه العبرة ولم بكثير من المعارف والمعلومات عن الحضارة الفرعونية وتاريخها وأسرارها وعجائبها .

نرجو أن يحوز القبول ، والحمد لله أولاً وآخراً .

المؤلف

بكر محمد إبراهيم بكر

لغز حجر رشيد

(مرسوم منف)(١)

جاء فى موسوعة مصر القديمة الجزء السادس عشر للدكتور "سليم حسن" عن مرسوم منف (حجر رشيد يحتوى مرسوم منف الذى عثر عليه فى رشيد على ثلاثة نصوص وهو النص الإغريقى والنص الديموطيقى (لغة الشعب) والنص الهيروغليفى أو الكتابة المصرية المقدسة، وقد كان المفهوم أن كل نص من هذه النصوص الثلاثة يعتبر ترجمة حرفية للآخر وهذا مخالف للحقيقة ويرجع السبب فى ذلك إلى أن لكل لغة من هذه اللغات مصطلحاتها وتعابيرها الخاصة بها، ومن أجل ذلك كان لزاما علينا أن نورد هنا ترجمة كل نص من هذه النصوص الثلاثة بقدر المستطاع.

النص المصرى القديم

١- التاريخ :

فى السنة التاسعة، الرابع من شهر قسندقس الذى يقابل شهر سكان مصر الثانى من فصل الشتاء، الثامن عشر منه فى عهد جلالة حور- رع الفتى الذى ظهر بمثابة ملك على عرش والده، (ممثل) السيدتين، عظيم القوة، والذى ثبت الأرضين ومن جمل مصر ومن قلبه محسن نحو الألهه -حور- المنتصر على - ست - ومن يجعل الحياة خضرة للناس وسيد أعياد سد مثل - بتاح تنن-، والملك مثل رع، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وارث الإلهين المحبين لوالدهما المختار من بتاح روح (كا رع القوية وصورة أمون الحية ابن رع (بطليموس معطى الحياة أبديا محبوب بتاح) الأله الظاهر سيد الطيبات ابن

(١) حقيقة اللغة المصرية القديمة ـ طارق عبد المعطى .

بطليموس وارسنوى - الإلهين المحبين لوالدهما عندما كان كاهن الإسكندر، والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما والإله الظاهر سيد الطيبات المسمى أيانوس بن أيانوس، وعندما كانت (برات) ابنه (بيلينس) حاملة هدية النصر أمام (برنيكى) المحسنة، وعندما كانت (آريات ابنة (دياجنس) حاملة الملة الذهبية أمام (ارسنوى) محبة أخيها، وعندما كانت (هرنات انبة بطليموس كاهنة (أرسنوى) التى تحب والدها.

٢- المقدمة :

فى هذا اليوم قرر المشرفون على المعابد، والكهنة خدام الإلهة . والكهنة السوريون والكهنة المطيرون الذين يدخلون فى المكان المقدس (قدس الأقداس) ليلبسوا الآلهة ملابسهم، وكتبة كتب الآلهة ورفاق بيت الحياة، والكهنة الآخرون الذين أتوا من شقى مصر نحو الجدار الأبيض(منف) لأجل أن يتسلم- فى عيد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين (بطليموس العائش أبديا منحبوب بتاح) الآله الظاهر رب الطيبات، مملكة والده وقد جمعوا أنفسهم فى معبد ميزان الأرضين وأعلنوا:

٣- الملك بو صفه محسن للمعابد المصرية وكذلك لجميع الناس بوجه خاص لجيشه أيضا:

ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وريث اللاهين اللذين يحبان والدهما الذى اختاره بتاح، وروح (كا) رع قوية وصورة "آمون" الحية) ابن رع (بطليموس العائش أبديا محبوب بتاح) الإله الظاهر، رب الطيبات ابن ملك الوجه القبلى والوجه البحرى بطليموس والأميرة سيدة الأرضين "ارستوى" والإلهين المحبين لوالدهما، الذى عمل كل الأشياء الطيبة والعظيمة (المديدة) فى أرض "حور" ولكل أولئك الذين كانوا فيها ولكل الناس الذين يوجدون تحت حكمة

الممتاز جميعا – أنه كان إلها وابن إله وأوجدته في العالم إلهة، فهو مثل "حور" بن أزيس وابن أوزير وهو الذى يحمى والده "أوزير"، وكذلك كان جلالته، قلبه محسنا نحو الآلهة وعلى ذلك أهدى من كثير الفضة وكثيرا من الحبوب لمعابد مصر وأعطى كثيرا من الأشياء الثمينة لأجل أن يهدى مصر ويجعل الشاطئين يمكثان وأعطى مكافآت للجنود الذين يعملون تحت سيادته.

٤- تخفيف الضرائب والعفو عن المذنبين :

كل الضرائب والجزية الخاصة بالأمراء ... وهى التى كانت تثقل عاتق مصر فانه خفض بعضها والأخرى ألغاها كلها(؟)، وعلى ذلك فإن الجنود والناس فى زمنه كانوا سعداء بحكمه. وكل المتأخرات التى كانت تثقل عاتق سكان مصر وكذلك (؟) كل الناس كانوا جميعا تحت حكمه الممتاز فإن جلالته قد نزل عنها بكثرة يخطؤها العد. وقد أفرج عن السجناء الذين كانوا في السجن وكذلك كل الناس ... الذين .

٥- تثبيت الدخل القديم للمعابد والضرائب التى كان يدفعها الكهنة:

وقد أمر جلالته بالآتى : أن ما يتعلق بقربان الآلهة وكذلك الفضة والحبوب التى كانت تعطى سنويا للمعبد وكل أشياء الآلهة من كروم وأراضى وبساتين وكل شيء يخصهم كانوا يملكونه فى عهد والده المبجل، يجب أن يترك ملكا لهم، وأمر كذلك أن ينزل عن الضريبة التى كانت تؤخذ من يد الكهنة، أكثر من الضرائب التى كانت تدفع فى عهد جلالة والده المبجل.

٦- الإعفاء من الرحلة السنوية إلى الاسكندرية ومن الخدمة البحرية . الإعفاء من توريد ثلثى الكتان الملكى :

وكذلك أعفى جلالته كهنة الساعة للمعابد من الرحلة التى كانوا يقومون بها إلى جدار الاسكندرية سنويا . وكذلك أمر بألا يجند البحارة.

ونزل جلالته عن (٢/٣) نسيج الكتان الملكى الذى كان يورد له من المعابد.

٧- إعادة السكينة الداخلية و ضمان العفو الشامل :

وكذلك إعادة جلالته استعمال كل الأشياء التى كانت منذ زمن طويل غير منظمة، إلى نظامها الحسن وقد كان مهتما جدا بكل الأشياء التى كانت تعمل عادة لمنفعة الآلهة، وكذلك عما ما هو حق للناس مثل ما فعل الإله تحوت المزدوج العظمة وأمر كذلك أن يترك بعد ذلك ... وعلى ذلك فإن ممتلكاته تبقى فى حوزته.

٨- حماية البلاد من الأعداء الأجانب :

وكذلك حمل هم إرسال مشاة وفرسان وسفن ضد أولئك الذين كانوا يأتون من المدن أو من البحر. ومنح فضة كثيرة وغلالا لأجل أن يهدأوا أراضى حور (المعابد) ومصر.

٩- قهر الثائرين فى ليكوبوليس:

وقد زحف جلالته نحو ... بواسطة الأعداء الذين كانوا فى داخلها، لأنهم عملوا أضرارا كثيرة في مصر.

ولقد تعدوا الطريق التى كان يحبها جلالته، والتى هى تصميم الآلهة.

وعلى ذلك فإنه سد كل القنوات التى تجرى فى هذه المدينة. ولم يعمل مثل ذلك بوساطة الملوك السابقين وقد أعطى فضة كثيرة من أجل ذلك. وعين جلالته مشاة فرسان على هذه الترع لحراستها وحمايتها (الباقى ترك).. عميقة جدا – وقد تغلب جلالته على هذه المدينة.

وأخضع الأعداء الذين كانوا فى داخلها وقد أوقع فيهم مذبحة عظيمة؟ كما فعل "رع" و"حور" بن "أزيس" مع عدوهما قبل ذلك فى هذا المكان.

١٠- معاقبة زعيم الثورة التى قامت على بطليموس فيلوباتور :

تأمل لقد جمع العدو الجنود وكان علي رأسهم وتخبطوا فى المقاطعات وضربوا أرض "حور" (المعابد وتعدوا طرق جلالته وطرق والده المبجل. وقد أمر الآلهة أن يقهروا فى منف فى العيد وهناك كذلك يتسلم مملكة والده. وقد قتلهم عندما طعنهم بالخشب؟.

١١- الإعفاء من الجزية المتأخرة و ضرائب المعابد :

وأن ما يستحقه جلالته من المعابد حتى العام التاسع .. فضه وغلال التى نزل عنها جلالته، وكذلك الكتان الملكى الذى يستحقه بيت الملك (الخزانة) من المعابد والفرق الذى كان قد قرر فعلا عما وردت حتى هذا الوقت وقد نزل عن أرادب الحنطة التى كانت تؤخذ من أرورات الآلهة وكذلك مكاييل النبيذ التى كانت تجبى من الكروم.

١٢- الإهتمام بالحيوان المقدس وعبادة الآلهة:

ولقد عمل طيبات كثيرة للعجل "أبيس" والعجل "منفيس" (من ور) وكل الحيوان الإلهى المقدس أكثر مما عمله الأجداد. واهتم قلبه بأحوالها فى كل لحظة. وقدم كل شيء طلب من أجل معيشتها بكثرة وبكرم. وأحضر كل ما

يطلب من أجل معابدها؟ فى ذلك العيد الكبير الذى قدم فيه الإنسان القربان المحروق والذى يقدم فيه قربان الشراب وكل شىء أعتيد عمله. والأمجاد التى فى المعابد وكل الأشياء العظيمة الخاصة بمصر فإن جلالته تركها تبقى على حالتها على حسب القانون. وقد منح يشرق فيه.

وقد أتم مقصورة المعبد ومائدة القربان من جديد فضة كثيرة وغلة وكل الأشياء لأجل بيت سكن "أبيس" الحى. وزينه جلالاته بشغل ممتاز من جديد.، وكان جميلا جدا. وقد ترك "أبيس" الحى للآلهة عندما كان قلب جلالته نحو الآلهة محسنا، وعلى ذلك اعتنى بالمعابد وجمالها، فجددها فى زمنه الحاكم الأوحد- ومكافأة على ذلك أعطته الآلهة والإلهات القوة والسلطان والحياة والعافية والصحة وكل الأشياء الطيبة جميعها فى حين كانت وظيفته الكبرى معه وأولاده أبديا.

٣ ١- عزم الكهنة على تمجيد الملك وأجداده :

بالحظ السعيد : لقد ذهب إلى قلب كهنة جميع معابد الوجه القبلى والوجه البحرى لإكثار أمجاد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (بطليموس العائش أبديا محبوب بتاح) الآله الظاهر، رب الجمال الذى فى أراضى حور (المعابد) ، وكذلك الخاصة بالإلهين المحبين لوالدهما الذين أوجداه والإلهين المحسنين اللذين أوجدوا ما عمله والإلهين الأخوين الذين أوجدوا ما فعله والإلهين المخلصين والدى من أنجبه.

٤ ١- إقامة مجموعة تماثيل للملك والآلهة المحليين فى كل المعابد وتمجيدها :

ويجب إقامة تمثال للملك "بطليموس" العائش أبديا والآله الظاهر الذى

أعماله جميلة، ويدعى "بطليموس" حامى مصر وترجمته "بطليموس" الذى يحمى مصر، وكذلك تمثال لآله المدينة (الإله املحى) وأن يمنح سيف النصر الملكى فى كلا الشائين (القطرين) فى كل محراب مشهور فى الردهة العامة للمعبد، من صناعة نحاتين مصريين. وعلى كهنة بيت الآله فى كل معبد من الذين عينوا بوجه خاص أن يتعبدوا لهذه التماثيل ثلاث مرات يومياً، وأن يضعوا أدوات المعبد أمامها. وأن تعمل كل تعليمات موافقة لها كما يفعل ذلك لآلهة المقاطعات فى عيد أول السنة وأيام الأعياد (و) الأيام الخاصة بها.

٥ ١- إقامة تمثال من الخشب للملك فى محراب من الذهب :

وكذلك يجب عليهم أن يصنعوا تمثالا مقدسا لملك الوجه القبلى والوجه البحرى "بطليموس"، الآله المشرق رب الجمال ابن ملك الوجه القبلى والوجه البحرى "بطليموس" والأميرة سيدة الأرضين "أرسنوى" والآلهين المحبين لوالدهما، ومعه محراب مقدس من المام (الذهب) ومرصع بكل الأحجار الكريمة فى كل المعابد المعينة بوجه خاص والتى توجد فى المدن المحترمة ومع محاريب آلهة المقاطعات-

وعندما يقام العيد الكبير وهو الذى يظهر فيه الآله فى محرابه المحترم ويخرج من بيته، فعندئذ يجب أن يظهر المحراب لهذا الآله الظاهر (وهو فيه) وعلى ذلك ينبغى أن يكون هذا المحراب من اليوم إلى أجل من السنين لاحد له معروفا به.

ويجب أن توضع عشرة تيجان لجلالته ويكون أمام كل واحد منها صل كما هو المتبع فى جميع صور التيجان،

وتوضع على المحاريب بدلا من الأصلال التى كانت قبل على المحاريب، وبذلك يكون التاج المزدوج فى وسطها، فى حين أن جلالته بذلك يكون مشرقا

فى بيت "بتاح" بعد أن يكون قد عمل له كل حفل لدخول الملك فى بيت الآله.

وعلى ذلك يتسلم وظيفته الكبرى. ويجب أن يوضع على الجانب الأعلى للمربع ؟ الذى خارج هذا التاج. وقبالة هذا التاج المزدوج نبات الوجه القبلى ونبات البردى للوجه البحرى. هذا ويجب أن يوضع نسر على سلة ونبات الوجه القبلى تحتها فى الركن الأيمن من هذا المحراب.

وكذلك يوضع صل على سلة وتحته ساق بردى على جانبه الأيسر ومعناه هو: أنه حامل التاج الذى أاء الوجه القبلى والوجه البحرى.

٦ ١- إقامة العيد على شرف الملك :

فلما كان يوم الثلاثون من الشهر الرابع من فصل الصيف هو يوم ولادة الإله الطيب العائش أبدياً، فإنه كان يعقد بمثابة عيد وحفل فى أراضي "حور" ـالمعابد)، وكان كذلك يعقد فى اليوم السابع عشر من الشهر الثانى من فصل الفيضان وهو الذى كان يعمل – فيه حفل تتويج الملك عندما كان الملك يتسلمه من والده (أى التاج) .

تأمل إن بداية جميع الأشياء العديدة الممتازة الخاصة بسكان الأرض هى ولادة الآله الطيب العائش أبديا وتسلمه وظيفته الممتازة، ويحتفل بها فى اليوم السابع عشر واليوم الثلاثين من كل شهر فى كل معابد مصر ويجب أن يقدم فيهما قربات محروقة وكذلك قربات سائلة، وكل شىء كان يعمل كما ينبغى أن يعمل فى الأعياد فى هذا العيد من كل شهر، وكل ما يقدم فى هذا العيد يجب أن يتناوله كل الناس الذين يقومون بخدماتهم فى المعبد.

ويجب على الإنسان أن يقيم عيدا وحفلا فى كل معابد مصر لملك الوجه القبلى والوجه البحرى "بطليموس" العائش أبديا محبوب بتاح الإله الظاهر سيد الجمال، سنويا من اليوم الأول من الشهر الأول من فصل الفيضان مدة خمسة

أيام عندما يكون على رأسهم إكليل، وموائد القربان يجب أن تمد بسخاء بكل شيء كما يليق.

١٧- اللقب الجديد لكهنة الملك :

وكهنة الملك في كل معبد من المعابد التي ذكرت بوجه خاص يجب أن يكونوا خداما للآله الظاهر سيد الجمال ويذكرون خارج وظائف الكهنة ويجب أن تكتب (الألقاب في مرسومهم) ويجب أن تنقش وظيفة كهنة الآله الظاهر سيد الجمال على الخاتم الذى فى أيديهم.

١٨- يجب كذلك على الأفراد العاديين أن يشتركوا فى تمجيد الملك :

تأمل يجب على الناس الذين يريدون منح صورة من هذه المقصورة للآله الظاهر أن يقيموها ويحفلوها فى بيوتهم كما يجب عليهم أن ينظموا هذا العيد والحفل فى كل شهر وفى كل سنة وبذلك يعلم أن سكان مصر قد مجدوا الإله الظاهر سيد الجمال كما ذكر أعلاه.

١٩- نشر المرسوم :

ويجب أن يحفر هذا المرسوم على لوحة من الحجر الصلب بكتابة من كلم الآله وبكتابة الرسائل وبالكتابة الإغريقية (ويجب على الإنسان) أن ينصبها فى المكان المقدس (المحراب) فى المعابد الخاصة المبينة من الدرجة الأولى والثانية والثالثة وذلك بجوار تمثال الوجه القبلى والوجه البحرى (بطليموس العائش أبديا محبوب بتاح) الإله الظاهر سيد الجمال.

النص الديموطيقى

١- التاريخ :

(السنة التاسعة الشهر الرابع قسندقس) وهو بالشهر المصرى الثامن عشر من الشهر الثانى من فصل الشتاء فى عهد الملك الشاب الذى ظهر ملكا على عرش والده، سيدنا تاج الصل، ومن شهرته عظيمة، ومن ثبت مصر عندما حررها، ومن قلبه محسن نحو الآلهة ومن يقف فى وجه أعدائه، ومن يجعل حياة الناس حرة.

والسيد الذى عيد السنوى مثل عيد "بتاح تتن" والملك مثل "فرع" (إله الشمس) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى بن الإلهين المحبين لوالدهما ومن اختاره "بتاح"، ومن منحه فرع النصر، وصورة فرع الحية، "بطليموس" العائش أبديا محبوب "بتاح"، والاله الظاهر صاحب الطيبات الجميلة، ابن "بطليموس" و"ارسنوى" الإلهان المحبان لوالدهما، حينما كان كاهن الإسكندر والإلهين المخلصين، (والإلهين الأخوين) والإلهين المحسنين والإلهين المحبين والدهما، والملك "بطليموس" الظاهر صاحب الطيبات الجميلة، هو "ايادوس" بن "ايادوس"، وحينما كانت "براً" ابنة "بيلينس" حاملة هدية النصر أمام "برنيكى" المحسنة، حينما كانت "ارباً" – ابنة "دياجنز" حاملة السلة الذهبية أمام "ارسنوى" محبة أخيها، وعندما كانت "هرانا" ابنة "بطليموس" كاهنة "ارسنوى" محبة والدها.

٢- مقدمة :

قرر فى هذا اليوم : أن الكهنة الإداريين، والكهنة خدمة الإله والكهنة الذين يذهبون إلى قدس الأقداس (أى الذين لهم حق الدخول فى قدس الأقداس) ويلبسون الآلهة، وكتبة أسفار الإله، وكتبة بيت الحياة، والكهنة الآخرين الذين أتوا

من معابد مصر إلى (منف) في عيد بطليموس العائش أبديا ومحبوب بتاح الإله المشرق صاحب الطيبات الجميلة، ومن تسلم وظيفة ملكة من يد والده، وهم الذين جمعوا أنفسهم فى بيت الإله فى منف وقالوا :

٣- الملك بو صفه محسن للمعابد المصرية و كذلك لجميع الناس وبوجه خاص لجيشه أيضا :

حدث أن الملك بطليموس العائش أبديا، والإله الظاهر صاحب الطيبات الجميلة (ابن) الملك بطليموس والملكة ارسنوى الإلهين المحبين لوالدهما، كان من واجباته أن يفعل طيبات كثيرة لمعابد مصر ولكل أولئك الذين تحت حكمه وذلك عندما أصبح إلها وابن إله وابن آلهة، لأنه كان مثل الآله حور، بن أزيس وزوزير، الذى حمى والده أوزير ولأن قلبه كان ممتازا نحو الآلهة (ومن ثم أعطى نقودا كثيرة وغلة كثيرة لمعابد مصر، وأنفق مصاريف كثيرة ليوجد الطمأنينة فى مصر ثانية، وليجعل المعابد تصبح فى نظام ثانية، وكذلك منح الأعطية لكل الجيش الذى كان تحت إمرته.

٤- تخفيف عبء الضرائب والعفو عن المذنبين :

فالضرائب والجزية التى كانت موجودة فى مصر قد خففت جزء منها وجزء آخر أعفى كلية وذلك ليجعل الجيش وكل الناس الآخرين يصبحون فى حالة حسنة. أما الأفراد المصريون الذين كانوا مدينين للملك وكذلك أولئك الذين تحت حكمه فقد نزل لهم عن باقى المبالغ التى كانت مستحقة عليهم وكانت كثيرة.

٥- تثبيت دخل المعابد القديم والضرائب القديمة :

وفيما يخص أملاك قربان الآلهة والفضة والغلال التى كانت فى يد الكهنة

سنويا وهى التى كانت تعطى للمعابد، وكذلك فيما يخص الجزء الذى يأتى إليها من الكروم والحدائق. وكل الأشياء الأخرى التى كانوا يملكونها فى عهد والده فإنها تبقى ملكا لهم. وكذلك أمر فيما يخص الكهنة ألا يدفعوا ضريبة الكهنة أكثر مما كانوا يدفعونه حتى السنة الأولى من حكم والده.

٦- الإعفاء من الرحلة السنوية إلى الإسكندرية، ومن الخدمة البحرية والإعفاء من توريد الكتان الملكى :

أعفى الأفراد الذين كانوا يشغلون وظائف فى المعبد من الرحلة التى كانوا يقومون بها سنويا إلى بيت الاسكندرية وأمر بالا يسخر بحارة.

ونزل عن (٢/٣) الكتان الملكى الذى كان يورد لبيت الملك من المعابد.

٧- إعادة السكينة فى داخل البلاد و ضمان عفو شامل :

وكل الأشياء التى كانت قد أهملت منذ زمن طويل قد وضعت فى موضعها الصحيح وذلك عندما كان يوجه كل إهتمام بأن يؤدي الإنسان ما كان معتادا أداؤه للآلهة بطريقة صحيحة وكذلك جعل للإنسان حق العدالة كما فعل تحوت المزدوج العظمة، وكذلك أمر فيما يخص العائدين إلى بلادهم من الجنود المحاربين وفيما يخص سائر أولئك الذين ضلوا السبيل خلال الاضطرابات التى كانت فى مصر أن يعودوا إلى أماكنهم ثانية وأن تبقى أملاكهم ملكا لهم.

٨- حماية البلاد من الأعداء الأجانب :

ولقد صرف كل عناية فى الحال ليجعل جنود المشاة والفرسان والسفن تصد كل من يأتى عن طريق البر والبحر لشن حرب على مصر. وقد أنفق من أجل ذلك مصاريف باهظة من الفضة والغلال، وبذلك جعل المعابد والناس الدين فى مصر يصبحون فى طمأنينة.

٩- قهر الثائرين فى ليكو بوليس :

وقد زحف على مدينة شكان التى كانت محصنة بكل الأعمال الممكنة لأنه كان يوجد بداخلها أسلحة كثيرة وكل معدات الحرب. وقد أحاط العدو الذى كان فى المدينة المذكورة بالجدران والسدود من جوانبها الخارجية. وهؤلاء كانوا قد ارتكبوا أوزارا كثيرة بالنسبة لمصر، وذلك لأنهم لم يعملوا على حسب أمر الملك أو أمر الآلهة، وقد سد (الملك) القناة التى تحمل المياه للمدينة المذكورة .

ولم يكن فى استطاعة الملوك السالفين أن يأتوا بمثل ما فعل. وقد أنفق نقودا كثيرة على ذلك. وأمر المشاة والفرسان أن يحرسوا القناة المذكورة وأن يتنبهوا لفيضان المياه (النيل) التى كانت مرتفعة فى السنة الثامنة، وذلك لأن القناة المذكورة التى كانت تجرى لرى حقول كثيرة جدا كانت منخفضة عنها.

وقد استولى الملك على المدينة المذكورة بالقوة فى زمن قصير، وقد حاصر الأعداء الذين كانوا فى الداخل وسلمهم للمقصلة ؟ مثل ما فعل رع وحور بن إزيس مع أولئك الذين قاموا فى وجههما من الأعداء قبل ذلك فى المكان المذكور.

١٠- معاقبة زعماء الثورة الذين قاموا على بطليموس الخامس:

أما الأعداء الذين جمعوا الجنود وقادوهم ليشيعوا فى المقاطعة الفوضي، وخربوا المعابد وكذلك الذين اعترضوا طريق الملك وولده، فإن الآلهة جعلتهم في قبضته فى منف، وذلك فى عيد تسليمه وظيفة ملك والده وقد جعلهم يضربون بالخشب؟ .

١١- الإعفاء من الجزية المتأخرة و ضريبة المعابد :

وقد نزل الملك عما كان مستحقا له من ضريبتي المعابد حتى السنة التاسعة (من حكمه) من مبالغ، وكان ذلك يبلغ مقدارا عظيما من الفضة

والغلال، وكذلك نزل عن قيمة النسيج الملكى الذى كان دينا على المعابد لبيت مال الملك، وكذلك التكملة لقطع النسيج التى لم تورد، وهى التى كانت تحسب فعلا حتى الوقت الذى أعلن فيه ذلك وأمر كذلك برفع أرادب القمح التى كانت تجنى على كل أرورا من الأراضى الخاصة بالقربات، وكذلك برفع كراميون من النبيذ عن كل أرورا من أرض الكروم الخاصة بملكية قربات الآلهة وأن يبعد عن ذلك.

٢ ١- الإهتمام بالحيوان المقدس وعبادة الآلهة التى كوفئ من أجلها الملك :

وأدى أعمالا طيبة كثيرة للعجل أبيس والعجل منيفيس (من ور) وكل الحيوانات المصرية المقدسة أكثر مما عمله سابقوه- وكان قلبه فى كل وقت مهتما بأحوالها ، وقدم كل ما يلزم لدفنها بسخاء واحترام، وأحضر ما تحتاج إليه معابدها فى الأعياد الكبيرة حيث تقدم أمامها القرابين المحروقة والقربات المماثلة وسائر ما هو لازم لها.

أما المكرمات الواجبة للمعابد والمكرمات الأخرى الخاصة بمصر قد جعلها تبقى كما هى حسب القانون. ومنح ذهبا وفضة وغلالا كثيرة وأشياء عدة أخرى لمقر العجل أبيس.

وأمر بإقامة العمل من جديد بما جعله عملا غاية فى الجمال. وأمر بإقامة معابد ومقاصير وموائد قربان من جديد للآلهة، وأمر بإقامة أخرى كما كانت عليه من قبل، فى حين أن جعل قلبه نحو الآلهة بمثابة إله محسن وسأل عن أمجاد المعابد بأن تجدد فى زمن حكمه على حسب ما يليق بها.

ولذلك فإن الآلهة منحوه النصر والشجاعة والقوة والعافية والصحة وكل الأشياء الأخرى الطيبة، فى حين أن يبقى سلطانه ثابتا له ولأولاده أبد الآبدين.

٣ ١- قرار الكهنة بتمجيد الملك وأجداده :

مع الحظ السعيد: لقد دخل فى قلب الكهنة أن يزيدوا –فى المعابد– الأمجاد الخاصة "ببطليموس" العائش أبديا الإله الظاهر صاحب اللذان أنجباه والتى عملها الإلهان المحسنان اللذان أوجدوا ما وجد له الأعمال الطيبة فى المعابد التى عملها الإلهان اللذان يحبان والدهما وهما التى عملها الإلهان الأخوان اللذان أوجدا ما أوجدا له والتى عملها الإلهان المخلصان وأباء أبائهما.

٤ ١- إقامة مجموعة من تماثيل للملك وللآلهة المحليين فى كل المعابد وتمجيدها :

ويجب أن يقام تمثال للملك "بطليموس" العائش أبديا، الآلهة الظاهر، صاحب الأعمال الطيبة وهو الذى يسمى "بطليموس" حامى مصر ومعنى ذلك "بطليموس" الذى يحمى مصر، مع تمثال إله المدينة، وفى يده سيف النصر فى المعبد وكذلك فى كل معبد فى الموضع البارز منه، على أن يعمل على حسب الطراز المصرى. وعلى الكهنة أن يقوموا للتماثيل بصلوات ثلاث يوميا فى كل معبد.

ويجب أن توضع أمامها أدوات المعبد، وأن يقوموا لها بأداء الأشياء الأخرى كما يجب، وكما كانت تعمل للآلهة الأخرى فى الأعياء والمواكب فى الأيام المذكورة.

٥ ١- إقامة تمثال من الخشب للملك فى داخل محراب من الذهب :

وكذلك يجب أن يظهر تمثال للملك "بطليموس" الآله الظاهر صاحب الأعمال الطيبة ابن "بطليموس" والملكة "ارسنوى" وكذلك للآلهين الذين يحبان

والدهما فى مقصورة من الذهب، وكذلك فى كل معبد. ويجب أن يوضع في قدس الأقداس مع المقاصير الأخرى المصنوعة من الذهب.

وعندما تقام الأعياد الكبيرة التى يظهر فيها الآلهة يجب أن تظهر فيها مقصورة الاله الظاهر صاحب الأعمال الطيبة. ولأجل أن تعرف المقصورة الآن وفى المستقبل يجب أن يوضع عليها عشرة تيجان من الذهب الخاصة بالملك.

يثبت عليها صل كما هى الحال فى التيجان التى على هيئة صل فى مقاصير أخرى، ولكن يوضع فى وسطها التاج المسمى "سنحمتى" (التاج المزدوج) وهو الذى يلبسه الملك عندما يظهر فى معبد منف عندما كان يقوم بما يجب أن يعمله عند تسلم مقاليد الحكم.

وسيوضع على السطح المربع حول التيجان بجانب التاج الذهبى المذكور بردية وبشنينة، كما ينبغى وضع نسر على سلة، وتحته على اليمين بشنينه في الغرب (أى على اليمين) فى الركن على المقصورة الذهبية. ويجب أن توضع سلة على بردية فى الشرق (على اليسار) ومعنى ذلك : الملك الذى جعل الوجهين القبلى والبحرى مضيئين.

١٦- إقامة عيد على شرف الملك :

واتفق أن اليوم الثلاثين من الشهر الرابع من فصل الصيف هو اليوم الذى ولد فيه الملك واحتفل فيه كذلك بولادته. ويعتبر عيدا، يحفل به دائما فى المعابد، وكذلك كانت الحال فى اليوم السابع عشر من الشهر الثانى من فصل الفيضان، وهو الذى كان يقام فيه الحفل بتسلم وظيفة الإمارة وكان فعلا بداية الشيئ الطيب الذى يشترك فيه الناس أى يوم ولادة الملك ويوم تسلمه الملك.

وعلى ذلك يكون هذان اليومان أى يوم ١٧ ويوم ٣٠ من كل شهر هما باستمرار عيدين فى كل معابد مصر. ويجب أن تقدم فيهما القربات المحروقة

والقربات السائلة كما هو متبع فى الأعياد الأخرى فى كل من العيدين شهريا .

وما يقدم قربات يجب أن يكون قاصرا على الذين يخدمون فى المعبد ويجب أن يحفل بعيد وبوليمة فى المعابد فى مصر الطيبة على التوالى سنويا فى اليوم الأول من الشهر الأول من فصل قاطبة للملك "بطليموس" العائش أبديا الإله الظاهر صاحب الأعمال الفيضان لمدة خمسة أيام يتوج فى خلالها بالأكاليل وتقدم له القربات المحروقة والقربات السائلة والأشياء الأخرى اللائقة.

١٧- لقب جديد لكهنة الملك :

وكهنة المعابد المميزون خاصة فى كل معبد وهم الذين يجب أن يكونوا خداما للآله الظاهر صاحب الطيبات الحسنة تقيد أسماؤهم بعد أسماء الكهنة الأخرين. ويجب أن يكتب لقبهم فى كل الوثائق الرسمية، ويجب أن تحفر وظيفة كاهن الآله الظاهر صاحب الطيبات الحسنة على أختامهم.

١٨- يجب كذلك على الأفراد العاديين أن يعلنوا الأمجاد المذكورة أعلاه:

وينبغى السماح كذلك للأفراد العاديين لمن أراد منهم أن يظهر صورة المحراب الذهبى المذكور أعلاه للآله الظاهر صاحب الطيبات الحسنة فيجعلونها توضع فى بيوتهم، وكذلك ينبغى لهم أن يقيموا الأعياء والولائم التى وصفت أعلاه (فى كل شهر) وفى كل سنة وبذلك يمجدون - أهل مصر- الإله الظاهر صاحب الطيبات الحسنة كما هو المتبع عمله.

١٩- نشر المرسوم :

وينبغى أن ينقش هذا المرسوم على لوحة من الحجر الصلب بالخط الهيروغليفى وبكتابة الرسائل (الديموطيقى) وبالخط الأيونى فى المعابد التى من الدرجات الأولى والثانية والثالثة بجوار تمثال الإله الملك العائش أبديا .

النص الإغريقى

فى حكم الواحد الصغير (الملك) الذى تسلم ملكه من والده سيد التيجان، الفاخر الذى ثبت مصر، والتقى نحو الآلهة، والمتفوق على أعدائه، ومن أصلح الحياة المتحضرة للإنسان، سيد الأعياد الثلاثينية (حب سد) وهو مثل "هفايستوس" العظيم (الإله بتاح الذى وحده الإغريق بآلههم" هفايستوس") وهو ملك مثل الشمس (رع)، الملك العظيم للوجهين القبلى والبحرى، نسل الإلهين "فيلوباتور"، ومن وافق عليه "هفايستوس" - يشير هنا إلى الزيارة المقدسة التى زارها الملك لقدس الأقداس بمعبد بتاح عند حفلة التتويج) ومن منحته الشمس النصر (يقصد هنا الإله رع والصورة الحية للإله زيوس (لإله آمون عند المصريين) ابن الشمس "رع" (بطليموس العائش أبديا محبوب بتاح). فى العام التاسع عندما كان "ايتوس" ابن "أيتوس" كاهن الإسكندر والإلهين المخلصين "سوترس" والإلهين المتحابين، والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لولداهما، والإله "ابيقاتس أيو كرستوع"، وحينما كانت "بيرها" ابنة "فيلينوس" الكاهنة حاملة هدية النصر "لبرنيكى" المحسنة، وعندما كانت "آريا" اينة جيوجنيز الكاهنة حاملة السلة الذهبية للملكة "ارسنوى" محبة أخيها.

وعندما كانت "ارن" ابنة بطليموس كاهنة "ارسنوى" محبة أبيها، فى الرابع من شهر "كسانديكوس" وعلي حسب (التاريخ المصرى يكون الثامن عشر من أمشير).

مرسوم:

إن رؤساء الكهنة خدمة الآله، وأولئك الذين في المحراب الداخلى(=قدس الأقداس) لألباس الآلهة وحاملى الريش والكتاب المقدسين، وكل الكهنة الآخرين الذين آتوا معا للملك من المعابد التى فى أنحاء البلاد إلى "منف" من أجل عيد

تسلمه الملك، وهو عيد بطليموس العائش أبد يا محبوب بتاح والإله "ابيفاتس" (الظاهر) "ايوكاريستوس" (الذى أشياؤه الطيبة حسنة) الذى تسلمه من والده، قد اجتمعوا فى المعبد بمنف فى هذا اليوم وأعلنوا :

لما كان الملك "بطليموس" العائش أبديا محبوب "بتاح الإله "ابيفاتس يوكاريستوس" بن الملك "بطليموس" والملكة "ارسنوى" (الثالثة الإلهين المحبين لوالدهما، قد أفاد كثيرا المعابد والذين يسكنونها، وكذلك أولئك الذين هم رعاياه بوصفه ملك انحدر من إله وإلهة (مثل "حور بن "إزيس" و"أوزير" الذى انتقم لوالده "أوزير") وبوصفه يميل بالإحسان نحو الآلهة، فإنه قد أهدى المعابد دخلا من المال والغلال وقام بمصاريف كثيرة ليجعل مصر فى فلاح، ولتأسيس المعابد.

وكان كريما بكل موارده وبالدخل والضرائب التى كان يجنيها من مصر. فقد نزل عن بعضها قاطبة وخفف بعضها، وذلك لأجل أن يصبح فى استطاعة الناس (يقصد المصريين الأصليين) وجميع الباقين (يقصد المقدونين) والإغريق والأسيويين الذين يسكنون البلاد المصرية فى سعادة مدة حكمه . وقد نزل عن جميع ديون التاج التى كانت دينا له فى مصر وسائر نواته، وكانت كثيرة العدد.

وكذلك أعفى أولئك الذين كانوا فى السجون والمتهمين منذ أمد طويل زمن التهم التى نسبت إليهم . وقد أمر بأن يبقى دخل المعابد وكل الهبات السنوية التى تمنح لها من الغلال والمال وكذلك النصيب الخاص بالآلهة من النبيذ والأرض والحدائق وأملاك الآلهة الأخرى فى حوزتهم كما كانت فى زمن والده.

وكذلك وصى فيما يخص الكهنة بألا يدفعوا ضريبة التدشين أكثر مما كان مقررا عليهم زمن والده وحتى السنة الأولى من حكمه، وأعفي أعضاء الطوائف المقدسة من السفر سنويا فى النهر إلى الاسكندرية، وأوصى بأن الخدمة فى الأسطول لايكون لها وجود بعد .

وأن ضريبة نسيج الكتان الملكى التى تدفعها المعابد للتاج تخفض بمقدار الثلثين، وكذلك أية أشياء مهما كانت قى أهملت فى الأزمان فإنها قد أعيدت إلى حالتها الطبيعية، على أن تكون هناك عناية بكيفية دفع الضرائب التقليدية للإلهة.

وكذلك فإنه وزع العدالة مثل ما فع "هورميس" (تحوت) المزدوج العظمة، وكذلك أمر بأن أولئك الذين عادوا من طائفة المحاربين وسائر أولئك الذين ضلوا السبيل فى ولاتهم فى زمن الاضطرابات يجب عند عودتهم أن يحتلوا أملاكهم القديمة.

وذلك على شرط أن الفرسان والمشاة وكذلك السفن يجب أن يرسلوا على أولئك الذين يهاجمون مصر بحرا وبرا ويخضعوهم لغرامة عظيمة من المال والغلة، لأجل أن تكون المعابد وكل ماهو فى البلاد يصبح فى أمان (المقصود بالذين يهاجمون مصر هذا هم السليوكيون الذين على رأسهم "التيوكوس الثالث).

هذا وكان الملك قد زحف علي "ليكوبوليس" الواقعة فى المقاطعة البوصيرية (المقاطعة التاسعة من مقاطعات الوجه البحرى) وهى التى كانت قد احتلت وحصنت لمقاومة حصار مجهز بمستودعات أسلحة وبكل الموارد الأخرى.

ولما رأى أن أمد العصيان كان طويلا بين الرجال الكفرة المتجمعين فيها، وهم الذين كانوا قد ألحقوا ضررا بالغا بالمعابد وبكل سكان مصر، فإنه بعد أن عسكر أمامها أحاطها بالتلال والخنادق والتحصينات المنيعة، ولكن لما كان النيل قد ارتفع ارتفاعا عظيما فى السنة الثامنة (من حكمه) وقد كان في العادة يفيض على السهول فإنه منعه وذلك بسده عند نقط عدة عند فتحات مجارى المياه.

وقد أنفق على ذلك مبلغا من المال ليس بالقليل هذا وقد أقام على حراستها فرسانا ومشاة (يقصد هنا أما السدود وإما جيشه الذى وضعه ليحاصر الثوار بعد أن حجز الفيضان بعيدا وكان الثوار أملوا أن يرفع فيضان النيل الحصار).

وفى الحال استولى على البلدة بالهجوم وقضى على كل الرجال الكفرة الذين كانوا فيها، وذلك مثلما أخضع سابقا "هرميس" و"حور" بن "ازيس" و"اوزير" العصاة فى نفس الإقليم.

أما مضللوا العصاة فى زمن والده وهم الذين عاثوا فى الأرض فسادا وألحقوا أضرارا بالمعابد، فإن هؤلاء عندما أتى إلى "منف" عاقبهم انتقاما لوالده ولبلاده بما يستحقون عندما وصل إلى هناك ليؤدى الأحفال اللازمة لتسلمه التاج.

وقد نزل عما كان يستحقه التاج من المعابد حتى العام الثامن (من حكمه)، ولم يكن هذا بالقدر الصغير من الغلال والمال، وكذلك الغرامات عن نسيج الكتال الملكى الذى لم يورد التاج، وكذلك الغرامات عن تكاليف تحقيق ما قد ورد لنفس المدة.

وكذلك أعفى المعابد من ضريبة أردب عن أرورا من الأرض المقدمة وجرة النبيذ عن كل أرورا من أرض الكروم، أما كان العجلان "أبيس" و"منفيس" فإنه منحهما هبات كثيرة وكذلك الحيوانات الأخرى المقدسة فى مصر أكثر مما منحه أى ملك آخر قبله.

هذا مع تقدير ما كانت تملكه (الإلهه) من كل وجه. وقد أعطى لدفنها ما هو مناسب بسخاء وفخامة، وكذلك ما كان بدفع بصفة منتظمة لمحاربهم على أمجاد المعابد ومصر على حسب القوانين. وكذلك زخرف معبد "أبيس" بالأشغال الثمينة منفقا عليه الذهب والفضة والأحجار الثمينة مبلغا ليس بالقليل. وأسس

معابد ومحاريب وموائد قربان، كما أصلح ما يحتاج إلى إصلاح، بروح إله محسن فى الشؤون الخاصة بالدين، وقد كشف عن أشرف المعابد (أو المواقع) وجددها فى مدة ملكه كما كان يليق. ومكافأت لكل هذه الأشياء منحته الآلهة الصحة، والنصر والقوة وجميع الأشياء الطيبة الأخرى، وملكه يكون باق له ولأولاده أبديا مع الحظ المواتى : لقد وجد من الخير على كهنة جميع المعابد فى البلاد أن يزيدوا كثيرا ما هو موجود من أمجاد الملك "بطليموس" العائش أبدياً، محبوب بتاح الإله "ابيفانس"- يوكارستوس وكذلك أمجاد أبويه الإلهين فيلوباتور، وأجداده الإلهين أيرجيتيس، والإلهين "أأدلفوس" والإلهين "سوترس"، وأن يقيموا للملك "بطليموس " العائش أبديا، محبوب بتاح ، الإله "ابيفاتس- يوكارسنوس"، تمثالا فى أبرز مكان من كل معبد رسيسمى (تمثال) "بطليموس" المنتقم لمصر، وبجانبه سيقام تمثال الإله الرئيسى للمعبد وفى يده رمز النصر الذى سيصنع على حسب الطراز (المصرى).

(١) وأن الكهنة سيقدمون تحياتهم للتماثيل ثلاث مرات يوميا وكذلك يضعون عليها الزينة المقدسة (أى يلبسونها) ويؤدون الأمجاد الأخرى العادية، كما تؤدى للآلهة الأخرين فى الأعياد المصرية، وأن يقام للملك "بطليموس" الإله "ابيفانس- يوكاريستوس" "المتناسل من الملك "بطليموس" والملكة "ارسنوى" الإلهين المحبين لوالدهما، تمثالا ومحرابا من الذهب فى كل من المعابد.

على أن ينصب فى الحجرة الداخلية (قدس الأقداس) مع المحاريب الأخرى، وفى الأعياد العظيمة التى تحمل فيها المحاريب فى موكب سيحمل محراب الإله "ابيفاتس - يوكاريستوس" فى الموكب معها.

ولأجل أن يكون مميزا عنها الآن وإلى الأبد فإنه سيوضع على المحراب عشرة التيجان الذهبية الخاصة بالملك وهى التى سيوضع عليها صل كما هى الحال فى التيجان التى على شكل صل وهى التى توجد على محارب أخرى.

ولكن سيوضع فى وسطها التاج المسمى سخمنت (التاج المزدوج) وهو الذى لبسه عندما ذهب إلى معبد "منف" ليؤدى فيه أحتفال تسلم الملك . وسيوضع على سطح المربع الذى حول التيجان بجانب التاج السالف الذكر تعاويذ ذهبية (وسينقش عليها أنه محراب الملك الذى يجعل الوجه القبلى والوجه البحرى مشرقين (أو ظاهرين).

ولما كان اليوم الثلاثون من شهر "مسرى" وهو الذي احتفل فيه بيوم ميلاد الملك وكذلك اليوم ١٧ من شهر بابه وهو اليوم الذي تسلم فيه الملك من والده ، فإنهما قد اعتبرا أسماء أيام فى المعابد. ولما كانا مناسبتين لرحمات عظيمة، فإنه سيقام عيد فى المعابد فى كل مصر فى هذين اليومين من كل شهر.

وسيكون فيهما أضاحى وقربات سائلة، وكذلك كل الأحفال المعتادة فى كل الأعياد الأخرى وسيقام عيد للملك "بطليموس" العائش أبديا محبوب "بتاح" الإله "ابيفانس - يوكاريستوس"، سنويا فى كل معابد البلاد من أول شهر توت لمدة خمس أيام. وسترتدى فيها كل أكاليل وتؤدى أضاحى والتزامات أخرى عادية.

وسيدعى كهنة الآلهة الآخرين كهنة الإله "ابيفانس - يوكاريستوس" بالإضافة إلى أسماء الآلهة الأخريين الذين يقومون بخدمتهم. وستدون فى الوثائق الرسمية طائفة كاهنته، (وتحفر على الخواتم التى يلبسونها).

وسيسمح للأفراد العاديين أن يقيموا العيد ويقيموا كذلك المحراب السالف الذكر ويكون عندهم فى بيوتهم، ويؤدون الإحترامات المعتادة فى الأعياد شهريا وسنويا، وذلك لأجل أن يكون معروفا للكل أن رجال مصر يعظمون ويمجدون الملك "ابيفانس يوكاريستوس" على حسب القانون.

وهذا المرسم سيدون على لوحة من الحجر الصلب بالأحرف المقدسة والوطنية والإغريقية ويقام فى كل المعابدالتى من الدرجة الأولى والثانية والثالثة عند تمثال الملك العائش أبديا.

سليم حسن يشكك

فى ترجمة شامبليون

وبعد قراءتنا للترجمة الكاملة للنصوص الثلاثة فى موسوعة مصر القديمة نتبين الآتى :

١- بشهادة الدكتور سليم حسن أن الترجمة في الثلاث لغات غير متطابقة رغم أن المعروف على مستوى العالم أن "شامبليون" كان يعرف الإغريقية وبناء عليه استطاع أن يترجم الهيروغليفية المكتوبة على الحجر بنفس النص الإغريقى على حد قوله.

٢- رغم الخطأ الذي أوضحه د. سليم حسن يلحظ أنه من بداية السطر الأربعين فى المتن الإغريقى أن الكسر فى اللوحة من الجهة اليمنى قد أصبح كبيرا مما أتلف المتن بعض الشيء ومن ثم أصبحت قراءة بعض الكلمات غير مؤكدة. وعلى ذلك فقد لعب التخمين دورا فى ملئها وأصبح المعنى ليس مؤكدا نتيجة لذلك .

٣- "هيرودت" الذي زار مصر فترة أبسمتك الأول لم يستطيع فهم اللغة المصرية القديمة بسبب تغير اللغة من فترة الأسرة الـ (٢٥ ق.م) وكانت كل أحاديثه عن مصر مجرد روايات قال أو (زعم) أنه سمعها من الكهنة رغم تعارض معظم الباحثين والمكتشفين على رواياته.

٤- القسيس "ماتيتون" الذى ترجم اللغة المصرية القديمة إلى اليونانية كان فى عصر "بطليموس الثانى" ولم يعاصر "بطليموس الخامس" لكى يترجم لغة مصر القديمة التى عجز "الإسكندر" عن فهمها.

٥- "بطليموس الثانى" الذى اجتهد فى استكشاف منبع النيل وأرسل لذلك

حملة إرساليات واشتكشف أيضا السودان والنوبة وجنوب بلاد (مرو) وقد جدد عملية حفر ترعة السويس كان له الفضل فى تدوين تاريخ الأسر المصرية القديمة عن طريق "مانيتو" وقد ترجمت التوراة بالترجمة السبعينية المشهورة فى عصره فى حين أن المرسوم ترجم بعد ذلك بفترة كبيرة.

٦- كان "نون النون" المصرى (رائد الصوفية) موجودا فى عصر "المأمون العباسى" والذي كان حريصا على انتشار الترجمات من اللغات المختلفة إلي اللغة العربية، و"نو النون" المصرى كان على دراية كبيرة باللغة المصرية القديمة، ومن هنا نجد أن ترجمة مرسوم منف بالقراءة التى ابتدعها شامبليون وهم عاش فيه العالم منذ (٢٠٠سنة) تقريبا !!!

٨- الأديان السماوية تشهد على خطأ شامبليون :

١- من المفروض أن سيدنا إبراهيم - عليه السلام - زار أرض مصر لماذا لم نجد إسمه مكتوبا طبقا لترجمة "شامبليون"؟

ومعروف أن حاكم مصر رحب به حين ذاك هو وزوجته السيدة سارة بدليل أنه أهداه السيدة "هاجر" المصرية.

رغم ما قيل عن السيدة "هاجر" أنها كانت ابنة ملك مصر حين ذاك وأقاويل أخرى قالت أنها كانت وصيفة الملكة، وسواء هذا أو ذاك المهم أن الملك إهتم بسيدنا إبراهيم - عليه السلام-.

٢- كذلك سيدنا يوسف - عليه السلام- الذي فسر رؤيا الملك وعينه الملك على خزائن أرض مصر حين ذلك لماذا لم يذكر إسمه ولو لمرة واحدة في ترجمة "شامبليون" رغم أنه كان بمثابة وزير اقتصاد فى دلك الوقت وليس شخصا عاديا؟

بل المخزى والأدهى من ذلك أن "شامبليون" وأغلب علماء الآثار على مستوى العالم حتى الآن لا يعرفون الفترة الزمنية لوجود سيدنا يوسف - عليه السلام- فى مصر، فمرة يقولون أنه فى فترة غزو الهكسوس ومرة أخرى يقولون كان فى فترة الأسرة السادسة.

٣- أيضا سيدنا موسى - عليه السلام- لم يكن موجودا فى مصر فقط بل ربى فى بيت فرعون حتى صار أميرا لأن فرعون ملك مصر اتخذه ولدا تلبية لرغبة السيدة "آسيه" زوجة "فرعون" (بنص القرآن) وابنة "فرعون" (فى التوراة والنتيجة الفعلية لدخول سيدنا موسى - عليه السلام- بيت فرعون واحدة فقد كان سيدنا موسى -عليه السلام- مشهورا بترميم الآثار وكان يسجل اسمه على معظم الآثار ... إذً لماذا لم يترجم باسم "موشى" وترجم على أنه ـ خع إم واس) كامير ولا يعرف أحد على مستوى العالم حتى الآن أن (خع إم واس) موشى) هو إسم سيدنا موسى - عليه السلام-.

لأن ترجمة سيدنا موسى -عليه السلام- وهو أمير كانت "موش" (موشى) ولكن بعد نزول الرسالة عليه أصبحت "موسى"، "فموسى اسم مصرى قديم كان متداولا فى هذا الوقت أما "موش" (موشى" فهو اسم عبرى وكان سيدنا موسى -عليه السلام- يكتب اسمه العبرى على الآثار المصرية بيده، أما إسم "موسى" فكتبه قدماء المصريين بإيديهم (موسى) بعد نزول الرسالة عليه.

نعود لأساس

وهو إسم فرعون

ترجمة "شامبليون" وكل الأثريين على مستوى العالم على أنه لقب ذكر سيدنا "موسى" فى القرآن (١٣٦مرة) أما "فرعون"، فقد ذكر (٧٤مرة) بـ (فرعون)، ولم يذكر مرة واحدة بـ (الفراعين) أى لم يُجمع بل ذكر مفردا، ليدل على أنه علما على شخص بذاته. أيضا لم يذكر مرة واحدة بـ (الفرعون) أى لم يعرف بـ (الـ) فالاسم العلم لا يعرف بـ (الـ) لأنه معرفة فى ذاته ففى القرآن ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ [طه].

وفى هذه الآية نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى يخاطب سيدنا موسى - عليه السلام وأخيه "هارون" فى قوله إذهبا إلى "فرعون" وكان "فرعون" اسم لشخص "فرعون" ولقب قومه بعد ذلك باسمه (الفراعين) ولو كان فرعون لقبا لكان ذكر اسم الجد الأول صاحب هذا اللقب.

وجاء فى سورة البروج آية ١٧ و ١٨) ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ ﴾ [البروج]. وذكر فرعون فى هذه الآية ضمن الجنود هو ﴿ وثمود ﴾ ، ﴿ وثمود ﴾ هذا أسم لشخص وليس لقبا له، كذلك فرعون،

أيضا سورة الفجر آية (٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩، ١٠)

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الفجر]

وعاد هم قوم (هود) (ولقبوا بعاد نسبة إلى الجد الأكبر "عاد"، و"ثمود" هم

قوم "صالح" ولقبوا بثمود نسبة إلى جدهم الأكبر "ثمود" كذلك "فرعون" اسمه "فرعون" ووصفه القرآن بأنه صاحب الأوتاد وأشهر ملوك مصر فى إقامة الكثير من المسلات هو "رمسيس الثانى" الذى اتضح لى أن اسمه بقراءتى "فرعون".

وفى سورة العنكبوت آية (٣٩) :

﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) ﴾ وفى هذه الآية ذكر بين "قارون وهامان"، "وهامان" كان وزيرا" لفرعون، وقارون الإسرائيلى كان من رعيته كيف يذكر اسم قارون قبل إسم فرعون فلا يذكر لقب الملك بين إسمين لشخصين عاديين.

ذكر فرعون فى سورة ص (١٢) :

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) ﴾ [ص]

ولم يذكر فرعون فى آخر الأسماء فقط، بل مضاف إليه أنه صاحب الأوتاد، وهذا يؤكد أن فرعون اسم وليس لقبا له لأن الاسم "فرعون" والصفة ﴿ ذو الأوتاد ﴾ .

وذكر فرعون مع أسماء أخرى قبلها فى سورة غافر :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) ﴾ [غافر]

وهنا فى قول الله عز وجل أنه أرسل سيدنا موسى إلى الأشخاص فرعون وهامان وقارون وليس الألقاب ونلاحظ أن هامان وقارون كانا فى عهد فرعون نفسه وليس فى عهد ملوك غيره كذلك ذكر فرعون مرة قبل قارون ومرة أخرى بعده فإذا كان فرعون لقب كان سيذكر فى كل مرة قبل هامان وقارون ولكن الله

ذكره مرة قبل قارون ومرة أخرى بعده ليدل على أنه اسم لشخص طاغية مثله مثل قارون وهامان ،

وفى سورة النازعات آية (١٧):

﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [النازعات]

وفى هذه الآية لقب فرعون بالطاغية، والطاغية لقب واللقب للعلم وفرعون علم كيف يكون فرعون لقب ويلقب بطاغية فى نفس الآية .

وذكر فرعون باسمه فى جميع الآيات عدا سورة الفجر وصفه بذى الأوتاد، وسورة النازعات لقب بالطاغية.

كذلك ذكر فى التوراة خروج الإصحاح السادس (١٠ :١١) ثم كلم الرب موسى قائلا * أدخل قل لفرعون ملك مصر أن يطلق بنى إسرائيل من أرضه.

وفى نفس الإصحاح (١٣) فكلم الرب موسى وهارون وأوصى معهما إلى بنى إسرائيل وإلى فرعون ملك مصر فى إخراج بنى إسرائيل من أرض مصر.

وأيضا فى (٢٧) هما اللذان كلما فرعون ملك مصر فى إخراج بنى إسرائيل من مصر هذان هما موسى وهارون.

وأيضا فى (٢٩) أن الرب كلمه قائلا أنا الرب كلم فرعون ملك مصر بكل ما أنا أكلمك به.

وفى الإصحاح الرابع عشر (٨) وشدد الرب قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء بنى إسرائيل وبنو إسرائيل خارجون بيد رفيعة.

وذكر فرعون فى التوراة وبعدة ملك مصر أى أن الاسم هو فرعون واللقب هو ملك.

وإذا اجتمع القرآن الكريم مع الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) متفقين فى نقطة محددة أى كانت هى لا جدال ولا نقاش فيها.

٩- التاريخ يتحدث

وإذا رجعنا إلى التاريخ وليس تاريخ "شامبليون" لأن قراءته كما وضحت من قبل أنها خطأ وفيها تناقض ولكن التاريخ المدون عن المصريين الصحيح هو:

(١) بطليموس الثانى الملقب بـ "فيلادلفيس" وسمى بهذا الإسم من باب التهكم والسخرية لأنه كان يبغض إخوته وكان وقت تقليده للسلطنة وكان يبلغ من العمر (٢٤ سنة) وقد سار على سيرة أبيه وتفرغ إلى تقديم العلوم وهو الذى أمر (القسيس المصرى ماتيتون) بتأليف (تدوين) تاريخ مصر باللغة اليونانية.

(٢) لم يأمر "بطليموس" الكاهن "مانيتون" بتعريف حروف الخطأ الهيروغليفى بما يقابلها من حروف الخط الإغريقى لذلك ظلت لغة مصر القديمة مطموسة.

(٣) "المأمون" العباسى كانت آثاره من أجل آثار الخلفاء لأنها تدل على ما بلغه العلم والصناعة من السعة والإتقان وقد كان لشدة تعلقه بالعلم والصناعة وكان يبذل النفس والنفيس فى سبيل تقدمهما ولولاه لفات العرب كثير من المؤلفات التى كتبت بالفارسية السريانية واليونانية والهندية واللاتينية فهو الذى سعى فى نقل أكثرها إلى اللغة العربية ونشط رعيته لمطالعتها والاستفادة منها.

ولا يقتصر فضله من هذا القبيل على أبناء اللغة العربية فإن أهالى أوروبا عموما مدينون له لأنه حفظ لهم كتابات كثيرة يونانية ولاتينية لولا نقلها للعربية وحفظها فيها لأزالتها يد الزمان كما أزالت غيرها مما نسمع به ولا نراه وكان

كلفا بمجالسة العلماء والحكماء لا يخلو مجلسه منهم ولم يكن يقتصر على العلماء من شعبه وملته لكنه استدعى إليه جماعة من علماء النصارى واليهود واليونان والفرس والهنود والمجوس وقربهم منه ولم يفرق بين أحد منهم بالإكرام والسخاء وكان إذا صرفهم إنما يصرفهم متأسفا على مفارقتهم وهم أشد أسفا منه على ذلك لأنهم كانوا يرتاحون إلى مجالسته، وقد نبغ فى أيامه علماء كثيرون من المسلمين وغيرهم بعلوم كثيرة كالفلك والهندسة والفلسفة العقلية وغيرها.

منهم " أحمد بن كثير" الملقب بالفرغاني و "عبد الله بن سهل" و "محمد بن موسى" وما شاء الله اليهودى ويحيى بن أبى المنصور" وقد أقام بواسطتهم الأرصاد الكثيرة وكان عالما بالفلك فكان يعاونهم بالرصد أحيانا فى مرصد الشماسية قرب بغداد وأحيانا في المرصد على جبل قيسون قرب دمشق ومن الأطباء الذين كانوا يجالسونه سهل بن سابور وجبرائيل الذى بحث في الرمد على الخصوص "ويوحنا" بن البطريق الملقب بالترجمان لأنه كان يترجم الكتب الطبية من اليونانية إلى العربية، توفى "المأمون" فى (١٨ رجب سنة ٢١٨ هجرية) وكان قدومه إلى مصر فى عام (٢١٦ هجرية) الموافق (٨٠٧ ميلادية) عن الشغل لصعوبته بعد صرف مبالغ كبيرة وقال :

إن الملوك الذين بنوا الأهرام كانوا بمنزلة لا ندركها نحن ولا أمثالنا معنى ذلك أن :

١- التاريخ المصرى المدون عن طريق "مانيتون" باليونانية صحيح ولكن "مانيتون" ترجم التاريخ المصرى القديم إلى اليونانية فقط ولم يترجم أشكال الحروف المصرية القديمة إلى ما يقابلها من الحروف اليونانية.

٢- ترجمة الحيثيين (الخط المسمارى) عن الحروب بين مصر وخيتا صحيحة لأن "المأمون" كان له الفضل في ذلك فقد تولى الخلافة من سنة (٨١٣:

٨٢٣ ميلادية أى من فترة قريبة وكان الخط المسمارى متداول فى هذا الوقت، واللغة المصرية القديمة لا يعلم عنها أحد شىء بعد غزو الرومان (سنة ٣٠ ق.م) لتخريبهما معابد قدماء المصريين.

٣- ترجمة التاريخ المصرى عن طريق ترجمة الخط اليونانى الذى ترجم فى فترة "المأمون" والذى كان مترجما إليه التاريخ المصرى عن طريق "مانيتون" صحيح.

٤- كان "شامبليون" قارئا جيدا للغة اليونانية وبطبيعة الحال للغته الفرنسية.

(١) نكر فى كتاب إتحاف أبناء العصر بتاريخ ملوك مصر الموجود بدار الوثائق العامة بالمنصورة أن بعد ترجمة "مانيتون" تاريخ مصر من المصرية القديمة إلى اليونانية وترجم من اليونانية إلى الفرنسية ثم بعد ذلك قام الأستاذ عبد الله بك الشهير بأبى السعود، مدير عموم المكاتب الأهلية سابقا بترجمته من الفرنسية إلى العربية وجمع المؤلف تاريخها من الدفاتر المصرية القديمة المحفوظة بالهياكل والمعابد المصرية ولم يتبق من هذا التاريخ إلا بعض جزيئات وصلت إلى الفرنج ضمن كتب المؤرخين.

ثم بعد ذلك بدأ "شامبليون" فى سردها ...؟

ومن هنا ندرك أن "شامبليون" استعان بهذه الترجمة لتاكده من صحتها وضبطها مع ترجمته على أنها مترجمة بالهيروغليفية لأن ترجمة "شامبليون" غير مفهومة وحينما يسأل المتخصص ما هذه الترجمة لا أفهم معناها يقول هذا الكلام يعنى ثم يتبع بشرح المعنى وطبعا يكون المعنى إما من ترجمة "مانيتون" الصحيحة من المصرية إلى اليونانية أو من ترجمة الخط المسمارى عن طريق سرد الحروب وكان الحيثيون يدونون ملوك مصر فى حروبهم معهم بكلمة (ملك)

لذلك لم يعرف "شامبليون" عن طريق ترجمته من هو "فرعون" وفى أى أسرة كان لخطأ ترجمته وعدم وصوله للحقيقة !!!

ونجد أنه لم يبلغ ملك من ملوك مصر القديمة ما بلغه الملك (فرعون) "رمسيس الثانى" من شهرة فى التاريخ القديم فنجد أن مدة حكمه كانت (٦٧سنة) وتولى الحكم فى عام (١٢٩٠ قبل الميلاد) وكانت معركة قادش فى العام الخامس من حكمه هى سبب شهرته وذيوع صيته وكانت هى السبب فى استكباره وإدعائه بأنه قائد للألهية أهم الأبحاث عن مدينة قادش .

(١) حدث فى هذه المعركة أن قبض الجنود المصريين على جاسوسين من بدو فلسطين (الشاسو) كان أرسلهما "موتلين" ملك خيتا فى ذلك الوقت ليعرف تحركات الجيوش المصرية، واتفقا إذا وقعا فى الأسر أن يضللا الجيش المصرى بقصة متفق عليها وبعد ضربهما ضربا مبرحا اعترفا بموقع الجيش الخيتى.

ولكن بغير الحقيقة أن ملك خيتا تقهقر بجيوشه إلي حلب عندما علم بتقدم الجيوش المصرية، ولكن الحقيقة أن الجيوش الخيتية كلها كانت مختبئة وراء مدينة قادش منتظرة حضور جيوش مصر لملاقتها، فأراد "فرعون" أن يسرع خلف عدوة ولم ينتظر حتى تلحق باقي جيوشه به، ثم عبر "فرعون" نهر العاصى (الأورونت) وعسكر بجيشه في الشمال الغربى من المدينة ولم يكن يعلم أن ملك خيتا وحلفاءه كانوا خلف التلال وأنهم قاموا فى الوقت نفسه بحركة التفاف وانسحبوا إلى ما وراء قادش على الشاطئ الآخر من النهر.

فلما وصل جيش فرعون وبدأ فى عبور النهر انتظر المتحالفون حتى وصل بعض الجنود إلى الشاطئ الآخر، وعند ذلك هجموا على جيش فرعون هجوما مفاجئا فلم يستطع الجنود أن يلملموا شملهم ويصمدوا للحرب.

بل ولى معظمهم فارا من المعركة فحدث اضطراب كبير ولم يكن فى وسع فرعون إلا أن يحاول جمع شتات جنوده ليدافعوا عن أنفسهم، ولكن هذا الهجوم المفاجئ كان قد خلع قلب الجنود الذين كانوا بمثابة الحرس الخاص لفرعون وبعد تخلى أكثر رجال فرعون عنه لم يجد بدا من الاعتماد على نفسه فاندفع بين المهاجمين.

(١) كانموت فرعون فى هذه المعركة أكيدا لا محالة لتخلى جنوده عنه وخاصة الحرس الخاص به ووقوعه فى الشرك الذى نصبه له ملك خيتا فلقد وجد نفسه وحيدا بين الأعداء هو وقليل من جنوده ولكن ...

اليهود وفرعون

(١) حيث وصلت نجدة من شباب الفلسطينيين المجندين إلى ميدان المعركة ووجدت حرج مركز فرعون فمالت على العدو ميله واحدة فسببت تغيرا فى سير المعركة وأنقذت فرعون مما كان فيه.

(٢) والسبب الحقيقى ليس من أجل فرعون ولكن حقيقة الأمر أن أبناء عمومتهم مقيمين فى مصر من فترة سيدنا يوسف - عليه السلام- ، ولكن فرعون بدلا من العرفان بالجميل بعد عودته من المعركة اشتد غروره وتضليل من حوله له جعله يستكبر ويطغى وفعل بأبناء عمومتهم ما لا يرضى أحد على وجه الأرض، ففى القرآن سورة القصص آية (٤) :

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ④ ﴾ [القصص]

وأيضا فى سورة البقرة آية (٤٩) :

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ㊾ ﴾ [البقرة]

وفى التوراة خروج الإصحاح الأول (٩) فقال لشعبه هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا (١٠) هلم نحتال لهم لئلا ينمو فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض (١١) فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم بأثقالهم.

وفى نفس الإصحاح (١٦) وقال حينما تولدان العبرانيات وتنتظرانهم على الكراسى، إن كان ابنا فاقتلاه وإن كان بنتا فتحيا.

وفعل فرعون ذلك لأنه كان يتألم حينما يصله أخبار معايرة بنى إسرائيل المقيمين فى مصر للمصرين أنه لولا أبناء عمومتهم ما كان فرعون على قيد الحياة وأن فضلهم عليه فضلا عظيما، وبعد ذلك فى العام الثامن من حكم فرعون قام بحملة كبيرة كانت سببا فى تأكيد صلفه وغروره وبطشه، ومضت علي الحملة الأخيرة أعوام مات فيها موتلين ملك خيتا فنشب نزاع بين "أورخى بن موتلين" وبين عمه "خاتوسيلى" على الحكم انتهت بتغلب "خاتوسيلى" على ابن أخيه "أورخى" واستيلائه على العرش.

ولم يقف فرعون مكتوف اليدين أمام هذا النزاع بين "أورخى" وعمه وأخذ يناصر "أورخى" على عمه "خاتوسيلى"، مما أدى ب" خاتوسيلى" إلي أن يفكر فى شراء صداقة فرعون الذى بادر بالترحيب بها وكان ذلك تقريبا فى العام الحادى والعشرين (٢١).

(١) من حكم فرعون سنة (١٢٦٩ ق.م) وأراد "خاتوسيلى" أن يوثق هذه الصلة فجاء زائرا إلى مصر ومعه ابنته ليزفها زوجة إلى فرعون ، وقد عثر على أصل هذه المعاهدة على لوحين من الطين المحروق فى حفائر فنكار فى بوغاز كوى فى الأناضول فى عام (١٩٠٦) ولكن النص لم يدرس وتعرف قيمته إلا فى عام ١٩١٦ وقد نشر "لانجدون" مع "جارد نر" ترجمة له .

وقام بترجمة النص الخيتى "البرشت جوتزة" (٢٠١١ : ٢٠٣) وترجم النص المصرى "جون ولسون" (ص ١٩٩) وقد أضاف كل منهما قراءات جديدة وأعطى بيانا بجميع المراجع الهامة، واشتهرت هذه السيدة الفاضلة باسم "اسية" وكان كمالها فائقا لذلك كان فرعون يحاول إرضائها رغم إنها كانت عاقرا .

ومعرفة أنها كانت عاقرا فهى قد وجدت سيدنا موسى - عليه السلام- بعد فترة أربع سنوات قضتها مع فرعون وفرعون كان له أبناء كثيرة من زوجات أخر كذلك لم تترك لنا المصادر الأثرية شىء عن جثتها أو أبناء لها والسيدة

"آسية" هى التى أشار إليها القرآن الكريم فى سورة القصص آية (٩) :

﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٩) ﴾ [القصص]

وقولها : أو نتخذه ولدا فيه دليل على أنها كانت عاقرا، فالنتيجة واحدة أنها هى التى ربت سيدنا موسى - عليه السلام - واتخذته ولدا.

من هو النبى موسى بن عمران
- عليه السلام-

(١) لقد حكم فرعون مدة (٦٧ سنة) وتفيدنا المصادر التاريخية أن "خاتوسيلى" أتى إلى مصر زائرا ومعه ابنته "آسية" فى العام (٢١) من حكم فرعون، يتبقى إذا من حكم فرعون (٤٦ سنة) ووجدت السيدة "آسية" سيدنا موسى بعد (٤ سنوات) من مكوثها فى بيت فرعون يتبقى من حكم فرعون (٤٦-٤=٤٢سنة).

وسيدنا موسى -عليه السلام- قتل المصرى وهو فى سن ٣٠ سنة يتبقى من حكم فرعون (٤٢ -٣٠ - ١٢ سنة).

(٢) كل المصادر التاريخية ذكرت أن (خع إم واس) قد مات فى العام الخامس والخمسين من حكم فرعون عن طريق ترجمة "مانيتون والمأمون" والحقيقة أنه بعد ضرب سيدنا موسى للمصرى وقتله حكم فرعون عليه أمام الرعية بالموت ولكن فى سورة القصص آية (٢٠) :

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠) ﴾ [القصص]

فمكث سيدنا موسى -عليه السلام- فى مدين ١٠ سنوات جاء فى سورة القصص آية (٢٢) : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) ﴾

وفى هذه الفترة ذاع الخبر فى مصر أن الأمير "موسى" (خع إم واس) قد مات، وذكر فرعون ذلك لحافظ على هيبته خوفا من أن يقال أن أحد الرعية هرب من الملك الطاغية، ثم فى مدين جاء فى سورة القصص آية (٢٧) :

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [القصص]

(٦٧ – ٥٥ – ١٠٠١٢ = ٢ سنة) يتبقى سنتان من حكم فرعون وسيدنا موسى -عليه السلام- أتته الرسالة فى الأربعين. كما ذكر فى القرآن والإنجيل والتوراة.

ويتطابق التاريخ فى الفترة الزمنية مع القرآن والإنجيل والتوراة تماما فسيدنا موسى -عليه السلام- مكث مدة السنتين ليجعل فرعون يترك بنى إسرائيل يرحلوا من مصر بالحسنى وفيها ظهرت الآيات التسع لفرعون التى ذكرت القرآن الكريم، وأيضا ذكرت فى التوراة.

أطلق العلماء على سيدنا موسى -عليه السلام- (خع إم واس) وحقيقة الأمر غير ذلك فهو اسمه "موسى" واسمه مكتوب فى معبد أبى سمبل بعد أن نزلت الرسالة عليه ولكن يقرأ (نب ت جو إن) طبقا لترجمة "شامبليون"، فالذى لا يعرفه علماء الآثارأن قدماء المصريين كانوا يسجلون اسم الشخص تبعا لوضعه الاجتماعى حين ذلك، فكان الحرف الواحد يتخذ أكثر من شكل وهذا يرجع إلى تعدد شكل الحرف الواحد (أعنى تعدد الحركة عليه).

فسيدنا موسى – عليه السلام – كانت حروفه تكتب وهو أمير بفخامة :

مثل اليم كتبت هكذا وهو أمير [ ] وترجمها "شامبليون" (خع) ثم أصبحت هكذا [ ] بعد نزول الرسالة عليه وترجمت (نوا)، ويلاحظ أن الحروف كانت متقاربة تماما فى الشكل ولكن الفرق كان تميز الملك عن الأمير عن الشخص العادى فى منظر الحرف .

مثال ذلك :

حرف الواو فى فرعون كانا بهذا الشكل [∞] وترجمه " شامبليون" (استبن) وهذا الرسم الصغير عبارة عن يد ممسكة بكتلة من الأسلحة ، وكانت الواو فى سيدنا موسى وهو نبى بهذا الشكل [ ] وترجمها "شامبليون" (جو).

وكانت الواو فى المحارب هكذا [ ] وترجمها "شامبليون" (وب) وكانت الواو فى الكاهن هكذا [ ] وترجمها "شامبليون" (كا) وكانت الواو في الخباز هكذا [ ] وترجمها "شامبليون" (دة). وكانت الواو فى الأمير المحارب من داخل البيت الحاكم هكذا [ ] وترجمها "شامبليون" (نخت)، وكانت الواو فى الأمير المحارب من خارج البيت الحاكم هكذا [ ] وترجمها "شامبليون" (جسر)، ونلاحظ أن الواو كانت لها أشكال كثيرة ولكنها متقاربة ولكن الفرق فى كتابة أشكالها الوضع الاجتماعى لصاحب شكل الحرف، ونجد أن إسم سيدنا موسى - عليه السلام- مسجل على آصار مصر كلها لأنه كان يرمم آثار مصر وكان يسجل إسمه عليها.

علاقة النبى موسى

بالعجل أبيس

كان سيدنا موسى مشهورا بالإهتمام بالعجل "أبيس" وليس عبادته كما أوهم السامرى بنى إسرائيل لأن هذا فن.

سيدنا محمد ﷺ نزل بمعجزة القرآن الكريم وسط قوم كانوا مشهورين بالبلاغة، وسيدنا عيسى -عليه السلام- نزل بمعجزة أحياء الموتى وشفاء الأبرص وتكلم فى المهد وقومه كانوا مشهورين بالطب، وسيدنا موسى -عليه السلام- نزل برسالته وسط قوم كانوا مشهورين بالسحر ونحت الحجارة (الفن) أنا لم أتى بشئ من عندى ولكن كما ذكرت سابقا أحجار مصر التى خلفها القدماء هى التى تتحدث وتنبئنا عن أخبار الأولين.

هل عبد النبى موسى مع

العجل أبيس ذى الخوار؟

ليس معنى أن سيدنا موسى -عليه السلام- كان يهتم بالعجل "أبيس" إنه كان يَعبُده لا لم يحدث هذا أبدا لأنه لا يوجد نبى أرسل من عند الله وَعَبَدَ غير الله سبحانه وتعالى ذكر فى القرآن :

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) ﴾ [سبأ]

هل معنى ذلك أن سيدنا سليمان -عليه السلام- كان يجعل الجن تصنع له التماثيل ليعبدها...!

طبعا لا لأن هذا فن كان سيدنا سليمان يتحدى به فنانى الأرض.

وتأكيدا أن سيدنا موسى هو الشخص بعينه الذى أطلق عليه العلماء (خع إم واس) نجد فى القرآن :

﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [طه]

فنجد هنا "السامرى" اختار العجل "أبيس" كإله لأتباع سيدنا موسى -عليه السلام- دون باقى الآلهة التى كان يعبدها القدماء المصريين وصدقه كل بنى إسرائيل بسهولة وساروا على دربه بعد قوله لهم أن سيدنا موسى نسى ربه هنا وذهب يبحث عنه لأن كل بنى إسرائيل والمصريين كانوا يعرفون أن سيدنا موسى -عليه السلام- قبل نزول الرسالة عليه وهو أمير كان يهتم بالآثار وبترميمها وخاصة :

(١) العجل "أبيس" فإن تفحصنا العجل "أبيس" أو (البقر) عموما نجدها يخرج منها اللبن ويخرج من اللبن :

١- الجبن. ٢- القشدة.

٣- السمن. ٤- الزبد.

ومن هنا نجد نظرة سيدنا موسى -عليه السلام- إلى العجل "أبيس" نظرة نبى متأمل فى حسن خلق الله وليس عبادته (كما أوهم السامرى بنى إسرائيل فى غياب سيدنا موسى).

فبعد ذلك جاء فى القرآن الكريم

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) ﴾ [البقرة].

وسيدنا موسى -عليه السلام- أتته الرسالة فى سن الأربعين.

يتبقى إذا من عمر فرعون (٦سنوات) منهما (٤سنوات) تقريبا عاشت السيدة "آسية" فى بيت فرعون دون إنجاب.

ذكرت السيدة"آسية" فى القرآن الكريم زوجة فرعون وذكرت في التوراة على أنها ابنة فرعون، فالنتيجة التاريخية واحدة أنها كانت تعيش فى بيت فرعون ولها رأى وتأثير ذو قيمة عند فرعون يؤهلها لتبنى سيدنا موسى واتخاذه كابن لها.

إذا يتبقى سنتان من عمر فرعون وهما التى نزل فيهم الآيات التسع وقام فيهما سيدنا موسى بمواجة فرعون والسحرة.

وهذا يدل على أن هذا الشخص هو بعينه فرعون لا محالة، فكل الأدلة والشواهد تؤكد هذا، ففى القرآن:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) ﴾ [القصص].

وأيضا : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) ﴾ [الأحقاف]

وفى التوراة تنبيه الإصحاح الثانى (٧) لأن الرب إلهك قد باركك فى كل عمل يدك عارفا مسيرك فى هذا الفقر العظيم الآن أربعون سنة للرب إلهك معك لم ينقص عنك شيء.

وفى نفس الإصحاح (١٤) والأيام التى سرنا فيها من قادش برنبع حتى عبرنا وادى زارد كانت ثمانية وثلاثين سنة.

أيضا فى تنبيه الإصحاح الحادى والثلاثون (١) فذهب موسى وكلم بهذه الكلمات جميع إسرائيل (٢) وقال لهم، أنا اليوم ابن مائة وعشرين سنة أي أن (٤٠ + ٣٨ =٧٨ -١٢٠=٤٢) وسنتين كان فيها التحدى بين فرعون هو والسحرة وبين سيدنا موسى - عليه السلام- يصبح المجموع (٤٢- ٢=٤٠) معنى ذلك أن سيدنا موسى قضى على فرعون وكان يبلغ من العمر (٤٢سنة) وتتطابق الفترة الزمنية بين القرآن والتوراة تطابقا تاما فى الفترة الزمنية.

ولزيادة التأكد من الفترة الزمنية بين أسرات قدماء المصريين بعضهم البعض فمومياواتهم (جثثهم) موجودة حاليا و(كربون ١٤) موجود فالعلم يؤكد وليس التخمين كما فعل "شامبليون".

ففى الإنجيل أعمال الرسل الإصحاح السابع (٣٠) ولما كملت «أربعون سنة» ظهر ملاك الرب فى برية جبل سيناء فى لهيب نار عليقه.

رغم أن الإنجيل معظم حديثه عن السيد المسيح -عليه السلام- إلا إنه حدد سن سيدنا موسى أثناء نزول الرسالة عليه فى أعمال الرسل وهنا يتطابق القرآن مع الإنجيل مع التوراة تطابقاً تاماً والكتب السماوية متوفرة وفى متناول يد الجميع، أيضا نجد فى آخر سنتين من حكم فرعون ظهر ضعف شديد فى البلاد لأن الآيات التسع نزلت على فرعون وقومه، ففى القرآن الكريم:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾ [الإسراء].

وفى القرآن الكريم :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [الأعراف].

قبل الأسر

يقسم المؤرخون تاريخ مصر القديم إلى ثلاثين أسرة، تبتدئ بالملك (مينا) مؤسس الأسرة الأولى حوالى سنة ٣٤٠٠ ق.م. إلا أنه وأن البحث التاريخى فى مصر منذ ذلك العهد، أى بابتداء الأسرة الملكية الأولى، فليس معنى هذا تحديد مبدأ المدنية الموسيقية فى مصر أو أول ظهور الآلات الموسيقية فيها، إذ ليس من الميسور أن نثبت بالتدقيق تاريخيا لبدء هذه المدنية وغاية ما نعلم أن آثارا عثر عليها الباحثون كشفت عن حضارة وافرة كان يتمتع بها المصريون لثمانية آلاف سنة قبل الميلاد وأن صورا لآلات موسيقية كملت صناعتها وتركت وراءها الخطوات العديدة التى يستلزمها تطور تلك الآلات التى قد عثر عليها، فى أقدم النقوش المصرية من عهد ما قبل الأسر.

موسيقى الدولة القديمة

الدولة القديمة، وتشتمل على احدى عشرة أسرة من الأولى إلى الحادية عشرة، كانت ذات مدنية موسيقية مهذبة غاية فى الرقى. وإننا لنرى، منذ بداية تلك الدولة، فرقا موسيقية منظمة ثابتة التأليف تتكون، عادة من ثلاثة عناصر أساسية هى :

١- المغنى.   ٢- العازف بالجنك

٣- اللاعب بالناى.

وقد يتكرر أفراد كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة، وقد يشترك فى تلك الفرق النافخ فى الزمارة المزدوجة. وكان المغنى أهم العناصر التى تتألف منها تلك الفرق الموسيقية وهو رئيسها وقائدها .

وأن نقوش تلك الدولة لتفصح عن مدنية موسيقية ناضجة وأن آلاتها الموسيقية حتى منذ بداية تلك الدولة، مستوفاة قد تم بناؤها وتخطت أدوار نشأتها الأولى.

وقد توفرت فيها الآلات الموسيقية بأنواعها الثلاثة . فمن آلاتها الإيقاعية (آلات النقر) :

المصفقات على اختلاف أنواعها وأهمها:

القضبان المصفقة.

الأذرع المصفقة.

الأرجل المصفقة.

الألواح المصفقة.

الرءوس المصفقة.

الأجراس والجلاجل

الشخاليل

ومن آلات النفخ :

الناى بنوعيه الطويل والقصير

الزمارة المزدوجة

وأما الآت الوترية، فإن الآلة الوترية الوحيدة التى كشفت عنها نقوش تلك الدولة فهى آلة الجنك أو الصنج وكانت من النوع المنحنى (أو المقوس).

موسيقى الدولة الوسطى

الدولة الوسطى، وتشتمل على ست أسر من الثانية عشرة، كانت موسيقاها فى مجموعها موسيقى الدولة القديمة. وقد ظهرت فى عهدها زيادة يسيرة من الآلات فقد وجدت فى نقوشها الطبول وآلات المستروم بنوعيها (المستروم المنحنى والمستروم الناقوسى). وكذلك ظهر فى عهدها، لأول مرة في مصر، آلة الكنارة وآلة الجنك الكتفى، غير أنه لم يعم انتشارهما إلا فى عهد الدولة الحديثة.

طابع موسيقى الدولتين القديمة والوسطى

كانت الحان تلك العصور، مناسبة لآلاتها الموسيقية، ألحانا هادئة وفى حد الاعتدال: فإن الأصوات التى تصدر من آلة الصنج ضعيفة خالفتة، والناى أقل الآلات قوة صوتية ، والمغنى وهو أهم عناصر الفرق الموسيقية كان لا يفتح فاه إلا قليلا.

وأن حركات الرقص التى تبيناها فى معظم نقوش تلك العصور لتنهض دليلا على تلك الحقيقة فهى حركات بطيئة هادئة ، قل أن تظهر فيها حركات سريعة، كذلك أسلوب النقش فى تلك العصور ينطق بما كان فى خلق أصحابها من الطمأنينة والهدوء.

وهكذا كان طابع موسيقى تلك الدولتين ملائما لشعب معتدل يقوم بقسطه من العمل ولا ينى نصيبه من المسرات بل كانت تلك الموسيقى موسيقى عبادة تقتضى الخشوع والهدوء والجد نائية عن كل مغالاة واسراف، بل قل أنها موسيقى ملكية حيث كان نقيب المغنين يعتبر من أقرباء الملك.

أما عن السلم الموسيقى الذى كان مستعملا فى تلك الدولتين فهو السلم الخماسى نو الدرجات الكاملة الخالى من أنصاف النغمات، ولهذا فإنا نرى آلات النفخ تتراوح ثقوبها فى الغالب بين ثقبين وأربعة ثقوب. وكذلك فإن آلة الصنج القديمة ندر أن زادت أوارتها على الخمسة وأن زادت كانت الزيادة وترا أو وترين على سبيل الاحتياط.

عصر الهكسوس

ما انتهى الحكم إلى الأسرة الثالثة عشرة فالرابعة عشرة حتى تخاصم أمراؤها وتنازعوا أمرهم بينهم فأدى تنازعهم إلي اضطراب الحكم، واختلال الأمن، ومكن الهكسوس من احتلال مصر قرنا كاملا.

وكان عصر الهكسوس عصرا مظلما فى التاريخ المصرى ولم يخلدوا لنا من أيام حكمهم أثرا من كتابة أو نقش حتى تمكن المصريون بفضل ظهور الأسرة الثامنة عشرة حتى (حوالى سنة ١٦٠٠ قبل الميلاد) من طردهم وانشاء الدولة الحديثة فارتفع ذلك الستار المظلم الذى حجب عصر الهكسوس وعاد التاريخ المصرى إلى جلالته ووضوحه.

موسيقى الدولة الحديثة

تأثر مصر بالمدنية الآسيوية وتغير طابع الموسيقى :

الدولة الحديثة وتشتمل على أربع عشرة أسرة من الثامنة عشرة إلى الأسرة الثالثين قد بدأت حكمها بفراعنة أقوياء توغلوا فى أرض الجزيرة وامتدت أملاكهم إلى قلب آسيا الصغرى فاتصلت مصر بالمدنية الآسيوية اتصالا وثيقا وأثر ذلك فى الموسيقى تأثيرا قويا حتى لقد أصبح فى بلاط الملك فرقتان موسيقيتان إحداهما مصرية والثانية آسيوية.

ولقد تغيرت الموسيقى المصرية فى الدولة الحديثة تغيرا تاما عما كانت عليه فى الدولتين القديمة والوسطى فالهدوء والاعتدال والبطء والبساطة وغيرها من صفات الموسيقى القديمة قد اختفى وحل محله موسيقى على نقيض تلك الصفات.

وكان ذلك بسبب أن تبدلت الآلات الموسيقية فى كثير من أنواعها وما تبقى من الأنواع القديمة دخل عليه كثير من التغيير فتعددت أنواع آلة الصنج وكبر حجمها وزاد عدد أوتارها كثيرا وعم انتشار آلة الكنارة وحل المزمار المزدوج الحاد الصوت محل الناى الطويل الهادىء، كذلك كثرت أنواع الطبول والصنوج والصاجات والدفوف.

ولقد أصبحت الموسيقى فى الدولة الحديثة حادة مبالغة فى الحدة كثيرة الضوضاء. يتجلى ذلك فى نقوش تلك العصور سواء فى موسيقى الرقص أو موسيقى الولائم أو موسيقى البلاط الملكى.

وقد تغير السلم الموسيقى، فبعد أن كان خماسيا أصبح سباعيا. ولقد وضح من التجارب التى عملت فى سبيل مقايسة أبعاد هذا السلم أن نغماته وكانت كلها تقريبا فى أبعادها «بردات وعربات» أى أنها نغمات كاملة وأنصاف نغمات.

الآلات الموسيقية :

(أ) الآلات الوترية :

العود (بفصيلتيه : العود ذو الرقبة القصيرة، والعود ذو الرقبة الطويلة (الطنبور»).

الكنارة.

الجنك (أو الصنج) وقد تعددت أنواعه فكان منها : الجنك المنحنى.

الجنك نو الحامل

الجنك الزاوى

الجنك الكتفى.

وقد كبر الصندوق المصوت لآلة الجنك وكبر عدد أوتارها حتى فاقت العشرين أحيانا.

(ب) آلات النفخ :

المزمار المزدوج

التغير (البوق)

الناى (وكان نادر الاستعمال).

الأرغن (وقد اخترعت. في مصر بعد انتهاء الأسر).

(جـ) الآات الإيقاعية :

- الصاجات. - الكاسات. - المقارع الصنجية.

الدفوف (بقسميها الدفوف المستديرة، والدفوف المربعة).

الطبول (وكانت مختلفة الأنواع.

المستروم (بنوعيه المنحنى والناقوسى).

ولم تتخذ الدولة الحديثة فى تكوين فرقها الموسيقية نظاما معينا، كالذي قدمناه فى الدولة القديمة، بل سعت فى ذلك فألفت فرقا مختلفة التجانس يغلب فيها توافر آلات الجنك والطنبور والمزمار المزدوج.

الموسيقى المصرية القديمة وأغانيها

ومنزلتها بين العلوم والفنون

الموسيقى ومحافظة الكهنة عليها :

كانت الموسيقى المصرية القديمة المثل الأعلى لموسيقات العالم فى كل العصور المختلفة ويرجع الفضل فى ذلك للكهنة وعظيم سهرهم عليها وعنايتهم بها سيما بعد أن أخذت مصر تنوء بغزوات الأمم الأجنبية فقد خشى الكهنة أن تذهب مدنيات تلك الممالك الفاتحة بمدنية مصر الموسيقية فوقفوا من الشعب موقف المنذر المحذر يطالبونه بالتمسك بمدنيته. ولقد تمكن الكهنة، بما كان لهم من النفوذ، من المحافظة على المدنية المصرية والعمل على استبقائها بعيدة عن المؤثرات الأجنبية.

ولقد أبعد الكهنة عن الهياكل كل ما كان دخيلا واقتصروا فى العبادة على استعمال الآلات المصرية البحتة التى كانت تستعملها الدولة القديمة.

أما خارج المعابد فقد سن الكهنة للموسيقى قوانين لصونها عن التأثر بما هو أجنبى عنها ولم يتركوا الموسيقى حرة بل قيدوها بقوانين خاصة تحتم على الأطفال مزاولتها فى سن معينة وتقيد الشباب بعدم التغنى إلا بما ينتقيه لهم الكهنة من الموسيقى الجيدة التى تطهر النفس وتحث على الفضيلة ومكارم الأخلاق.

وبهذا تمكنت مصر من المحافظة على مدنيتها الموسيقية برغم ما تعاقب عليها من مدنيات أجنبية قوية متعددة، بل كان على العكس تأثير المدنية المصرية شديدا جدا فى كل من غزاها من الأمم. وإن تأثر الموسيقى اليونانية، على سمو شأنها، بالموسيقى المصرية القديمة لينهض دليلا قاطعا على ذلك.

الأغانى المصرية :

امتازت الأغانى المصرية القديمة بجمعها بين نهاية الجد ونهاية اللهو شأن أغانى الشعوب التى كملت حاضرتها، ونضجت ثقافتها، يؤدى أبناؤها واجبهم مخلصين ثم لا يغفلون فى اوقت نفسه نصيبهم من مسرات الحياة. وقد تمثلت تلك الظاهرة واضحة جلية فى الأغانى المصرية القديمة. وكانت تتناول مديح الآلهة، وذكر الموت، والحض على عمل الخير، والحث على العناية بمسرات الحياة، كما كانت تميل إلى ذكر العمل والقيام بالواجب.

ولقد وصل إلينا الكثير من هذه الأغانى التى تدل فى مجموعها على أن أهلها كانوا شعبا سليم التفكير عظيم الجاه.

أما الحان الأغانى ونغماتها فإنه مما لا يمكن الوصول إليه إذا لم يكن لها وعاء غير حناجر المغنين وأصابع العازفين بالآلات، وليس للنقوش التى دلتنا بدقة تصويرها على مختلف أنواع الآلات التى كانت مستعملة فى تلك العصور القديمة أن تدلنا على ألحان تلك الأغانى.

الشعر والموسيقى المصرية القديمة ومنزلة الموسيقى بين العلوم والفنون :

كان الشعر والموسيقى عند قدماء المصريين فنا واحدا وكان الشعر الملحن مرشد الشعب ومدرسته، يبث فيه روح المدنية ويهذب طبعه رقة ولينا. وكان إصلاحا بين الناس يحث على الفضيلة ويقوى النفس، يقوم بشرح مختلف القوانين المدنية وأحكام الديانة، وأصول الفلسفة والتاريخ والعلوم، وكان الشاعر موسيقيا كما كان الشعر لغة الخطابة كذلك. فكانت الأغانى هى السبيل إلى نشر العلوم والقوانين بين الناس.

وكانت الموسيقى عند قدماء المصريين فنا محترما مقدسا، يعتقدون اتصاله بالعلوم المقدسة الأخرى وبخاصة الديانة والفلك.

ولقد استطاع المصريون، بما جعلوا بين الموسيقى والفلك من ارتباط، تدوين النغمات الموسيقية التى تآلف منها سلمهم الموسيقى وذلك بأن رمزوا لكل نغمة من النغمات السبع بالرمز الهيروغليفي الذى كانوا يرمزون به لمماثلها من الكواكب، ولو أن ذلك لم يمكنهم من تدوين ألحان أغانيهم. كذلك اهتدوا بمقارنة الموسيقى بالفلك إلى معرفة اتصال النغمات بعضها ببعض وأكثرها توافقا وقابلية للامتزاج.

أما ارتباط الموسيقى بالدين فقد كان قويا إذ نصبوا أكبر معبوداتهم آلهة عليها، كما كانوا يلقبون مخترعها بابن الأبدية ومديرها بآلة النظام والتوافق. وكانت دراستها والتبحر فيها وقفا على الكهنة وحدهم فهم رجالهم والحفظة عليها.

إعدام فرعون موسى

حرقا فى لندن (١)

على مدى أعوام طويلة ظل د. سعيد ثابت ببحث بدأب وصبر عن مقبرة ومومياء هذا الملك الرهيب "فرعون موسى" ولم تكن رحلة البحث يسيرة بل كانت مضنية ولكن النتيجة فى النهاية كانت مبهرة إذ استطاع د. سعيد ثابت فى النهاية أن يحدد أربعة عشر موقعا ذكر أن أشلاء «أوزيريس» قد دفنت فى مقابر بها.

وتم كذلك تحديد موضعين ذكر عنهما أنه قد تم تجميع أشلاء مومياء «فرعون موسى» بهما أحدهما هو مقابر التفريق الأوزيرى وكذلك بعض المقابر الأخرى التى أشيع أنها لأوزيريس.

وفى رحلة بحثه عن مقبرة أوزيريس والذى رجح د. سعيد ثابت أنه هو «فرعون موسى» مر بالعديد من المواقف الغريبة وعن أحد هذه المواقف يقول : فى كتابه لقد رأيت حلما غريبا فى أحد الأيام وفى هذا الحلم رأيت مومياء فرعون موسى على الحال الذي تم اكتشافها عليه وذلك قبل التوصل إلى ما يشير إلى حال المومياء بأى شكل من الأشكال.

وكان ذلك قبل سنة وثلاثة شهور قبل الوصول إلي المقبرة والتعرف على المومياء وقد رأيت كذلك المكان الذى كانت به المومياء بتفاصيله المختلفة من الداخل والخارج وذلك قبل الوصول إلى مكان المقبرة بتسعة شهور وبعيدا عن الحلم الغريب الذى رآه د. سعيد ثابت فإنه استطاع فى النهاية أن يصل إلى مقابر التفريق الأوزيرى وبالتحديد إلى مبنى يسمى الأوزيريون والذى يقع بالقرب من معبد ستى الأول.

---

(١) جريدة صوت الأمة ٢٩/٧/١٩٩٧ ـ سامى عبد الخالق .

وعمارة هذا القبر تسجل صورة رمزية لمصرع فرعون وغرقه حيث بنى هذا القبر على هيئة جزيرة عليها جثمان وذلك طبقا لما تناقلته الأجيال عن نجاة بدن «فرعون موسى» بعد انحصار مياه اليم عنه وعلى مقربة من مبنى الأوزيريون وجد د. سعيد ثابت قبر غريب لملك مصرى قديم يدعى الملك «جر» .

وكان هذا القبر هو المكان الذي اختاره المصريون ليكون قبرا لملكهم المؤله أوزيريس أو فرعون موسى حيث عثر د. سعيد ثابت فى هذه المقبرة على بعض الوثائق التى أمكن من خلالها التعرف على حقيقة الأحداث التى شملت عملية إخفاء مومياء «فرعون موسى» حيث سجلت الوثيقة أحداث تجميع أشلاء «أوزيريس» بمقبرة الملك «جر» وذلك لتحتويها مقبرة الأوزيريون فيما بعد ويقول د. سعيد ثابت أنه بعد العثور على هذه الوثيقة وحل رموزها أمكن وضع تصور يمكن به تفسير الغموض الذى أحاط بحقيقة مكان مقبرة أوزيريس وطبقا لما ورد بتلك الوثيقة يكون المعتزل المزدوج الكبير بمعبد سيتى الأول هو مقر مقبرة «أوزيريس» الأصلى ويكون مقر قبر الملك «جر» قد ترك لعامة الشعب بعد ترك بعض متعلقات أوزيرية به وذلك كمزار مقدس لأوزريس تقدم عنده القرابين والنذور كبديل لمقبرة الأوزيريون التى شاء المصرى القديم أن يخفى مكانها في فترة زمنية معينة.

أما عن متعلقات «أوزيريس» المقدسة والذي هو فى نفس الوقت فرعون موسى والتى حفظت بمقبرة الملك «جر» فقد كانت صغيرة الشعر وليست الجمجمة التى جمعت مع بقية أشلاء «فرعون موسى» بالمقبرة ويبقى سؤال هام أين أشلاء «أوزيريس» أو «فرعون موسى» التى من المفروض أنها جمعت بهذه المقبرة.

الإجابة عن ذلك قدمتها وثيقة عثر عليها د. سعيد ثابت فيما بعد وبطريق الصدفة فى منطقة سقارة وبعد حل رموز هذه الوثيقة وجد أنها تصف أحداث

واستخراج ونقل وتجميع أشلاء أوزيريس أو «فرعون موسى» بمقبرة الملك «جر» ثم إعادة نقل الأشياء مجمعة حيث تم اخفاؤها بمقبرة قاعدة الهرم بدلا من مقبرة الأوزيريون والتى كانت قد أعدت لذلك وتصف الوثيقة ذلك بدقة.

فتذكر أنه تم استخراج ونقل وتجميع الرأس واللحم والأجزاء العظمية لملك الجنوب والشمال فى احتفال تحت إشراف «حورس» وذلك بمقبرة الملك «جر» كما تم نقل رفات الملك المقدس التى شملت قاعدة لهرم تم تجميع الأجزاء الباقية وعضو الذكورة لأوزيريس.

ولكن أين توجد هذه المقبرة التى وردت فى الوثيقة باسم مقبرة قاعدة الهرم والمدفون بها أشلاء فرعون موسى عن طريق وثيقة أخرى عثر عليها د. سعيد ثابت واستطاع أن يفك رموزها بعد جهد تأكد أن هذه المقبرة هى مقبرة «ميدوم» والتى تقع بالقرب من الهرم الذى يحمل نفس الإسم وهى مقبرة كانت تعرف باسم مقبرة الأمير المجهول وكان عالم الآثار بيترى قد اكتشفها فى سنة ١٩٠٤ ولكنه لم يعلم حقيقة صاحبها.

زيارة إلى مقربة «فرعون موسى»

وإلى ميدوم حيث مقبرة هذا الملك المؤله وحقيقته الدفينة منذ آلاف السنين ذهب د. سعيد ثابت بالضبط فى يوم الأحد الموافق الخامس عشر من مايو وفى ذكرى اغتصاب الصهاينة لفلسطين. دخل د. سعيد ثابت إلي مقبرة فرعون موسى ليفاجأ بمفاجأة مذهلة فقد كانت المقبرة خالية من أي محتويات ومن المومياء كذلك.

وكان على الدكتور سعيد ثابت أن يبدأ رحلة جديدة لتقصى الحقائق ومعرفة مصير مومياء «فرعون موسى» ولكن النتيجة كما هو متوقع وبعد ستة شهور أخرى من البحث والتنقيب بين سجلات ووثائق لا حصر لها هو عدم

التوصل إلى أى شىء عن المومياء أو حتى إلي المقبرة أصلا .

وكاد د. سعيد ثابت أن ييأس حتى تفتح له أمل جديد بطريق المصادفة. ففى أثناء جلسة علمية له مع بعض أساتذة علم الآثار المصرية أشار عليه البعض بمراسلة «بربارا آدمز» والتى كانت أمينة متحف «بترى» ببريطانيا والمعروف أن بترى هو أول من دخل واكتشف هذه المقبرة حينها .

وصف «بترى» المومياء التى كانت موجودة بالمقبرة بأن صاحبها كان قد تعرض لطقوس معينة كانت نتيجتها أن تم تقطيع أوصال الجسم ثم تم فصل الأجزاء اللحمية عن الأجزاء العضوية لكل جزء وثبت من فحص أجزاء المومياء أنه تم تقطيع أوصالها بواسطة المصرى القديم نفسه قبل الدفن.

وأمكن التعرف من خلال تقرير بترى على الأربعة عشر جزءا التى كونت أشلاء تلك المومياء كما أمكن التعرف على المعنى المستتر الذى أراد المصرى القديم أن يقدمه للمصرى فى العصور التالية عن هذه المقبرة وصاحب المومياء.

ولكى يعرف د. سعيد ثابت مصير «فرعون موسى» أو أشلائه تلك التى عثر عليها بترى فقد خاطب المسئولين بالمتحف البريطانى وكانت النتيجة مذهلة فقد أكد الجميع أن المومياء قد وصلت بالفعل مع «بترى» إلى بريطانيا حيث تم حفظها بقسم المصريات بالمتحف البريطانى.

ولكن البطاقة الخاصة بهذه سجل بها أنه قد تم إعدام هذه المومياء حرقا سنة ١٩٤٨ وفيما بعد استطاع د. سعيد ثابت وعن طريق مواصلة اتصالاته أن يحصل على صورة من تقرير العالم الأثرى «بترى» الخاص بهذه المومياء.

وكذلك على صور أصلية لمومياء فرعون موسى وبعض محتويات المقبرة .

يبقى أن نشير إلى أغرب ما مر به د. سعيد ثابت فى رحلته مع فرعون موسى وعن ذلك يقول فى كتابه حينما دخلت إلى المقبرة ووجدتها فارغة قمت

بتصوير المقبرة من الداخل وبعد تحميض الصور فوجئت بصورة منها تبدو فيها المقبرة كجزء من الجحيم تحترق فيه بعض أجزاء مومياء فرعون موسى «برغم عدم وجودها في المقبرة» وكان أقرب التفسيرات احتمالا لحدوث هذه الظاهرة الغريبة هو ما ورد بنص الآية ٤٦ من سورة غافر والتى تصف جزءا من عذاب القبر لفرعون وآله والتى تورد:

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر].

نص الرسالة الرمزية التى تركها المصرى القديم للتعرف على فرعون موسى.

أيها المصرى فى جميع العصور أن مليكك المؤله «فرعون» هو «أوزوريس» الذى مات غرقا من أجل مصر والمصريين وذلك ليكفر عن خطاياهم[1] فصار بذلك الأضحية المجدة فصور على هيئة تلك الأضحية وصور أيضا على هيئة مومياء مخضبة الوجه بالسواد هذا السواد الذى حفظه شابا على مر الزمن وصور أيضا مخضرا بخضرة نباتات القمح هذا القمح الذى ارتوى من دمائه المقدسة وقد تميز بين ملوك مصر بعصاه الملكية الألهية المميزة التى لم يحملها غير تاجه الملكى ذى الريشتين.

أيها المصرى «أوزيريس» هذا الملك المؤله الذي أعلن صوت عال يوم مولده قائلا «لقد جاء السيد العالى» فانتشرت البهجة والسرور فى ربوع الأرض ولكن سرعان ما تلتها دموع وأنواح عندما علم مصيره المحتوم أيها المصرى أنه «أوزيريس» صاحب البدن المجمد الذى حوته كل أرض مصر فكان أربعة عشر

(١) أى أن عقيدة الفداء من أجل تكفير خطايا البشر مأخوذة من الفراعنة وهى العقيدة التى أدخلت فى النصرانية.

من الأشلاء بعدد ربوع مصر وعدد تاريخ يوم إغراقه غدرا بالبحيرة المقدسة بحر التمساح الكبير أنه صاحب البدن الذى كانت أشلاؤه أول البدن يطوف طوفا مقدسا بكل ربوع مصر من الشمال إلى الجنوب.

ثم من الجنوب إلى الشمال بين «جدو» ومع التل المقدس «أبيدو» بابيدوس وذلك عند تجميع الأشلاء المقدسة بالمكان السرى والمقر الحقيقى أنه «أوزير» الذى جمعت أشلاؤه داخل مقره العظيم الذى لا مثيل له أنه داخل الصخرة العظيمة داخل قبر الصخرة «سخت إرو» اسم «قرو» الخفى الهيئة هبة «من حو» حيث البوابات العشر والمنازل السبع.

أيها المصرى أنه «فرعون» ملك مصر الذى صار «أوزيريس» إله الأبدية ورب الحساب فتمنى أن تصحبه إلى العالم الآخر.

الحكم والأمثال

التعاليم الموجهة

إلى الملك «مرى كارع» (١)

وجدت مسطورة على بردية «لينجراد»، التى يرجع عهد إلى عصر تحتمس الثالث (١٤٧٨ - ١٤٤٧ ق.م)، وعلى بقايا ورقة بردية أخرى من العصر نفسه محفوظة في موسكو.

ومع أن النسخة التى وصلت إلينا يرجع عهدها إلى الأسرة الثامنة عشرة، إلا أنه ظاهر أن التعاليم ترجع إلى عهد أقدم بكثير. ونحن لا نعلم عن «مرى كارع» أكثر من أنه عاش في ذلك العصر المضطرب الممتد بين الدولتين القديمة والوسطى، وأنه كان واحدا من ملوك هيراقليوبوليس (أهناس).

وكان ملوك الأسرة الحادية عشرة يحكمون فى طيبة فى نفس الوقت الذى يقوم فيه هؤلاء الملوك فى أهناس. وكان أولئك الملوك وهؤلاء (كما نستطيع أن نرى مما هو مذكور فى هذه التعاليم، وتؤكده أيضا بعض النقوش التى عثر عليها فى طيبة) يحارب بعضهم بعضا للاستيلاء على مدينة طيبنة (أبيدوس)، فهى بالنسبة لملوك أهناس قلعة باب الجنوب، وهى بالنسبة لملوك طيبة بوابة الشمال.

وهى مركز القداسة لدى الجميع، واثارة الحرب على أرضها تدنيس لها يحمل وزره من يسعى إليه. ولعل هذا هو ما دعا كاتب هذه التعاليم (والد مرى كارع) إلى إظهار ندمه، وخاصة بعد نهب المقابر وإنتهاك حرمتها.

(١) الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء ـ محرم كمال ـ مجلة الأسرة .

واسم والد «مرى كارع» الذى يسوق خلاصة تجارب حياته لابنه فى هذه التعاليم غير معروف تماما لنا، وإن كان بعض المؤرخين يظن أنه «نبت كاورع».

ولقد كانت الحرب سجالا بين ملك طيبة وملك أهناس. ويبدو أن الثانى قد استولى على طينه (أبيدوس) وجعل منها بوابة للجنوب، وسمح الملك الجنوبى لملك أهناس بأخذ الجرانيت من إقليميه لعمل التماثيل، وأن توقف عن دفع الضريبة المعتادة التى تشير إلى ولائه وخضوعه.

على أن ملك أهناس ينصح ابنه دائما بأن يحسن معاملة الجنوبيين.

أما عندما يتحدث عن سكان الشمال الغربى، فإنه يذكر أنه أسكتهم وهدأهم حتى حدود الفيوم.

أما عن شرق الدلتا وموجات الآسيويين الرحل، فإنه يذكرهم فى احتقار كقوم لا يستقرون فى مكان ويصفهم بأنهم قوم ليس من السهل هزيمتهم وينصح ابنه بألا يزعج نفسه بهم، وأنهم يحاربون ولا يغلبون ولكنهم كذلك لا يغلبون وهم يفاجئون دائما بالحروب.

ورغم ذلك نراه ينصح ابنه بأن يكون علي أهبة الاستعداد [illegible] مقدما له المثل القديم : «من رغب فى الأمن وطمع فى السلامة استعد للحرب».

على أن هذه التعاليم لا تقتصر على ذكر الحرب والسياسة بأسلوب يدل على فطنة ذلك السياسى المسن فى سياسة البلاد الداخلية والخارجية، بل إنها تسوق طائفة جليلة القدر من الحكم والأمثال والنصائح، التى تدل على عقل راجح يجعل قائلها من قادة الفكر فى عصره.

وفوق هذا وذاك، فإننا نجد فى غضون هذه التعاليم نظريات دينية لا نجدها فى الكتابات الأخرى التى من هذا النوع. نجد الفكر المصرى القديم وقد اقترب من عقيدة التوحيد وحاول أن يميز بين الآله العظيم الذى لا تراه الأعين

وبين صنم المعبد التقليدى الذى كان يظهر فى احتفالات المعبد وتهتف له الجماهير.

مقدمة الكتاب لا يتبقى منها إلا أجزاء قليلة نستطيع أن نفهم منها أن الأب الذى يوجه الخطاب إلى «مرى كارع» كان هو نفسه ملكا. وفى ثنايا الكتاب فجوات طويلة أيضا تجعل الترجمة والتفسير أحيانا أمرا صعبا.

تمجيد صناعة الكلام:

«كن مفتنا فى الكلام، قديرا فيه، مالكا لناصيته، حتى يعلو شأنك، وينبه ذكرك، فقوة المرء فى لسانه، والكلام أقوى من الحرب والقتال.

إن الرجل الفطن لا يهاجمه أهل العلم، وهو بفطنته وحسن بصيرته يستطيع أن يتجنب المصاعب، فلا يصيبه الضرر، ولا يلحق به الأذي، والصدق يأتى إليه طائعا مختارا مصفى حسب ماجاء فى كلام الأجداد السابقين.

أنسج على منوال آبائك السالفين الذين سبقوك. انظر ! إن كلماتهم لا تزال خالدة تنبض بالحياة فيما خلفوه من كتب.

افتح الكتاب واقرأ ما فيه، واستفد بعلم أجدادك، واتبع تعاليمهم، يصبح المرء عالما حكيما مثلهم».

كن محبا للخير، ولكن فى حذر ويقظة:

«لا تكن شريرا، فمن الخير أن تكون رحيما عطوفا، خلد أثر ذكراك عن طريق حب الناس لك، فيحمد الناس الله من أجلك. ويمتدح الناس طيبة قلبك، ويتمنون لك الصحة والعافية.

مجد العظماء، واعمل على سعادة شعبك، فكم هو جميل أن يعمل المرء من أجل المستقبل !!.

ولكن افتح عينيك، فقد يمتلىء المرء بالثقة، ثم يتكشف الأمر عن حسرة لثقة جاءت فى غير موضعها».

عن كبار الموظفين :

«ارفع من شأن مستشاريك، وأغدق عليهم من الثروة ما يكفيهم، حتى يقوموا على تنفيذ قوانينك بالعدل، لأن الرجل الغنى فى بيته لا يميل مع الهوى ولا يتحيز، إذ يكون عنده من المادة ما يغنيه، ولكن الرجل الفقير (يعنى فى وظيفته) لا يتكلم حسب العدالة، لأن الرجل الذى يقول «ليت لى» لا يكون محايدا بل ينحاز إلى الشخص الذى يعطيه رشوة.

إن العظيم يعد عظيما عندما يكون مستشاروه عظماء ، والحاكم القوى من كانت له حاشية.

لا تقل إلا الصدق فى بيتك، حتى يخشاك الأشراف الذين يسيطرون على البلاد، والسيد ذو القلب المستقيم يفلح حاله، لأن داخل البيت (أى القصر هو الذى يبحث الاحترام فى الخارج » .

واجبات الحاكم :

«أقم الحق طوال حياتك علي وجه الأرض. وواس الحزين. ولا تظلم الأرملة، ولا تطرد رجلا مما كان يمتلكه أبوه. ولا تلحق ضررا بالقضاة فيما يتصل بمناصبهم وكن حذرا مدققا، حتى لا تظلم أحدا أو تعاقب دون وجه حق.

لا تقتل، فالقتل لا يفيد، ولا يعود عليك بأى خير، بل عاقب بالضرب والسجن، وبهذا يستقر الأمر فى البلاد حقا ويستتب، إن الله عليم بالرجل المتمرد الجموح، والله يجازى عسفه بالدم.

ولا تقتل رجلا تعرف قدره، وتكون قد تعلمت الكتابة معه.

إن الروح تأتى إلى المكان الذى تعرفه، ولا تضل عن الطريق الذى سلكته بالأمس.

أن السحر لا يقوى على منعها ولكنها تأتى إلى أولئك الذين يعطونها ماء».

التذكير بالعالم الآخر ويوم الحساب :

«إنك تعلم أن القضاة الذين يحاسبون المذنب لا يرحمون الشقى فى يوم المحاكمة وفى ساعة تنفيذ الحكم. فتسوء العاقبة عندما يتهمك الآله الواحد العاقل.

ولا تعتمد على طول السنين، فإنهم (أى القضاة) يعتبرون مدة الحياة كأنما هى ساعة واحدة.

إن المرء ليبعث بعد الموت، وتوضع أعماله بجانبه أكواما وما يبتغيه المرء هو الخلود هناك (أى فى العالم الآخر).

وإنه لغبى ذلك الذى لا يكترث باليوم الآخر. أما من أتاه بعمل صالح لا خطيئة فيه، فسيكون هناك مثواه، يمشى فرحا مثل الأرباب الخالدين (يعنى الأبرار المتوفين)».

معامله الجيل الجديد :

«ارفع من شأن الجيل الجديد، إن مجتمعك ملىء بالشباب الناشئين الذين هم فى سن العشرين، فضاعف هذا الجيل الجديد وزد من عدد أتباعك منه، وزوده بالثروة والحقول والماشية».

كن عادلا ونشيطا وتقيا :

«لا ترفع من شأن ابن الرجل العظيم على ابن الرجل الوضيع، بل اتخذ لنفسك الرجل حسب أعماله وكفايته

احم حدودك، وحصن قلاعك، حتى يكون للجيوش شأنها فى الحفاظ على البلاد.

أقم أثارا خالدة للآله، لأنها تحيى ذكرى إسم بانيها، وعلى المرء أن يعمل ما فيه صلاح روحه، بإقامة الشعائر الدينية كل شهر، ولبس النعال البيضاء، وزيارة المعبد، والكشف عن الأسرار المقدسة، والدخول فى قدس الأقداس، وأكل الخبز فى المعبد.

املأ موائد القربان، وقدم الخبز الكثير، وضاعف عدد القرابين الدائمة، فإن فى ذلك الخير كل الخير لمن يقوم به.

أعل من شأن آثارك ونمها، ما دمت تمتلك القوة على ذلك، وأن يوما واحدا (أى من عمل مجيد) قد يؤدى إلى الخلود، ورب ساعة واحدة تحقق نفعا للمستقبل.

إن الله عليم بمن يعمل من أجله».

وينتهى هذا الجزء من الرسالة بالكلام عن أعداء مصر، ويتطرق الحديث ويتشعب إلى الجزء الثانى الذى ننتقل إليه الآن.

الجزء الثانى :

والجزء الثانى من الرسالة الذى يبدأ بعد ذلك، يشير إلى طائفة من المسائل السياسية المختلفة كما يشير إلى ما قام به الوالد من أعمال، وهذا الجزء يبدو غير مكتمل الوضوح بالنسبة إلينا، لأنه يشير إلى أحداث لا نعلم عنها الكثير، ومجمل ما نعلمه مما يلى، ومن بعض المصادر الأخرى أيضا، هو أن سلطان هذا الملك لم يمتد حتى يشمل مصر كلها، وإنما كانت توجد بلاد جنوبية لم تكن تخضع لسلطانه.

ويستطرد هذا الملك فى حديثه فيقول :

«إن الجيل الجديد يظلم نفسه، وهذا ما تنبأ به الأسلاف، ان مصر تحارب فى المدافن، والقبور تنتهك حرمتها .

لا تسىء علاقاتك مع البلد الجنوبى، أما فيما يتعلق بمدينة «طينه» فلقد استوليت عليها، ولكنى أنصحك الآن بأن تكون رحيما لينا، فمن الخير لك أن تنظر إلى المستقبل وتعمل له.

حسن علاقتك مع البلد الجنوبى، فيحضر إليك حملة الأكياس بالهدايا، لقد فعلت مثلما فعل الأجداد، وإذا لم يكن لديه من القمح ما يعطيه فقابل الأمر بالرضا ماداموا مستضعفين، واكتف بخبزك وجعتك.

إن الجرانيت الأحمر يأتى إليك هو أيضا دون عائق فلا تلجأ إلى الاضرار بمبانى غيرك، بل اقتلع لنفسك أحجارا من طى.

لا تشيد مقبرتك مما أخذ من مقابر أخرى هدمت. أعمل الفكر فيما فعلت، وانسج على منواله، فلا يكون لك عدو داخل حدودك».

وما يلى ذلك يتعلق بالأحوال فى الدلتا، التى كان جانبها الغربى معرضا دائما لغارات الليبيين. وهذه هى الأجزاء التى يستطاع فهمها من النص :

«ثم قام رجل حاكم فى المدينة قد امتلأ قلبه بالأسى بسبب الدلتا ... فنشرت السلام فى الغرب جميعه حتى حدود البحيرة، كما كانت الأمور سيئة على الجانب الشرقى للدلتا، فقد انقسمت إلي أقاليم ومدن، وأصبحت سلطة رجل واحد فى يد عشرة، ولكنهم الآن يقدمون كشفا كاملا بجميع أنواع الضرائب ويدفعون الجزية إليك كما لو كانوا عصبة واحدة، وسوف لا يكون بينهم أعداء أشرار، ولا خوف عليك من ألا يجرى النيل بالفيضان، فاطمئن بحصولك على حاصلات الدلتا .

وأن الحد الشرقى للمملكة قد أصبح آمنا الآن ضد البدو الآسيويين.

انظر ! لقد دققت أربطة السفينة وثبتها إلى الشاطئ فى الشرق وأصبحت الحدود من مدينة «هبنو» إلى طريق حورس عامرة بالمدن ومليئة بقوم من خيرة أهل البلاد حتى يدفعوا أسلحة الآسيويين وغاراتهم.

«إنى أتوق إلى رؤية رجل شجاع يساوينى فى هذا، ويعمل أكثر مما عملت.

وهذا يقال أيضا فيما يتعلق بالبرابرة، أولئك الآسيويين التعساء الذين يعيشون فى بلاد سيئة ذات ماء ردىء، الوصول إليها صعب بسبب تكاثر الشجر، وطرقها سيئة بسبب الجبال. قوم لا يقيمون فى مكان واحد، بل أن أقدامهم فى تجوال دائم. وهم يقاتلون منذ عصر حورس ولا يقهرون أحدا، ولكنهم أيضا لا يقهرون، وهم لا يعلنون أبدا عن يوم القتال، شأنهم فى ذلك شأن رئيس عصابة اللصوص.

ثم يستطرد إلى ذكر الأجانب فيقول :

«لقد جعلت الدلتا تضربهم، وأسرت أهاليهم، ونهبت ماشيتهم، فلا تجشم نفسك مشقة فى شأنهم».

ثم يذكر من بين المدن التى عمرها بالأهالى ، مدينة «كموى» فيقول : «انظر ! انها فى نقطة مركزية، وقد حصنت جدرانها للقتال، وزاد عدد جنودها، وكثر أهاليها».

ثم ينتقل إلى ذكر اقليم «دد - اسوت» الذى ربما كان يقع على مقربة من منف، فيقول : «إن عدد سكانه عشرة آلاف رجل من المواطنين، يستمتعون بحق الإعفاء من الضرائب والمكوس، وكبار الرجال فيه قد تعودا منذ عصر حورس على الذهاب إلى العاصمة.

إنه إذا قامت الثورة على حدودك من جهة البلد الجنوبى، فإن الأجانب فى الشمال؟ سيبدءون القتال هم أيضا. فشيد لذلك مدنا فى الدلتا فاسم المرء لا يصغر بما عمله وإنما يعظم، والمدن الآهلة بالسكان لا يصيبها ضرر.

أقم المدن فإن العدو يفرح إذا ما رأي الضرر يصيب أحدا. وقد قال الملك «اختويس» فى تعاليمه :

«إن من يسكت على إساءة المتبجح يضر بنفسه ضررا عظيما، وأن الله يهاجم من يسىء إلى المعبد».

ثم تعود الرسالة بعد ذلك فتتحدث عن موضوعات أعم فتقول :

«قدم فروض الطاعة والإجلال لله، ولا تقل أنه ينسى.

والآثار التى أقامها الملوك الآخرون لا تقربها بضرر، حتى لا يجىء ملك بعدك فيضر بالآثار التى أقمتها.

وأنه لا يوجد إنسان ليس له عدو».

ينبغى على الحاكم أن يكون محيطا بكل شىء :

«انه عليم بكل شىء، ذلك هو حاكم شاطئ النهر، وليس هناك ملك طائش، مادامت تقوم من حوله حاشية صالحة، وهو فطن حكيم، منذ اليوم الذى خرج فيه من بطن أمه».

روح التقوى والورع نحو الأسلاف :

«ان الحكم مهنة شريفة، إن الحاكم إذا لم يكن له ولدا أو أخ يحيى ذكره ويخلده، فلا يمنع ذلك من أن يقوم الحاكم بإحياء آثار غيره. فكل حاكم يحب أن يفعل ذلك لمن سبقه إذا أراد لما أقامه هو أن يعنى به الخلف الذى يأتون من بعده.

انظر ! لقد حدث أمر منكر فى عهدى : فإن أقاليم «طينه» قد انتهكت حرمتها، ولقد حدث هذا حقا نتيجة لما فعلته، ولكنى لم أعرف ذلك إلا بعد أن تم عمله. لقد كان هذا شرا... فكن على حذر فى هذا الشأن. فإن الضربة تقابل بمثلها».

الإله والبشــر :

«يمر الجيل من الناس، والله العليم بالأخلاق قد أخفى نفسه.

اعبد الآله وعظمه حتى لو اتخذ لنفسه صورة شكلت من الأحجار الكريمة أو من النحاس لأنه كالماء الذى يحل محله الماء، ولا يرضى النهر لنفسه أن يبقى مختبئا، وإنما يكتسح السد ؟ الذى يخفيه.

إن الروح تذهب إلى المكان الذى تعرفه ولا تضل عن طرقها التى سلكتها فى الأمس. ولذلك جمل بيتك الذى فى الغرب (أى قبرك)، وهيىء مكانك فى الجبانة كرجل عادل قام بعمل صالح ترتاح إليه القلوب.

أن الله ليتقبل فضيلة الرجل الصالح، وهى أحب إلى قلبه من ثور يقدمه الرجلالظالم.

افعل شيئا للآله حتى يجازيك بالمثل، بقربان تمتلىء به المائدة، وبنقش يخلد به اسمك.

والله عليم بكل من يعمل شيئا من أجله.

إن الله قد رعى الناس، وهم قطيع الله، وهو راعيهم. وقد خلق السموات والأرض كما يرغبون، وخفف من حدة الظمأ للماء، وجعل الهواء لتحيا به أنوفهم. وإنهم لصور منه خرجت من أعضائه، وهو يصعد إلى السماء حسب رغبتهم. وقد خلق لهم النبات والماشية والطيور والأسماك غذاء لهم.

ولكنه يعاقب كذلك، فقد قتل أعداءه وعاقب أبناءه بسبب ما دبروه عندما انقلبوا عليه.

وهو قد خلق النور حسب ما يرغبون، وجعلهم كذلك ينامون وهو يسمعهم عندما يبكون.

وجعل لهم حكاما من الأرحام أسنادا تستند إليها ظهور الضعفاء.

وجعل لهم من السحر سلاحا، يتقون به الحوادث.

وهو الذى قتل عاتى القلب فيهم، كما يقتل رجل ابنه أو أخاه.

ان الله عليم بكل اسم ».

وتنتهى هذه الرسالة بنصيحة عامة، لا يفهم منها إلا القليل :

«ليتك تصل إلى دون أن يتهمك أحد.

لا تقتل أحدا ممن يقفون قريبين منك بعد أن تكون قد امتحنته، والله يعرفه.

دع الدنيا كلها تحبك

انظر ! لقد حدثتك بخير ما فى نفسى من أفكار وآراء، فاعمل حسب ما تقرر أمامك».

تعاليم امنمحات الأول

لابنه «سنوسرت» (١)

يبدو أن هذه التعاليم كان لها نصيب كبير من الذيوع والانتشار فى عهد الدولة الحديثة، فقد عثرنا عليها مكتوبة فى أربع أوراق بردية، كما وردت أجزاء منها على نحو تسع قطع من اللخاف (الاستراكا).

ومعظم النسخ التى وصلت إلينا تمارين كتبها طلبة المدارس فى عهد الأسرة التاسعة عشرة (حوالى ١٣٠٠ ق.م)، ولذلك هى حافلة بالأخطاء.

وفي هذه التعاليم تصوير واضح للحوادث التى دعت الملك «أمنمحات الأول» (أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة : أواخر الألف الثانى ق.م) إلى إشراك ابنه «سنوسرت الأول» معه فى الحكم ، وفيها وصف للمؤامرة التى تعرض لها «أمنمحات» في شيخوخته وواجه فيها الموت، ونحس فيها أصداء ذلك القلب المتألم تتردد فى كل فقرة من فقراتها .

تعاليم أمنمحات الأول» :

«التعاليم التى ألفها جلالة الملك «سحتب ايب رع» ابن رع «أمنمحات» متحدثا برسالة صدق لابنه سيد الجميع». انه يقول :

١- «أنصت إلى ما أقوله لك، حتى تحسن حكم البلاد، وتسيطر على العالم، وتحقق الخير الوفير».

٢- احذر أتباعك، لا تقربهم وأنت بمفردك، ولا تملأ قلبك بأخ، ولا تصاحب صديقا، ولا تثق بأحد من الأتباع تقربه إليك، فهذه أمور لا فائدة فيها، ولا جدوى منها .

---

(١) المرجع السابق .

٣- إن نمت فاسهر على حياتك (حرفيا: قلبك) بنفسك، إذ ليس للرجل أصدقاء في يوم الشدة.

٤- لقد أعطيت الفقراء وأطعمت اليتامى وساعدت المحتاجين، ولكن أولئك الذين أكلوا خبزى هم الذين ثاروا ضدى، وذلك الذى مددت له يدى هو الذى أساء إلى.

وأولئك الذين لبسوا كتانى الرقيق نظروا إلى كخيال، وأولئك الذين تعطروا بعطرى دخلوا إلى مخدعى ليغدروا بى.

٥- إن تماثيلى وصورى قائمة بين الأحياء وأعمالى ذائعة بين الناس ومع ذلك، فقد دبروا مؤامرة ضدى لم يسمع بها أحد وصراعا كبيرا لم يره أحد. لقد قاتل الرجال في مكان الصراع ونسوا ما كان بالأمس.

إن حسن الطالع (الحظ) لا يكون من نصيب من لايعرف ما يجب أن يعرف.

٦- لقد كان ذلك بعد وجبة العشاء، عندما أرضى الليل سدوله(١)، وانصرفت إلى مخدعى لأستريح بعض الوقت، فرقدت على سريرى من شدة التعب، وبدأ قلبى يغفل ونمت، وسرعان ما شعرت بالأسلحة وكأنها تتحرك، وكأن إنسانا يسأل عنى فقمت وكأنى ثعبان الصحراء.

٧- وقمت من نومى لأقاتل، وكنت وحيدا بمفردى ووجدت أنها حرب جنود الحرس ولو كنت أسعفت بالسلاح في يدى لكنت قد شتت شمل الغادرين الجبناء، ولكن لا شجاعة فى الليل، ولم يكن فى مقدورى أن أحارب وحدى، فالشجاعة لا تأتى لمن يؤخذ على غرة، ولم تكن أنت معى لتحميه،

---

(١) سدوله : أستاره .

٨- ثم انظر فقد حدثت أمور سيئة، لأنى كنت من غيرك، وكان رجال البلاط لا يعلمون أنى قد نقلت سلطتى إليك، ولم أعد أجلس معك على العرش، فدعنى أعمل طبقا لمشورتك، لأنى لم أعد أخشاهم، ولكن قلبى لم يفطن إلى تراخى الخدم.

٩- هل دبر النساء المعركة ؟ وهل تربى القتلة داخل قصرى ؟ وهل خدع الخدم فيما فعلوا ؟ ولكن النحس لم يمش فى ركابى منذ ولدت، كما لم يوجد ند لى فى أعمال البطولة.

١٠- لقد شققت طريقى إلى الفنتين، وسرت إلى الدلتا، ووقفت عند حدود البلاد، ورأيت مركزها، ووسعت حدود سلطانى بقوتى وشجاعتى.

١١- لقد زرعت القمح، وأحببت الآله «نبر» وحيانى النيل فى كل واد. ولم يشعر أحد بالجوع أو العطش فى عهدى، وكان الناس راضين عما فعلت وكلهم يقول : «لقد أجيبت كل رغبة».

١٢- ولقد اذللت الأسود وقهرت التماسيح، وألقيت بالنوبيين ـ .. أقدامى، وأبعدت النوبيين الجنوبيين، وجعلت الآسيويين يفرون كالكلاب.

١٣- وأقمت لنفسى بيتا مزينا بالذهب، حلى سقفه باللازورد، وكانت لجدرانه أسس عميقة، واتخذت أبوابه من النحاس، ومتاريسها من البرونز صنعت للخلود، وتتحدى الأبدية.

عبقرية الحضارة المصرية القديمة

خلفية تاريخية (١)

تعتبر أصول المصريين القدماء منذ فجر التاريخ البشرى.. هى أنهم كانوا من أصول نوبية وحبشية وليبية وآسيوية سامية من الجزيرة العربية. وكان هؤلاء يأتون وراء الماء والكلأ للرعي. وامتزجت هذه السلالات ببطء ما بين عامى ٤٠٠٠ و ٣٠٠٠ ق.م .. ونتج عن هذا الامتزاج السلالى شعب مصر الذى أقام حضارته فوق ضفتى النيل.

فالمصرى القديم نجده قد اندفع من الصحراء حول الوادى إلى النهر حيث استقر بجواره وزرع الأرض السوداء بمائه. وساعد موقع مصر المكانى على الاستقرار لأن الصحراء تحيط بها من الغرب. وفي الشمال يوجد البحر الأبيض المتوسط ومن الشرق سلسلة جبال البحر الأحمر وفى الجنوب توجد مجاهل أفريقيا. ولهذا شعر المصرى القديم منذ فجر تاريخه بالاستقرار ومتعة المكان الطبيعية.

ويعتبر النيل مصدر حياة المصريين. لأنه يفيض كل عام بالفيضان الذى كان يكتسح أمامه كل شيء يغرق القرى والنجوع والبيوت. لهذا اختار المصرى القديم موقع بيته فوق مكان مرتفع وكان يقيمه من الخوص.

وبنظرة عامة لتاريخ مصر القديم .. نجده عبارة عن ٢٨ أسرة متعاقبة حتى أتى الإسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق.م، وقضى على الأسرة ٣١ لتدخل مصر عصور الحكم الإغريقى ثم الرومانى فالبيزنطى ثم الفارسى لتعود بيزنطية مرة ثانية. حتى دخلها الإسلام لتصبح دولة عربية إسلامية.

---

(١) كتاب عبقرية الحضارة المصرية - د/ أحمد محمد عوف - مجلة الأسرة .

وكانت مصر فى مطلع التاريخ مقسمة لعدة أقاليم سكن كل إقليم أناس من أصول جغرافية واحدة. وكان لكل جنس شعاره ورئيسه وآلهه وطقوسه. ويعتبر هذا النظام السياسى نظاما عشائريا. ثم توحدت هذه الأجناس فى مملكتين إحداهما فى الشمال بمصر السفلى والأخرى بالجنوب بمصر العليا. وكان الشماليون آسيويين والجنوبيون أفارقة. وكان ملك الشمال يضع فوق رأسه تاجا أحمر وملك الجنوب يضع تاجا أبيض. فأتى الملك الجنوبى مينا ووحد القطرين ووضع لمصر الموحدة قانونا واحدا بعدما جعل منف العاصمة لملكه. مؤسسا الدولة القديمة التى بلغت أوج عظمتها فى الأسرة الرابعة حيث أقام الملوك خوفو وخفرع ومنقرع أهرامهم الشاهقة والتى تعتبر أكبر البنايات التى أقيمت فى التاريخ، ولم يقم مثلها فى البلاد. وهذه البنايات آنهكت موارد مصر.

ونشبت صراعات وثورات بين الأسرتين الخامسة والخامسة عشرة. وعمت الفوضي البلاد وأصبح بمصر أكثر من عاصمة وديانة بعدما دار الصراع المحتدم حول السلطة ومحاولة هيمنة كل ديانة عليها حتى غزا الهكسوس الرعاة الدلتا نازحين من آسيا إبان الأسرة السادسة عشر. وظلوا يحكمون مصر الوسطى والدلتا حتى ثار المصريون عليهم عام ١٦٠٠ ق.م.. وكانت حرب التحرير مع بداية الدولة الحديثة التى كونت امبراطورية ممتدة لنهر الفرات باتجاه الشرق ولا سيما إبان حكم تحتمس الثالث وأمنحتب الثالث حيث دانت لهما النوبة جنوبا وفلسطين والشام شرقا فى القرن ١٥ ق.م.

وظهر خلال الدولة الحديثة ملوك عظام أمثال تحتمس الثالث الذى أقام مدينة الأقصر وتوسع فى بناء معبد الكرنك وحتشبسوت الملكة الأسطورية التى خلفت آثارها وظهر في الأسرة الـ ١٨ رمسيس الثاني الذى أقام المعابد. وشهدت الدولة الحديثة التى أسسها الملك أحمس ثورة تل العمارنة إبان حكم اخناتون بعدما نقل العاصمة من طيبة لمدينته الجديدة تل العمارنة مقيما شعائر

دعوته الجديدة (تون).

وهذه تعتبر أول دعوة دينية توحيدية فى التاريخ. لهذا ثار عليه كهنة طيبة موئل دعوة (امون) وكان يعاونهم العسكريون مما أضعف هيبة وقوة المملكة وأفلت زمام سيطرة الملك من يد اخناتون على الأقاليم الشرقية بآسيا.

وفى عام ٧١٥ ق.م.. استطاع ملك النوبة شباكا ضم مصر للمملكة الكوشية بالسودان بعدما جعل نباتة عاصمته بأقصى الجنوب مؤسسا الأسرة ٢٥. لكن الملك بسماتيك الأول حرر الأراضى المصرية جاعلا عاصمته منف بالجيزة مؤسسا الأسرة ٢٦.

وفى عهد الأسرة ٢٧ .. استولى قمبيز على مصر عام ٤٠٤ ق.م. لكن المصريين ثاروا عليه بالدلتا لتصبح مصر محررة إبان الأسرة ٢٨. لكن الفرس عادوا واحتلوها عام ٣٤١ ق.م. ونهبوا البلاد ونقلوا التماثيل والكتب المقدسة لفارس. وظلوا حتى غزا الاسكندر الأكبر مصر عام ٣٣٢ ق.م. وفتحها وبعد عام أسس مدينة الاسكندرية التى أصبحت عاصمة دولة البطالمة الإغريقية.

وبنظرة شاملة .. نجد أن مصر كانت أول عاصمة موحدة لها فى منف بالجيزة بعدما كانت بهديت (بلامون) عاصمة مملكة الشمال وأمبوس (بلاص) عاصمة الجنوب. وكان الآله حورس آله مصر السفلى وست آله مصر العليا. وبعد توحيد القطرين أصبح بمصر حكومة مركزية موحدة بمنف العاصمة. لكن فى عهد الأسرة السابعة شهدت البلاد تولى ٧٠ ملكا فى سبعين يوما. لهذا لا يمكن تحديد أسمائهم. لأن البلاد كان يعمها الفوضى خلال ثورة البدو الذين اجتاحوا الدلتا فى هذه الفترة. كما شهدت فى الدولة القديمة من الأسرة الرابعة وحتى الأسرة العاشرة حوالى سبع عواصم.

ملامح حضارية

إذا كان الغرب يعيرنا أفكا نحن العرب بأن الإغريق هم أول صناع للحضارة الإنسانية بلا منازع. فهذه المقولة افتئات طاغ على الحقائق التاريخية الدامغة. لأن حضارات المشرق العربى هى أصل كل الحضارات وأبرز هذه الحضارات حضارة وادى النيل التى ظهرت ونمت وإزدهرت فوق أرض مصر منذ فجر البشر ومنذ سبعة آلاف سنة حيث كان الأوربيون رعاة يعيشون بالكهوف.

فالمشرق العربى .. مهد الحضارات والأديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام. كما أن حضارات وادى النيل وحضارات الهلال الخصيب فى بابل وأشور وسومر والشام والحضارة الفينقية التى كانت روافدها من الحضارة المصرية القديمة وحضارة بلاد الرافدين. قد أفاضت على بلاد الإغريق فليس صحيحا أن الحضارة الهيلينية الإغريقية أم الحضارات.

لأن هذا القول افتراء ظل الغرب يردده حتى أصابته صدمة حضارية فرعونية عندما اكتشفت الأبجدية المصرية القديمة فى أعقاب اكتشاف الحملة الفرنسية لحجر رشيد وفك العالم الفرنسى شامليون رموزه وطلاسمه.

بعدها عكف علماء المصريات الأوربيون على أوراق البردى والنقوش فوق جدران المعابد وترجموا الكتابات الهيروغليفية فانبهروا لما طالعوه لأنهم أيقنوا أن الحضارة الإغريقية حضارة منقولة ومنحولة من حضارة قدماء المصريين. فانتابهم صدمة حضارية فرعونية من مطلع القرن التاسع عشر. بعدها انهالت البعثات الاستكشافية والأثرية على مصر ليفتش علماؤها عن كوامن هذه الحضارة الموغلة فى القدم.

وادعى علماء الحضارات القديمة .. أن جامعة الاسكندرية ومكتبتها اللتان

قد بناهما البطالمة الإغريق قد نقل علماؤهم علومهم الإغريقية إليها من بلادهم. وتناسوا أن هذه الجامعة قد بدأت تدرس علومها بالهيروغليفية ومكتبتها كانت تضم الكتب الفرعونية التى جلبت من مكتبات المعابد المصرية ولاسيما من جامعة المعارف الفرعونية التى كانت صروحا معرفية فى أبهاء المعابد.

وقد نقل الإغريق عنها العلوم وترجموها للغتهم. وكان مدينة نيقوطريس مدينة مصرية تضم العلماء والتجار الإغريق الذين سكنوها قبل الفتح الإغريقى لمصر ونقلوا منها الكتب والبرديات الفرعونية لبلادهم. كما أن هؤلاء العلماء كانوا مبعوثين ودارسين للعلوم المصرية.

وظلت جامعة المعارف الفرعونية لعدة قرون تؤدى رسالتها التعليمية حتى فى عصر الإغريق. لأنها كانت بالجنوب بطيبة بعيدا عن هيمنة وسلطة الحكومة الإغريقية بالاسكندرية حيث كانت جامعتها مقصورة على الإغريق فقط. بهذا.. استطاع المصريون الحفاظ على تراثهم العلمى والعقائدى فظلوا يتبعون المناهج العلمية والنظم التعليمية بصعيد مصر.

وكطبيعة مصر الجغرافية .. ظلت لعدة قرون منذ فجر تاريخها فى عزلة عما حولها. فلم تكن على صلة بالمشرق بآسيا ولا صلة بالإغريق الذين يفصلهم البحر الأبيض المتوسط عنها ولا بالجنوب حيث أدغال افريقيا ولا بالغرب حيث الصحراء الغربية ولا بالشرق حيث البحر الأحمر الذى عتبر حاجزا طبيعيا بينها وبين غرب آسيا.

وظلت هذه العزلة عدة قرون حتى بدأت تتجه بفتوحاتها باتجاه الشرق ولاسيما بعد غزو الهكسوس لشرق الدلتا. وأول احتكاك حضارى لها كان إبان الدولة الحديثة عندما أصبح لها أساطيلها التى كانت تجوب فى البحر الأحمر ولا سيما فى فترة حكم الملكة حتشبسوت التى وصلت مراكبها لبلاد بونط لجلب البخور والأبنوس والعبيد من الحبشة والصومال. وكان الأسطول المصرى فى

الدولة الحديثة يهيمن على السواحل الفينيقية وآسيا الصغرى لرد خطر الحيثيين هناك.

ونتيجة للعزلة الطويلة لقدماء المصريين عن جيرانهم ولا سيما فى الشرق الأدنى.. نجد أن لغتهم الهيروغليفية كانت لغة محلية بمصر.. بينما كانت اللغة المسمارية التى ابتكرها السومريون والتى كانت تكتب على ألواح من الطين الجاف.. هى لغة بلدان ما بين النهرين بشمال العراق. لأنها كانت لغة البابليين والسوريين الفنيقيين والكنعانيين بفلسطين وهى اللغتين العربية والعبرية.

ومن خلال هذا المنظور الحضارى .. كانت بقية شعوب العالم القديم تنظر لشعب مصر الفرعونية على أنه مختلف عن بقية البشر لا يمكن فهم قيمه الحضارية ولا سيما وأن أساطيره القديمة كانت كلها تدور حول الآلهة التى جسدها فى قوى الطبيعة من حوله..

لهذا نجد أن قدماء المصريين لم يتناولوا أشخاصا بذاتهم من بنى البشر فى هذه الأساطير حتى ملوكهم أغفلوهم فيها. وأبعدوهم عنها حتى ولو من قبل التعظيم لهم، لكنهم أبعدوهم عن الرمزية الأسطورية رغم أنهم فى حياتهم أضفوا على هؤلاء الملوك الألوهية والتقديس وصوروهم فوق جدران مقابرهم ومعابدهم.

ولم تكن عزلة قدماء المصريين عمن حولهم عزلة مطلقة.. فمع انفتاحها على المشارقة وأهل الجنوب كان هناك معاملات تجارية محدودة. فصدرت مصر ثقافاتها فى ركاب القوافل التجارية مع الشرق عبر الطريق البرى ببرزخ السويس والطريق البحرى بالبحر الأحمر عندما كانت الأنهار تصب فيه فى الأزمان القديمة.

فتوجهت العلوم المصرية المزدهرة إلى آسيا وبلاد بنط بشرق افريقيا رغم أن مصر كانت معزولة جغرافيا عن بقية القارة الأفرقية ما عدا شمال السودان

والحبشة والصومال. لهذا قامت فى جنوب النوبة حضارة كوش وهى نسخة طبق الأصل من حضارة مصر القديمة بأهرامها وتماثيلها التى ما زالت موجودة هناك حتى الآن.

من هنا .. نجد أن الحضارات القديمة فى الشرق الأدنى وشرق وشمال شرق البحر الأبيض المتوسط هى حضارات منقولة عن الحضارة المصرية القديمة. لكن هذه الحقيقة تاهت وسط الارهاصات الفكرية والحضارية لدى الغرب. لأن الحضارة المصرية قد مدت الجسور المعرفية من مصر لكل المراكز الحضارية بالعالم القديم ما عدا الصين لأن الحضارة الهندية كانت على صلة وثيقة بحضارة الفرس.

ويتميز التفكير المصرى القديم بالعقلانية والواقعية ولا سيما عندما حاول قدماء المصريين بعقلهم السيطرة على قوى الطبيعة من حولهم. فحاولوا فهمها خطوة خطوة لترويضها واستغلالها وترشيدها بتآن وصبر وجلد. وكان المصرى القديم يتقن فن الموائمة بين السيطرة عليها وفهمها واستيعابها.

لهذا نجد أن العلوم المصرية القديمة كانت علوما تطبيقية. فلقد أخذ المصرى القديم يشكل حجر الصوان كآلات حادة أو أوان شكلها وصقلها فصنع منها الأكواب والزلع والتماثيل والأطباق. وصنع من فروع الأشجار روافع واستخدام النار ليطهو بها طعامه وللدفء.

وخزن حبوبه فى الزلع والقدور التى صنعها من الفخار. وصنع أكوابه من الزجاج ولونها بأملاح المعادن. وزرع الأرض وفلحها ليدبر قوته ويستغنى عن الصيد والقنص. واستخدم النباتات والبذور فى الزراعة.

وأخذ يربى حيواناته وطيوره. وبهذا النمط الحياتى أصبح سيد بيئته. وحاول تسخير الطبيعة وتغيير مساراتها. فلجأ للأساطير والسحر للشفاء من

أمراضه. وتطلع لما حوله فأنكر فكرة الخلق للشمس والأرض والنجوم بعدما اهتدى بفكره للتوحيد الآلهي ممثلا فى دعوة اخناتون[1].

وإذا أردنا تقييم الحضارة المصرية القديمة ومضاهاتها بالحضارات الأخرى بالعالم القديم سواء أكانت حضارات عاصرتها أو لحقت بها. فإن الحضارات الأولى بزغت معتمدة على مورد ثابت للمياه.

فقامت الحضارة الفرعونية متاخمة لنهر النيل وحضارات بلاد الرافدين قامت فى منطقة الجزيرة بين نهرى دجلة والفرات بشمال العراق حيث استقرت القبائل الرحل نازحة من أراضى الندرة المائية وأصبح قوتها الحبوب التى أخذت تزرعها بعدما كانت تعيش على لبن الحيوانات الرعوية.

وكثيرا ما تعرضت حدود مصر لغارات هؤلاء الرعاة الذين كانوا ينهبون ديارها ومن بينهم الهكسوس الرعاة الذين وفدوا من شمال الجزيرة العربية عبر برزخ السويس غازين شرق الدلتا.

والإغريق قبل مجيئ الاسكندر الأكبر لمصر وغزوه للفرس.. كانت حضارتهم لا تتعدي الحكمة والفلسفة النظرية الجدلية لأنهم كانوا شعبا من الرعاة. وكانت علومهم علوما نظرية بحتة تدور حول الأساطير والكون. لهذا لم يقيموا لهم حضارة على أرض الواقع. وبعد احتلالهم لمصر.. استطاع علماء وفلاسفة الإغريق تطوير علومهم بعدما تعلموا العلوم المصرية كالطب والهندسة والكيمياءوالعمارة.

فعندما جاءوا لمصر وجدوا بها حضارة موغلة فى القدم. فانبهروا بها. وهذا ما نطالعه فيما كتبه رحالاتهم فى كتاباتهم. فالعلوم الإغريقية المحدثة هى نتاج علمى نبت فى جامعة الاسكندرية الإغريقية.

(١) التوحيد هو عبادة الله وحده والإقرار بربيته وأسمائه وصفاته .

والفكر الإغريقى الجديد هو خليط من افر المصرى القديم حيث ولفه فلاسفة وعلماء الإغريق السكندريين مع علومهم. حتى نجد الأفلاطونية المحدثة هى نتاج جامعة الاسكندرية الإغريقية.

وحضارة مصر عمرها ينيف على سبعة آلاف سنة .. أى منذ ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد. بينما نجد حضارة السومريين لا تتعدى أربعة آلاف سنة وهى سابقة لحضارات الحيثيين فى آسيا الصغرى والآشوريين والكلدانيين ببلاد الرافدين.

وواكب ظهور الحضارة السومرية (البابلية) بداية ظهور الحضارة الصينية.

وكل هذه الحضارة القديمة تعتبر حضارات قزمية مقارنة بعظمة وإنجازات الحضارة الفرعونية بأوابدها الضخمة وصروحها التى تحدت الزمن وعلومها التى كانت لها مصداقية علمية فيما بعد.

كل هذه الحضارات الشرق أوسطية نجدها أقدم من الحضارة الإغريقية التى تشكلت ملامحها على أكتاف هذه الحضارات القديمة.

رغم أن حضارات بلاد الرافدين منذ الإمبراطورية السامية التى قامت ٢٧٥٠ ق.م. وحتى عام ٣٣٠ ق.م. لم تتحدد خلال هذه القرون ملامح حضارتها الا بعد عام ٣٣٠ق.م. بعد أن غزاها الاسكندر فعرفت شعوبها الحديد والخيول التى تجر العربات والكتابة والحساب والنقود رغم أنها كانت شعوبا مستقرة تزرع أرضها وتبنى مدنها ومعابدها ولها لغتها المسمارية البدائية التى كانت تكتبها على ألواح من طين الصلصال.

مما سبق .. نجد أن الحضارة المصرية القديمة بإنجازاتها الضخمة والمذهلة هى أقدم حضارات الدنيا وأكثرها عمرا، وهذه الحقيقة انتبه لها علماء

الآثار فى مطلع القرن الماضى، لأن مصر لاعتمادها علي فيضان النيل كانت دولة مستقرة زراعيا واقتصاديا وهذا لم يتح للدول المعتمدة على الأمطار فى زراعاتها.

وأتقن قدماء المصريين طرق الزراعة والرى واستصلحوا الأراضى وفلحوها. كما شقوا الترع والقنوات والمصارف وأقاموا السدود واستحدثوا طرق الرى بالشادوف الذى يقوم على نظريات الرفع واستخدموا السواقى لرى الأرض وعرفوا الفأس والمحراث.

وكان مقياس رخاء مصر والانتعاش الاقتصادى بها يتمثلان فى عدد المراكب الملكية التى كانت تنقل المحاصيل الخراجية من الأقاليم لمخازن المملكة عبر النيل. لهذا كانت مصر مجتمعا غنيا ومتحضرا. يقوم فى كيانه السياسى على الملك نفسه يعاونه طبقة الأمراء والنبلاء والكهنة والفلاحين والعمال الحرفيين.

ويقوم، العمل في المملكة المصرية مرتبطا بفكرة الموت والبعث التى كانت تشغل فكر المصرى القديم بشكل ملحوظ. لهذا أقام قدماء المصريين الأهرام وصروح البنايات الضخمة والمقابر التى جعلوا فتحاتها باتجاه الشرق لاستقبال شروق الشمس.

وكانوا قد شيدوا هذه الأوابد الكبرى من الحجارة التى جلبوها من جبال أسوان والمقطم. ونقلوها بالزحافات والمراكب عبر النيل لمواقع البناء حيث قطعوها وسووها بعناية فائقة وحسب مقاسات وأحجام متماثلة. فكانوا يصقلونها بأزاميلهم ويرفعونها فوق المباني. وهذا العمل المضنى والشاق يعتمد على القوة الجثمانية للعمال المصريين الذين عملوا بصبر وبحماسة معمارية متقنة.

وأصبح قدماء المصريين من خلال المفاهيم والمعتقدات الدينية فى وعاء حدودى أغلق عليهم عدة قرون. لهذا نجدهم لم يتأثروا بغيرهم. فنجد تبعا لهذه

الفكرة قد أقاموا لأنفسهم العمارة الفرعونية المتميزة بسماتها القاصرة على مهارة وفن العمال المصريين الذين ابتدعوها وأتبعوا أساليبها الفريدة فى بناياتهم وعمائرهم.

وكانت العمارة المصرية القديمة من أعظم وأفخم الفنون التى كان يقوم بها قدماء المصريين. لأنها كانت تجمع بين الضخامة والروعة والجمال. فعبروا من خلالها عن اجلالهم لآلهتهم وملوكهم المؤهلين.

فنجد فى عصر الأسر .. أن ملوك الدولة القديمة كانوا قد شيدوا الأهرام الضخمة والمعابد المنيفة من الحجارة الكبيرة لأنها مادة الخلود. بينما كان قدماء المصريين يبنون بيوتهم من الطين أو البوص لأنها كانت فى نظرهم دورا مرحلية فى الحياة الدنيا.

واستمدت المبانى المصرية القديمة عناصرها البنائية والشكلية سواء من حيث الضخامة والعظمة.. من الطبيعة والمواد الخام المتاحة والمتوفرة لديهم. وينفرد المصريون القدماء.. بأنهم الشعب الوحيد فى العالم الذى سجل حضاراته فوق جدران معابده وصروحه ومقابره. فنراه قد كتب ونقش تاريخه وعاداته وحيته اليومية وصورها بدقة متناهية . لأن الفن المصرى القديم كان فنا ملكيا جماعيا. لهذا لا يعرف أسماء الفنانين أو المثالين أو البنائين أو النحاتين الذين صنعوه.

ولم يعرف الفنان المصرى القديم نظرية الأبعاد الثلاثة المنظومة. لأنه ابتدع لنفسه بعدا خاصا يفتقد للمنظور الخطى والفراغى. لهذا نجد المناظر الفرعونية لا تتسم بالبعد الثالث الذى يوحى لنا بعمق المناظر وأبعادها البصرية. وهذا سببه عدم تدرج الرسامين أو النقاشين بظلال الألوان وتموجاتها. لأنهم كانوا يصورون الأشياء والصور كما يرونها بأعينهم وكانوا يضعونها فى مستوى منظورى واحد جنبا إلى جنب .

ولم يراعوا فى المناظر البعد والعمق المنظورى للأشياء. فكان الفنانون ينقشون صور الأشخاص يشخصون بأعينهم ووجوههم ناحية اليمين ما عدا لو كان شخصان متقابلان فصوروا ينظر أحدهما للآخر.

وكان الملوك والأمراء وكبار رجال الدولة يرسمون بأكتافهم للأمام رغم ظهورهم فى وضع جانبى عكس عامة الشعب. فلقد كانوا يصورون من جانبهم بكامل أجسامهم وهم فى أوضاع جانبية.

وكانت مصر سلة القمح للعالم القديم.. لهذا استخدمت سلاحا اقتصاديا للضغط على الشعوب الأخرى التى تتمرد عليها أو لا تتبع سياساتها ولا سيما الحيثيين والأثينيين الذين كانوا يشكلون تهديدا وخطرا علي المملكة المصرية.

كما كان هناك تجارة عالمية بين مصر وبلاد بونت والنوبة ولبنان وسوريا حيث كانت مصر تستورد الخشب والأبنوس والنحاس والبرونز والفضة والبهارات. وكانت تصدر فى المقابل أوراق البردى والسمك المجفف والمنسوجات الكتانية والحبوب والذرة.

ويعتبر نهر النيل .. النهر الوحيد فى العالم الذي ينبع من الجنوب ويتجه للشمال. وهذا الوضع الجغرافى استغله قدماء المصريين ملاحيا. لأن المراكب كانت تنساب بسهولة من الجنوب للشمال مع تيار الماء. ولأن الرياح فى مصر تتجه من الشمال للجنوب فاستخدمها المصريون فى دفع أشرعة المراكب لتسير ضد التيار ويوجهونها بالدفة والمجاديف.

وأيام التحاريق لا يوجد تيار مائى. فكان المراكبية يجرون مراكبهم من الجنوب للشمال يشدها بالحبال التى كان يجرها البحارة من علي البر وظل هذا الأسلوب متبعا فى المراكب الشراعية حتى اليوم. وكان زملاؤهم يعاونونهم من فوق المركب بدفع المجاديف.

وصنع قدماء المصريين مراكبهم وقواربهم وسفنهم من جدائل حبال أوراق البردى لندرة الأخشاب بمصر. وكانت مراكب شراعية ولها قلوع ومجاديف لتسير بها. وكان الأسطول المصرى يتكون من عدة سفن متنوعة من بينها سفن تجارية لنقل الحبوب أو الماشية والبضائع وسفن حربية لنقل الأسلحة والجنود والمؤن. وكان هناك مراكب لنقل الحجارة من المناجم عبر النيل وقوارب للنزهة أو الصيد ومعديات لعبور النهر.

وعرف العمال المصريون الاضرابات حيث قام عمال البناء باضراب وتمرد قبضوا فيه على رئيسهم وسجنوه حتى تدفع لهم رواتبهم المتأخرة. وقالوا لرئيسهم : لم يبق عندنا ثياب ولا زيت طعام. فاكتب للملك أو للحاكم ليعطينا نفقات وكانت الأجور تقدم فى شكل سلع عينية وغذائية.

مما سبق نجد الحضارة المصرية القديمة كانت حضارة تطبيقية وعملية. لأن قدماء المصريين فى تفكيرهم كانوا يبتعدون عن الجدل أو التفسير أو النظريات. واكتفوا بالظواهر والشواهد. لأنهم كانوا واقعيين فى حياتهم ومعيشتهم ، فنجدهم عندما اخترعوا الحساب والرياضيات.. كان هدفهم الأول تطبيقها فى قياس مساحات الأرض أو حساب الغلات وكميات المحاصيل وقياس الفيضان وأبعاد الأهرام أو المعابد عند البناء.

وكان الهدف من بقية العلوم تحقيق أغراض حوائجية أو متطلبات حياتية . حتى أساطيرهم.. كانت تستهدف إجلاء الغموض عن كوامن الكون من حولهم وتفسير لغز الموت والحياة الأخروية..

وكلها كانت مسائل قد لغزت عليهم. فأخذوا من خلال فكرهم الدينى والأسطورى يبحثون عن الحقيقة المجردة من حولهم. لهذا نسجوا أساطيرهم ووضعوا ترانيم عباداتهم فأثروا بفكرهم الميتافيزيقى فى الفكر العقائدى بالعالم القديم ولعدة قرون.

ولم يكن يشغل بال وتفكير المصرى القديم سوى قلة فيضان النيل. لهذا عبد النهر مصدر حياته وقوته. كما كان يقلقه دفع الضرائب وخراج الأرض الذى كان يقتطعه من قوته ليقدمه لجباة الملك وهو صاغر.. لاتقاء شرهم. لهذا عبد قدماء المصريين حكامهم ليتقوا شرهم وأذاهم لهم. وهذا ملا نلاحظه عندما جاء الاسكندر الأكبر عبدوه واعتبروه ابن الآله آمون.

المعمار والعمران (١)

يعتبر قدماء المصريين أول من قاموا بالعمران حيث أقاموا مدنهم وقراهم فوق الأماكن المرتفعة بمنأى عن مياه الفيضان التى كانت تكتسح كل شىء. وكانوا يحصنونها ويحصنون قصورهم ومعابدهم وقبورهم بأكوام من التراب حولها فى شكل أسوار منيعة. كانت تقام من هذه الأتربة أو من الطوب اللبن. وكانت المقابر تبنى منذ خمسة آلاف سنة بهذا الطوب على شكل بناء كبير مسقوف بخشب الأشجار بعد تقسيمه لحجرات ومخازن يوضع بها حاجيات الميت فى العالم الأخروى.

وكانت مساكن الفلاحين عبارة عن أكواخ من البوص وعيدان نبات البردى. بينما كانت قصور وبيوت الملوك والأمراء والأعيان من الحجارة التى استخدمها أمحتب وزير الملك زوسر لأول مرة فى البناء عندما شيد هرم سقارة المدرج بها وحوله المصاطب الحجرية التى سقفها بسعف النخيل.

لهذا نجد ظهور فنون العمارة كان فى عهد أمحتب الذى كان أول شخصية علمية ظهرت فى التاريخ. حيث وضع أسس الطب الفرعونى حتى أصبح لدى الفراعنة آله الطب فى مصر واليونان ومعظم بلدان العالم القديم.

وكان مهندسا معماريا موهوبا عندما وضع أسس الهندسة المعمارية حيث

(١) المصدر السابق.

كون طائفة المهندسين والبنائين والحرفيين الذين بنوا فيما بعد الأهرام الكبرى والمعابد والمباني الضخمة بالدولة القديمة. ويعتبر هرم زوسر بسقارة الذى بناه أمحتب فى شكله المدرج .. أول بناء حضاري مازال قائما حتى الآن.

وأتقن المصرى القديم.. كيفية تقطيع الحجارة التى كانت تجلب من أسوان وجبل المقطم حيث كانت تنقل عبر النيل لمواقع العمل بالضفة الغربية للنهر. وشكل حجر الصوان بأدواته النحاسية والبرونزية كتماثيل وأكواب وأوان.

واستطاع العمال المصريون .. في عمليات البناء.. رفع المداميك وتيجان الأعمدة والعتبات والكمرات الصخرية والحجرية .. وكانوا يقومون بهذا العمل بمهارة ولا سيما عندما كانوا يضعون فوقها الأسقف مستخدمين رفع الأثقال كالأحجار الضخمة.. أو بواسطة الزحافات الخشبية والحبال والعتلات والدرافيل.

فلقد نقلوا من أسوان المسلات الضخمة بعد تقطيعها هناك. وأحضروها لطيبة (الأقصر) . وكانت المسلة تزن ألف طن. وكان العمال يجرونها فوق عروق من الخشب طلوها بالشحم لمنع الاحتكاك. فتنزلق الزحافة بيسر فوق هذه العروق الخشبية لتصل للشاطئ حيث توضع فوق مراكب الشحن الضخمة. وقد تحمل هذه المراكب مسلتين معا وكانت المركب يجرها ٢٧ قاربا ويجدف بها ٨٠٠٠ شخص.

وأقام قدماء المصريين قراهم ومدنهم ومجتمعاتهم العمرانية متلاصقة ببعضها وفوق أماكن مرتفعة قريبة من النهر. ولما زار هيرودوت مصر سنة ٤٥٠ ق.م. راعه امتداد العمران على ضفتى النيل عندما رأى مدنا كبرى بها المعابد والمقابر ومعسكرات الجيش.

وكانت أسماء المدن تحمل أسماء الآلهة الفرعونية كبيت وأوزوريس (أبو صير) ومدينة هور (دمنهور) وجزر آمون (البلمون) وشمون (أشمون) وهذه الكلمة مع معناها الثمانية آلهة.. وتل باسط (تل باسطة).

كما كانت بعض المدن تسمى حسب طبيعتها.. فأسوان سميت نسبة لبحيرة (سن) وقليوب نسبة لقناة قليوب ومريوط نسبة لبامريت (بحيرة مقدسة). وما زالت بعض المدن تحمل نفس أسمائها الفرعونية مع تحريف فى النطق. فالفيوم كانت بحر يوم وبانوب كانت نسبة للمعبود(نوب) وأخميم نسبة للمعبود (خنت أو حيم) وأرمنت نسبة للمعبود (منت).

واتخذت مصر عدة عواصم لها خلال تعاقب عهود ملوكها. وكان اختيار العاصمة يتحكم فيه الظروف السياسية التى كانت تسود وقتها. وكانت أول عاصمة لمصر الموحدة تنيس (البربة) بجرجا أيام حكم الملك مينا للوجه القبلى وبعد توحيد القطرين نقلها لمنف (ممفيس أو ميت رهينة) قرب الجيزة.

وكلمة منف معناها السور الأبيض. لكن أبان الدولة القديمة نقلت العاصمة إلى (دهشور) وأبو رواش. ثم نقلت بعد الثورة التى قامت فى عهد الأسرة الثامنة لطيبة إلى أن نقلها الملك اخناتون لتل العمارنة بالمنيا..

وحسب الأحوال السياسية والعسكرية كانت العاصمة الفرعونية تتأرجح ما بين الشمال والجنوب. فنجدها وقد انتقلت ليوباسستيس (تل بسطا) بالشرقية ولساس (صا الحجر) وسبيت (سمنود).. ونراها وقد انتقلت بجزيرة الفنتين بأقصى الجنوب. وفى أيام الاسكندر الأكبر انتقلت لمدينة الاسكندرية التى أقامها وظلت حتى الفتح الإسلامى لمصر عاصمة إقليمية تابعة لتكون مدينة الفسطاط أول عاصمة لمصر الإسلامية.

وفكرة بناء الأهرام أخذت عن فكرة الربوة الأولى التى ظهرت وسط المياه كما تقوم الأسطورة الفرعونية. كما أن الدهاليز بداخلها هى على غرار الممرات الموجودة فى العالم السفلى حيث توجد الشمس.

وعامة نجد أن الشكل الهرمى موجود فى الطبيعة حتى أن الأجسام

الصلبة المتشابهة أو الحجارة المتجانسة لو ألقيت على علو فانها تهبط فوق الأرض لتشكل شكلا هرميا.

كما أن ضخامة الأهرام أو المعابد كانت تعبر عن قوة أو ضعف العصور التى شيدت فيها. ففى عهد خوفو كانت مصر فى أوجه عظمتها. فبنى لنفسه الهرم الأكبر تحدى به الزمن. بينما هرم منقرع أحد ملوك هذه الأسرة القديمة.. نجده صغيرا لأن الدولة كانت تمر بأزمات ودب فيها الضعف والوهن والإنحلال.

واختار قدماء المصريين أهرامهم على حافة الصحراء الغربية وفى مكان منعزل فوق ربوة وبجوارها أبو الهول بجسم أسد ورأس فيلسوف صامت يقبض بمخالبه القوية فوق الرمال ويحدق بنظراته لكل من ينظر إليه بفكيه البارزين. ونظرته نجدها قاسية وجامدة..

وبعد عهد الملك بيبى الثانى (٢٢٥٠ ق.م.) الذى يعتبر حكمه أطول حكم فى التاريخ.. نجد أن النبلاء قد استولوا على السلطة. لهذا تحولت فكرة بناء الأهرام كمقابر.. إلى توابيت حجرية مزدوجة وضخمة. وصورت عليها المناظر التى كانت تزين المقابر القديمة. ووضع على غطاء التابوت قناع يصور وجه الميت وعليه نقشت فقرات من كتاب الموتى. وكان يصنع من الجرانيت أو البازلت.

وبصفة عامة .. نجد أن العمل في إقامة هذه المنشئات نوع من الضريبة كان يؤديها المواطنون للدولة كسخرة. وضريبة أعمال السخرة هذه .. كان على المواطن تأديتها سنويا فى موسم الفيضان. وكان العبء الأكبر فيها يقع على الفلاحين لفقرهم.

وكان الأعيان يدفعون البدلية ليعفوا منها. لهذا كان موقع العمل يضم الفلاحين من شتى أقاليم مصر ولو فر أحدهم كان ينزل به عقاب رادع.

إلا أن هذه الأعمال المتنوعة سواء فى بناء الأهرام أو المعابد أو فى شق الترع والمصارف قد أكسبتهم خبرة ومهارة كما اكتسب المهندسون والحرفيون مهارات متميزة،، لهذا كان لهم حظوتهم عند الملك لأنهم يبنون له مقبرته فكان يدفع لهم أجورهم المجزية. وكانوا يعملون كل عشرة أيام ثمانية أيام بمعدل ٢٤ يوما فى الشهر ليستريحوا فيه ستة أيام يعملون فيها فى القطاع الخاص لحسابهم وفى خلسة.

وكان للعمال مدنهم العمالية بجوار مواقع العمل وكانت بيوتهم متشابهة وقد بنيت بالطوب اللبن وسقفها من الخشب والباب له حلق خشبى والجدران من الداخل كانت تكسى بالجص. والبيت كان مكونا من أربع غرف وبداخله سلم يوصل للسطح. أما بيوت رؤساء العمال فكان يلحق بها فناء له أعمدة تشبه البهو.

وعندما كان الملك يموت فكان العمال يفصحون عن فرحتهم قائلين : مات الملك عاش الملك. لأن الملك الجديد سوف يكلفهم بعمل مقبرة له. فيصدر تكليفه للوزير لتشكيل لجنة تختار موقع المقبرة الجديدة وتقوم بوضع تصميماتها.

ثم يقوم العمال بالحفر فى الحجر بالأجنة النحاسية والأزاميل التى كان الكاتب يسلمها كعهدة لهم. ولما يفرغ العمال من نحت هيكل المقبرة ببطن الجبل يقوم عمال المحارة بتبطين جدرانها الحجرية بالجص ويدهنونها بالطلاء الأبيض. ثم يقوم الرسامون برسم الصور وكتابة النصوص الجنائزية وتصوير المناظر باللون الأحمر ويضيفون عليها بعض الروتوش باللون الأسود.

ثم يقوم النحاتون بنحت الصور بواسطة أزميل من البرونز. وكانت المناظر تنقش بالنقش البارز أو الغائر مع تزيين سقف المقبرة بالنجوم لتشبه قبة السماء.

وصور الفنانون على جدران المقابر مناظر الحياة اليومية فى مصر

الفرعونية. وكان يضفى عليها أبهة باظهار الخدم والحشم فى العصور. وكان الفنانون واقعيين عندما صوروا حياة البؤس والشقاء التى كان يعيشها الفلاحون وعامة الشعب.

ولم يكن للمعدمين قبور يدفنون بها. وكان يلقى بجثمانهم فى العراء فوق رمال الصحراء لتنظفها النسور والحدأة.. لكن مع الوقت .. أخذوا يوارون الميت فى حفر بسيطة مع وضع بعض الأشياء والأوانى والتماثيل الرخيصة معه.

وكانت المقابر عبارة عن حجرة لدفن المومياء ومعها كنوزها وكان يلحق بها مقصورة جنائزية مكشوفة عند مدخل المقبرة التى كانت تنحت بالصخر. وكان المصريون القدماء يعتقدون أن الميت يشاهد السماء والعالم الخارجى من هذه المقصورة وكان الكهنة يؤدون فيها طقوسهم الجنائزية. لكن مقابر الملوك والملكات بوادى الملوك غرب الأقصر كانت عبارة عن بهو كبير منحوت فى باطن الجبل وحوله عدة حجرات أفقية. وفى نهاية البهو كان يوجد بئر خلفه حجرة الدفن السرية.

واهتم قدماء المصريين براحتهم الأبدية بعد الموت أكثر من إهتمامهم بحياتهم الدنيوية. لأن الموت كان فى نظرهم امتدادا للحياة السرمدية والخلود الأبدى وكان علي أهل الميت تقديم الطعام له بصفة منتظمة. ولما تقاعسوا عنه رسموه على جدران المقابر.

لهذا نرى على هذه الجدران صور الحقول تحرثها الثيران السمينة وخبزا فى الأفران والمحاصيل وهى تحصد فى حقولهم والماشية وهى تذبح وتقدم لحومها للميت فى الأطباق.

وهذه الصور الحياتية آلت إلينا لنتعرف من خلالها على معيشة المصريين القدماء كما صوروها فوق الجدران.

وكان لقدماء المصريين مدرسة فنية خاصة بهم. واستغلوا الأشكال النباتية فى تزيين الأعمدة وأبهاء المعابد. فلقد بنوا الاعمدة على هيئة جذوع الأشجار وأغصانها. وعادة ما كانت تقام هذه الأعمدة على هيئة جذوع النخيل.

لهذا سميت بالأعمدة النخيلية ذات السيقان المستديرة. وكانت تيجانها تشبه سعف النخيل أو زهرة اللوتس كما فى الأعمدة اللوتسية وكانت هذه الأعمدة فى شكل أعواد مستديرة فوقها تيجان على هيئة براعم زهرة اللوتس سواء أكانت مقفلة أو مفتوحة الشكل.

وكان قدماء المصريين يعتقدون أن زهرة اللوتس المائية هى أحد أشكال الاله الأعلى الذى تخرج منها روحه العظيمة بعد تفتحها. وكان يوجد أيضا .. الأعمدة البردية التى كانت تضيق عند القاعدة وهى مستديرة وتيجانها مقفولة أو تضع على شكل زهرة ناقوسية مفتوحة.

وكانت هذه الأعمدة تطلى بألوان حمراء أو خضراء أو صفراء زاهية.

وفى الأسرة (١٢) .. نقل الملك أمنحتب الأول العاصمة من منف بالجيزة لطيبة بالأقصر. وجعل عاصمته الجديدة متحفا حضاريا للمعمار الفرعونى القديم. وظلت هذه الأسرة قائمة حتى أتاها الهكسوس الرعاة واكتسحوا الدلتا بعجلاتهم التى كانت الخيول تجرها. فأحرقوا معظم المدن التراثية وهدموا الكثير من المعابد ونهبوها وقضوا على كثير من المهن والصناعات.

وظلوا فى غلوائهم حتى قامت الأسرة الـ ١٨ فطردهم الملك كامى ومن بعده أخوه أحمس. وعاود حكام هذه الأسرة بناء الهياكل الضخمة والمحلاة بالذهب فى عاصمتهم طيبة.

الفنون المصرية

يعتبر الفن المصرى القديم له سماته الخاصة به سواء فى الطرز المعمارية أو الأطر الزخرفية أو الأشكال التصويرية. فمعظم المناظر التى صورت على جدران المقابر كانت عبارة عنر مظاهر أسطورية بينما نجد معظم المناظر التى سجلت على جدران المعابد.. هى مناظر تسجيلية وحياتية.

ولعبت فكرة الموت والخلود دورا كبيرا فى التصوير الفرعونى. لأن الفراعنة كانوا يعتقدون أن الموت عبارة عن انتقال الشخص من زمن لآخر أي انتقاله من حياة الأمس واليوم إلى حياة الغد. ومن خلال هذا المفهوم العقائدى شيدت المقابر والمعابد والأهرام.

لهذا نجد أن قدماء المصريين أول من سجلوا عقائدهم وحكمتهم وعلومهم سواء على الجدران أو فوق أوراق البردى.

وتعتبر الفنون المصرية القديمة فنونا رمزية تعبيرية ولها دلالاتها الفنية وتميل فى مجملها إلى الرمزية التعبيرية لواقع الفكر والتفكير الفرعونى حتى فى مطلع تاريخهم الموغل فى القدم عبر الفنانون المصريون عن الأصالة والمعاصرة فى أزمانهم السحيقة مما أضفى علي تراثهم الفنى سمة حضارية أذهلت علماء المصريات.

فمثلا الأعمدة فى أبهاء المعابد كانت تتسم بالتعبيرية الرمزية. فكانت على هيئة نبات البردى أو زهرة اللوتس إشارة إلى البرك والمستنقعات التى تنمو بها.

وكانت هذه الأعمدة النباتية الشكل توحى للملك الاله بجو خاص عندما كان يسبح بزورقه فى موكبه المهيب من مقصورة المعبد الداخلية لفنائه.

فنجد الفنانين القدماء قد أظهروا بجلاء الفنون الدينية، فصوروها من خلال مفهومهم عن العالم الأخروى بعد الموت .

وهذا ما نلاحظه فى تماثيلهم ورسوماتهم الجدارية ونقوشاتهم للحيوانات المقدسة حيث أظهروا صفاتها المقدسة بفن يوحى للناظرين لها أنها فعلا أشياء مقدسة. لأن الفنان المصرى القديم قد وضع بعبقرية لمساته الإيحائية القدسية سواء عن طريق فرشاته أو أزميله. فأضاف بذكاء متقن عليها هالة جمالية من خلال ظلال ألوانه التى وزعها فوق لوحاته.

وبنظرة مجردة .. نجد الآثار الفرعونية توحى لنا بالتعبيرية. وهذه تتضح فى المهارة فى ترتيب وتنسيق المناظر مع التلاعب الذكى بالألوان والظلال من خلال النحت والنقش الدقيق للأعمال الفنية فوق الحجر والصخور. وكانت الكتابة باللغة الهيروغليفية المصورة مع المناظر تضفى هالة جمالية توحى بمعان حقيقية.

وشكل الصناع المهرة الأوانى الحجرية المنحوتة أو الفخارية الطينية بعدما كانوا يصنعونها فوق الدولاب. ثم يجففونها فى الشمس ويحرقونها فى الأفران ليأخذ الطمى الجاف لونه الطوبى أو الأسود بعد تصلبه. وكان هؤلاء الصناع يطلون هذه الأوانى ويزخرفونها بالألوان والأشكال التى كان لها دلالتها الخاصة عندهم..

لأن الألوان لدى قدماء المصريين كان لها معان ورمزية. فاللون الأسود كان لون القار الذى كانوا يطلون به المومياوات رمزا للبعث والحياة. لهذا طلوا صور تماثيل الآله أوزوريس بهذا اللون وتارة أخرى كانوا يلونونها باللون الأخضر تعبيرا عن الحيوية والشباب. لأن هذا اللون لون النباتات والأشجار. كما كانوا يلونون الآله أمون باللون الأزرق لون السماء الصافية.

وفى التصوير .. كان الفنانون يستعملون البوص المبرى والفرجال وأقداح الماء لرسم الدوائر. وكانوا يمزجون الألوان بمهارة فى الأصداف أو قطع من

الفخار حيث كانوا يخلطون الأصباغ بالغراء السائل أو زلال البيض.. كما أتقنوا فن مزج الألوان من الألوان الأساسية كالأسود والأصفر والأبيض والأحمر ليحصلوا على الدرجات اللونية المطلوبة.

فاللون الأسود كان من السناج أو الفحم والأبيض من الجير والأحمر والأصفر أو الأزرق فكانوا يحصلون عليها من الأكاسيد المعدنية التى كانوا يحضرونها من الجبال بالبحر الأحمر.

وكان الرسامون يرسمون الرجال باللون البنى والنسوة والآلهة باللون الأصفر إشارة للذهب. وكان للون الأبيض والأحمر دلالة سياسية ولاسيما بعدما وحد الملك مينا القطرين حيث كان تاجه أبيض وكان من الجنوب وتاج ملك الشمال أحمر.

لهذا كان اللون الأبيض رمزا للقوة والنصر واللون الأحمر رمزا لسوء السمعة. لذا كان الكتبة في كتاباتهم يدونون الكلمات الشريرة بالمداد الأحمر وسط النصوص التى كانت تدون بالمداد الأسود.

ومن الملاحظ .. أن الفن المصرى القديم ظل لعدة قرون يتبع نفس الأساليب النمطية والأطر الفنية المتعارزف عليها فى النحت أو الرسم. حتى أصبحت هذه الأساليب متوارثة حتى أتى الملك اخناتون وأحدث ثورة فنية عندما ظهرت مدرسة تل العمارنة عاصمة ملكه التى بناها لتكون موئلا لدعوته الدينية الجديدة.

فظهرت فى عهده المدرسة الفنية الحديثة التى اتبعت الواقعية والتجريد فى الفن المصرى الجديد. فأمر الفنانين التشكيليين بعدم المبالغة فى أعمالهم سواء فيما يرسمونه أو ينحتونه. وطلب منهم أن يلتزموا بالمقاسات والأحجام الطبيعية فى أشكالهم.

لهذا نجد مدرسة تل العمارنة الفنية قد شذت عن مدرسة طيبة التقليدية التى كانت ملتزمة بما توارثته من فنون تصويرية أو نحتية عن العصور القديمة أو الوسطى. ورغم هذا .. كان بعض الفنانين عندما يخلون لأنفسهم بعيدا عن عملهم الرسمى التقليدى فى المقابر أو المعابد يرسمون لوحات سقفية من خيالهم المنطلق والمتحرر. فأحدثوا أعمالا تصورية أو نقشية شذت عن الأعمال التقليدية. لأن معظمها كانت من وحى خيالهم. وهذه الأعمال الحرة ظهرت فى أسقف البيوت لدى العامة.

وقبل مجيء الحملة الفرنسية منذ قرنين .. كان النقاد والفنانون بالغرب ينظرون إلى الآثار الفرعونية على أنها فنون وأعمال بدائية. لكن لما ترجمت نقوشها وعرفت اللغة المصرية القديمة بعد اكتشاف حجر رشيد .. اكتشفوا أنهم أمام أعمال فنية راقية لا تمت بصلة بأطر الأعمال الفنية المبتذلة.

وعرفوا أن الفن المصرى القديم كان فنا ملكيا يجتمع فيه تأثير قوة الدولة وسلطان الملك. وهذه الحقيقة نجدها فيما خلفه الملوك العظام [illegible] أبنية وآثار ضخمة توحى بهيبة ملكهم وعظمة قوتهم وسلطانهم . فالحركة [illegible] فى مصر القديمة كانت تتأرجح تبعا لسياسة الدولة ومكانتها من القوة أو الضعف.

فبينما كان هرم خوفو عملاقا لأن الدولة كانت فى أوج قوتها نجد هرم منقرع وتماثيله أقل حجما لأن البلاد كانت تشهد فى أواخر عهده قلاقل واضطرابات عسكرية وسياسية واقتصادية.

فازدهار الحضارة المصرية كان يخضع لهذه العوامل. لهذا نجد الملوك زوس وخوفو وحتشبسوت واخناتون وسيتى الأول ورمسيس الثانى وغيرهم من ملوك مصر الأقوياء.. قد خلفوا من بعدهم بنايات ضخمة وتماثيل شاهقة تعبر عن قوتهم الحقيقية والواقعية وتعكس للناظرين هيبة وعظمة ملكهم.

وهذه الأبنية والتماثيل فى مواقعها كانت تتوافق مع الطبيعة من حولها ولم تظهر كئوابد نشاز أو بلا معنى أو مضمون. لهذا أدهشت المعابد المصرية خبراء الفن العالميين بأبهائها وتصميماتها وروعة بنائها ولا سيما وأنها تظهر بأبعاد مذهلة وهذا ما يتضح بجلاء فى معبد الكرنك وبهو الأعمدة والبوابات الكبرى والأفنية الكبيرة.

حتى التماثيل.. أخضع صنعها الفنان المصرى القديم للتماثل التناظرى فى جسم التمثال من حيث الطول والعرض. فاستحدث الفنانون المصريون قانون خط الجبهة فى عمل التماثيل حيث تصوروا خطا وهميا يشطر الرأس والجسم لشطرين متناظرين ومتساويين ومتطابقين فى الطول والعرض من منتصف الجبهة حتى ما بين الساقين.

ويقول (كريستيان ديوش) فى كتابه (الفن المصرى).. بأنه كان قائما على مبادئ الخلود والسرمدية. وكانت المعابد والتماثيل والصور تتميز بالتجانس الشديد لدرجة أن أى إنسان عادى يتعرف عليها من أول وهلة عن طريق العناصر والأشكال التى كانت تسود فى الماضى.

لأن الصور والتماثيل كانت تظهر أفراد الطبقة العليا أن أجسامهم قوية مفتولة العضلات ومناكبهم عريضة وأقدامهم مفلطحة حافية وقوامهم نحيف وطويل وخصورهم نحيلة ووجوههم بيضاء بها عيون نجلاء وأنوف طويلة وجباههم مسحوبة.

وهذه الأوصاف والسمات تبدو أنها كانت مقاييس الجمال المثالية عند قدماء المصريين. لهذا كانوا يرسمون ملكوهم وعلية القوم حسب هذه المقاييس التى أصبحت عرفا فنيا حتى حكم اخناتون وأمر بالتزام الفنانين بالمقاييس الحقيقية ورسم الأشخاص على هيئتهم كما خلقوا.

أما عامة الشعب .. فكانوا يرسمون قصار القامة ومملىء الجسم وملامحهم فيها خشونة وأنوفهم فطسى وشعرهم أسود وذقونهم محلوقة. وكان الملك يضع على رأسه شعرا مستعارا به ضفيرة كبيرة والملكة كانت تحلق شعرها وتضع فوق رأسها باروكة لتضع التاج فوقها.

وجميع المصريين كانوا يكحلون عيونهم حتى فى رسوماتهم وتماثيلهم. كما كانوا يخضبون وجوههم بالأصباغ الحمراء لتبدو متوردة. كما كانوا يلونون الأظافر ويدهنون أجسامهم بالزيت وكانوا يهتمون بالزينة. لهذا كانوا يضعون مع الموتى فى قبوتهم أدوات الزينة والأصباغ والأمشاط والأمواس والدهانات والعطور.

وشهدت مصر القديمة الاحتفالات حيث كانت تقام حفلات الغناء والموسيقى والرقص وكان بالقصور الملكية رئيس الموسيقيين وكان يلقب بالموسيقى الكبير وكانت تتبعه رئيسة المغنيات بالقصر والمعابد وكانت تشرف على المغنيات حيث توجد جوقات الموسيقيين والمغنين والمنشدين. وكان الرقص والغناء يخضع لإيقاع الألحان التى كانت تنبعث من الدفوف وآلات الجنك الوترية. وكان العازفون يضبطون عزفهم وضاربو الدفوف كانوا يضبطون إيقاعهم بالتصفيق على أيديهم. كما كان معظم المغنين والمنشدين من العميان حتى لا يكشفوا عورات القصور والبيوت ولا سيما فى الحفلات الخاصة.

وكانت آلة الجنك الوترية يعزف على أوتارها الستة العازفون موسيقاهم وهم جلوس. لكن فى الدولة الوسطى زيدت الأوتار لعشرين وترا وكان العازفون يعزفون وهم وقوف وكان يصاحب العزف أصوات الناى والمزمار البلدى الذى كان يصنع مفردا أو مزدوجا من البوص (الغاب). وكان المزمار قصيرا أو طويلا وما زال للآن يصنع ويعزف عليه.

والراقصات كن يرقصن رقصا ايقاعيا متقنا ومعقدا في خطواته. وكانت رقصاتهن ضربا من التسلية والترويح عن النفس أو لتصوير المعارك الحربية. وفى المعابد كان يوجد الرقصات الدينية التى كانت تؤدى داخل المعبد.

وقد صورت بعض هذه الرقصات على جدران المعابد. وكان فن الرقص يلتزم بعدة ايقاعات وحركات معينة كالجرى ولوى الأجسام والدوران والقفز وثنى الظهر والتشقلب مع التصفيق الإيقاعى للراقصين ومع مصاحبة الموسيقى ودقات الدفوف والنقر على الطبول.

الكتابة والتعليم

اهتم قدماء المصريين بمحو الأمية والتعليم. فكانت الكتاتيب (بيوت النظام) منتشرة فى كل أنحاء مصر حتى فى القرى.

وكانت الأمهات يعنين بتعليم أبنائهن ويحرصن على مواظبتهم وحضورهم الدروس. وكانت تتجه كل أم لبيت النظام لتوصى المعلم للعناية بطفلها وتتعرف منه على مدى تقدمه فى التعلم وكانت تحضر معها الطعام لتقدمه له ليعتنى بابنها.

وكانت تعقد لجاناً للامتحانات تخضع للمراقبة لعدم الغش. وكانت هذه اللجان متشددة لضمان الحيدة والنزاهة. لأن الناجحين كان الملك يختار منهم موظفى الدولة وكان تعيينهم حسب الكفاءة وليس عن طريق الوراثة ولاسيما فى الوظائف الدنيا. لهذا كان الأبناء يجتهدون فى تحصيل العلوم.

وكانت المدارس الفرعونية تعنى بالتربية والتعليم كأساس منهجى ملتزمة به. فكان المعلمون يعظون طلابهم. ويرشدونهم للطريق القويم. وكان التعليم ينقسم إلى قسمين علمى وأدبى. ومراحله ابتدائى وثانوى وعال.

وكانت كل المدارس مفتوحة لجميع أبناء الشعب وخاضعة لمجانية التعليم ما عدا المدرسة العليا (خنو) فلقد كانت قاصرة على أبناء الطبقة العليا والنابهين من أبناء الشعب.

وكان الأغنياء الموسرون ينفقون عن سعة على هذه المدارس لكونها بالمجان. لأنهم كانوا موقنين بأهمية التعليم لمصر. لهذا كانوا يبذلون العطاء طواعية لا اجبارا. ولهذا أيضا.. ارتقى التعليم فى مصر الفرعونية لدرجة كانت جامعة المعارف الفرعونية لها شهرتها فى العالم القديم وكان يفد إليها البعثات من بابل وآشور وبلاد الإغريق قبل أن تعرف جامعة الاسكندرية التى بناها البطالمة على غرار جامعة طيبة بعد عدة قرون.

وألحقت المدارس العامة والمدارس الأكاديمية بالمعابد. وكان الكهنة يدرسون بها شتى العلوم والمعارف الفرعونية كالطب والصيدلة والهندسة والفلسفة والتاريخ الفرعونى وعهود ملوك الفراعنة وعقيدة آمون. وكان بكل معبد مكتبة عامة مزودة بأمهات الكتب والمراجع. وكانت هذه العلوم قد أضفى عليه قدسية لأن الآله (تحوت) اله الحكمة وحامى العلوم المصرية القديمة ... قد وهبها للكهنة. هكذا كانوا يعتقدون.

وكانت مصر مهد الحضارة والعلوم بالعالم القديم وكانت مدارسها وجامعاتها مفتوحة لكل الوافدين من بابل وسومر وآشور وأنيثونان لينهلوا من العلوم الفرعونية. وكانت لهم مدنهم الجامعية يقيمون فليها. فتعلم فيها ديوسقوريدس وجالينوس وأبو قراط. ونقلوا علوم الفراعنة لبلادهم. وكانت جزيرة كريت أول محطة ثقافية وصلت إليها هذه العلوم من مصر عندما نقل التجار الإغريق الكتب الفرعونية منذ القرن الـ ١٢ ق.م.

ولقد سمحت السلطات الفرعونية لهؤلاء التجار والطلبة سكنى مدينة (توقراطيس) بغرب الدلتا (قرب الاسكندرية الآن).

وقام الطلبة الإغريق بنقل الثقافة الفرعونية لجزر اليونان. ولما غزا الرومان بلاد الإغريق عام ١٦٠ ق.م. نقلوا هذه العلوم المصرية لروما عاصمتهم حيث انتشرت فى كل الولايات الرومانية بأوربا. لهذا شاعت الأساطير والمعارف الفرعونية فى الإمبراطورية الرومانية.

وكانت الدولة تشرف على التعليم وكان كبير الاسطبل الملكى للتعليم له مكانته بالقصر الملكى. وكانت المهمة الأساسية من التعليم تخريج الكتبة والموظفين للجهاز الإدارى بالملكة ليعملوا بدواوين الحكومة وتسجيل موارد الدولة وإمساك دفاتر حساباتها وكتابة كشوفات العمال الذين يعملون في المنشئات العامة

كما كانوا يتولون مخازن الحبوب والخراج. وكان هؤلاء الكتبة والصيارف معفيين من تأدية ضريبة السخرة عند العمل فى إقامة الأهرام والمعابد وشق الترع والمصارف. وكان للكاتب حظوة بين أهله ببلدته لأنه كان رئيسا لكل الحرف والمهن بها.

وكان للدولة دار المحفوظات الملكية لحفظ ملفات المملكة. وفى كل معبد كان يوجد دار للمحفوظات لحفظ أوراق البردى التى كانت تضم كشوف المصروفات من أخشاب وأدوات كما كان يحفظ بها ملفات القضايا وشكاوى المواطنين وكشوفات تحصيل الضرائب. وكان على هذه الأوراق تأشيرات من بينها فرض جزاءات على الموظفين وكانت عليها ملاحظات كتبت بأسلوب مختصر بالمداد الأحمر.

وقام التعليم فى مصر الفرعونية .. على طريقة الإملاء ونسخ النصوص وحفظها عن ظهر قلب. وكانت الكتابة تتم على قطع من شقف الفخار أو الألواح الحجرية. وكان المعلم يقوم بتصحيح الأخطاء. ولو أخطأ التلميذ يضربه معلمه

على ظهره ليصل العلم لأذنه. وعندما يفرغ التلاميذ من المرحلة الثانوية يلتحقون بالمدرسة العليا الملحقة بخزائن الدولة ليتعلموا الإدارة.

وكان النابهون ينتقون بعناية توطئة لاختيار الكتبة ليلتحقوا بجهاز الدولة. وكان طلبة المدرسة العليا يكتبون مقرراتهم على ملف ورق بردى طوله ٤٠ ياردة بأقلام من البوص مبرأة أطرافها كالسن بعد غمسه فى المداد الأسود المصنوع من السناج والصمغ والماء (الحبر الشينى).

وكانت الكتابة الفرعونية عبارة عن صور تعبيرية. لأن اللغة الهيروغليفية كانت تميل للاختزال. فكان الكتبة يمزجون الصور بالحروف الهجائية المصورة. لهذا كان الطلبة يجدون صعوبة بالغة فى تعلم ٥٠٠ رمز هيروغليفى يطلق عليها اللغة الهيراطية أى اللغة المقدسة التى كانت متداولة فى المعابد والقصور الملكية.

ومع الوقت ابتدع الشعب الكتابة باللغة الديموطية (الشعبية) وكانت أقل تعقيدا من اللغة الهيراطية. لكن رغم هذا التطور اللغوى .. ظلت المكاتبات الرسمية والمعاهدات والمواثيق تكتب فى دواوين الدولة باللغة الهيراطية المقدسة. وظل هذا تقليدا متبعا حتى أزمان لاحقة. وأشهر ما كتب بالهيراطية وأقدمها نصوص الأهرام التى تعتبر أقدم النصوص الدينية لأنها نقشت على جدران خمسة أهرام ويطلق عليها ترانيم الأهرام ولاسيما بعدما أخذ اليهود العبرانيون مزاميرهم منها.

وكسمة عامة .. كان الكتاب والكهنة يزيفون تاريخ ملوكهم ووقائع الدهور والأحداث والمعارك الحربية. وكانوا يكتبون كل هذا باللغة المقدسة التى لا يعرفها الشعب الذى كان له لغته الدارجة. لهذا نجد الملك اخناتون ليروج لعقيدته الجديدة كتب ترانيمها بلغة الشعب فحفظها ورددها عن ظهر قلب عكس ترانيم آمون التى كتبت باللغة المقدسة فلم يحفظها سوى الكهنة.

وعندما كانت مدينة تل العمارنة عاصمة مملكة اخناتون .. عثر فيها على رسائل دبلوماسية أرسلها الملك للملوك والولاة وكانت باللغة الكادية والخط المسمارى الذى كان متداولا فى بابل وآشور والإمبراطورية الكلدانية ببلاد الرافدين. وكان مترجموا القصر الملكى قد كتبوها ومن بينها معاهدات وتحالف دفاعى مشترك. وكانت مصر تشترط فى هذه المعاهدات على رد أى لاجىء سياسى مصرى لهذه البلدان لمصر.

وأخيرا .. لولا حجر رشيد الأسود الذى عثر عليه جندى فرنسى قرب مصب النيل ببلدة رشيد لما عرفت الحضارة الفرعونية وقام العالم الفرنسى (شمبليون) بفك رموزه بعد عشرين عاما من العثور عليه. فأمكنه قراءة ما كتب عليه باللغة الهيروغليفية وترجمته باللغة الديموطيقية وترجمة ثالثة للنص باللغة الإغريقية كانت عليه.

وكان شمبليون يعرف من قبل ١١ حرفا هيروغليفيا من على مسلة فرعونية ويجيد الإغريقية معا. لهذا استطاع حل طلاسم حجر رشيد وتعرف على الكتابة واللغة الفرعونية التى شاعت واستطاع من بعده علماء المصريات التعرف على تاريخ وعلوم الفراعنة وعاداتهم وتقاليدهم ومعيشتهم. كما دونوها على أوراق البردى أو فوق الجدران والألواح الحجرية وشقائف الفخار.

التحنيــط

كانت عقيدة قدماء المصريين كما سبق وأن أسلفت .. تنص على أن الروح خالدة حتى بعد الموت. وأنها ستعود لجسد صاحبها. فإن وجدته تالفا أو مفقودا لا تستقر به وتظل هائمة بلا جسد حتى يموت صاحبها للأبد. لهذا تفننوا فى بناء مقابرهم وتحنيط جثثهم لتقاوم عوامل البلى وليعيش الميت حياته الأخروية الأبدية بالعالم السفلى.

ويعتبر علم التحنيط من العلوم الجديدة على قدماء المصريين وهذا ما يتضح من قاموس اللغة الهيروغليفية القديمة حيث لا يوجد به كلمة تحنيط أو أسماء الأجزاء الداخلية لجسم الإنسان كالعامود الفقرى أو الرحم أو المعدة إلي آخره. بينما كان قاموس هذه اللغة يحتوى على الأجزاء الداخلية للحيوانات التى كان يذبحها للأكل.

وقبل عصر الأسرات .. كان قدماء المصريين يدفنون موتاهم بالطرق العادية مكتفين بدفنهم فى لحود بباطن الأرض بالرمال بالصحراء بعد لفها فى لفائف من الكتان لتجففها حرارة الشمس. كما كانوا يلفونها فى جلد الحيوانات أو سعف النخيل. وكانوا يزينون الجثة بالحلى والأساور قبل دفنها. لكن مع ظهور الأسرة الثانية كان الميت يلف جسمه بالكتان وتلف كل ساق على حدة بالقماش بعد وضع ملح النطرون بين طيات اللفائف ليمتص الماء من جسم الميت ويجففه.

وفى عصر الأسرة الثالثة.. كانت الأحشاء تنتزع من جوف الميت ليوضع فى الفراغ الداخلى كتان مغموس فى الصمغ المنصهر فى الراتنجات ثم يغطى الجسد بهذا الكتان المصمغ ويضغط عليه حتى يجف ويكون طبقة سميكة علي هيئة الجسم. ثم تطورت طريقة تجهيز الميت حيث كان يوضع فى ملح النطرون

لمدة من ٤٠ إلى ٧٠ يوما ليجف من الماء ثم تفرغ أحشاؤه الداخلية ليوضع بدلا منها الأصماغ والراتنجات المصهورة. وكان المخ ينتزع من رأسه ليوضع مكانه الأعشاب العطرية وخلال هذه الفترة كان الكهنة يصلون ويؤدون طقوسهم الجنائزية على الميت المسجى أمامهم.

ووصف هيرودوت عام ٤٣٠ ق.م. طريقة التحنيط الفرعونية إبان الدولة الوسطي فقال بأن المحنطين عبارة عن فريق من الأطباء. وكانوا يمارسون هذا العمل في كل أنحاء مصر بالمدن والقرى. وكانوا يدخلون خطافا بالمنخرين بفتحتى الأنف لينتزعوا المخ من جوف الرأس. وكانت تنظف بالكيماويات ثم يفرغون محتويات البدن الجوفية بفتح شق بحجر مسنون بالجانب الأيسر من الجسم ثم يسحبون القلب والأحشاء الداخلية

ثم يغسلون مكانها بعرق البلح ومنقوع أعشاب عطرية. وبعد عملية الغسيل تملأ الفراغات الداخلية بالمر المسحوق مخلوطا بكل أنواع البهارات ما عدا اللبان والبخور. ثم يخيطون الفتحة. بعدها يوضع الميت فى ملح النطرون لامتصاص الماء من جسمه وتجفيفه وكانت هذه العملية تستغرق سبعين يوما بالضبط بعدها يلف فى الكتان المصمغ مع وضع التمائم بين طياته. ثم يسلم لأهل الميت لدفنه بالمقبرة بعد وضعه فى تابوته

وأطلق الإغريق على الجثة المحنطة كلمة مومياء. والطريقة التى وصفها هيرودوت عن تحنيط الموتى كانت تسمى طريقة أوزوريس وهى مكلفة لأهل الميت. لهذا لم تكن تجرى سوى للملك والأمراء والقواد العظام وتطور فن التحنيط بعد ذلك حيث كان المحنطون يلونون بشرة وجلد الميت بالألوان النباتية مع وضع عيون صناعية زجاجية فى محجرى العينين.

وكانت أحشاء الميت بعد انتزاعها من جسمه تحفظ فى أوان فخارية بها ملح النطرون لحفظها ووضعها مع الميت.

وكانت هناك طرق تحنيط أقل تكلفة من بينها حقن الميت من فتحة الشرج بزيت السيدر (الأرز) ثم تسد الفتحة وتوضع الجثة لمدة ٧٠ يوما في ملح النطرون. بعدها يترك الزيت ليسيل من فتحة الشرج كسائل ثقيل. لأنه أذاب وحلل الأحشاء الداخلية. بعدها يسلم الميت لأهله لدفنه فى تابوته بالمقبرة بعد دهن الجسم من الخارج بعرق البلح (نوع من الخمور) بعد إذابة الراتنجات به. وهذه الرتنجات كانت خليطا من راتنج الصنوبر والمستكة وزيت السيدر وبلسم مكة. وكان الغرض من هذا الدهان تلميع الجلد لأن هذه الراتنجات والزيوت تعمل عمل الورنيش.

وفى العصر الرومانى اكتفى المصريون بتكفين موتاهم بنسيج الكتان ودفنهم فى لحود بالتربة دون تحنيط. لهذا تعتبر المومياوات هى من عمل قدماء المصريين فى العصور الفرعونية فقط.

الطب والصيدلة والكيمياء

تعتبر علوم الطب والصيدلة إحدى معجزات قدماء المصريين الكبرى حيث ابتكروا طرقا علاجية خاصة بهم. فلقد كان الكهنة بالمعابد يمارسون الطب بفن ومهارة من خلال التعاويذ والأدعية الدينية التى كانوا يرتلونها قبل فحص مرضاهم أو أثناء تحضير أدويتهم لحماية أجسامهم من الأرواح الشريرة أثناء فترة العلاج والنقاهة. فلقد كانوا يعتقدون أن للآلهة تأثيرا على جسم الإنسان.

فآله رع يسيطر على الوجه والاله حاتحور يسيطر على العين والاله أنوبيس على الشفتين والاله نحوت له تأثيره على بقية الجسم.

ولقد أظهرت المومياوات بعد فحصها .. الأمراض التى كانت شائعة بين قدماء المصريين كشلل الأطفال وحصوات المرارة وتصلب الشرايين والبلهارسيا. وبينت البرديات طرق علاج أطباء الفراعنة لمرضاهم والعمليات الجراحية التى كانوا يقومون بها .

وتعتبر بردية (أدوين سميث) أقدم وثيقة علمية فى التاريخ ويرجع تاريخها لسنة ١٦٠٠ ق.م. وهى عبارة عن ملف من ورق البردى طوله ١٥ قدما ويحتوى على وصف لـ ٤٨ حالة جراحة بما فيها كسور فى الجمجمة وإصابات فى العمود الفقرى والنخاع الشوكى.

وأظهرت بردية (ابيرى) معرفة قدماء المصريين للقلب والدورة الدموية بالجسم حيث تتفرع منه لبقية الأجزاء. وكان الطبيب يضع أصبعه على الجبهة والرأس واليدين والقدمين ليجس نبض القلب.

وبرع قدماء المصريين في علاج أمراض العين لانتشار الأرماد عندهم. كما برعوا فى التشريح والجراحة حيث كانوا يستخدمون الآلات الجراحية والمخالب والكلابات والمقصات والمشارط والابر لخياطة الجروح.

وكان الأطباء يخدرون مرضاهم لإجراء العمليات الجراحية باعطاء المريض جرعات من نبات السكران والأفيون.

وكان الأطباء يمارسون العلاج بالإيحاء النفسى للمرضى عن طريق كتابة كلمات سحرية يدونونها بالمداد الأحمر المصنوع من ماء الورد والزعفران. ثم يطلبون من المريض وضع هذه التعويذة فى ماء عندما يعود لبيته. ثم يشربه بعده تزول هذه الكلمات فيه. وقد نقل عنهم الإغريق هذه الوصفة السحرية واستخدموها فى علاج مراضهم.

وكانت الصيدلة تمارس كفن لتحضير الأدوية من النباتات والأعشاب والحيوان والمعاد. وكان الصيادلة يدعون أن أدويتهم كالسفوف أو الحبوب أو الأشربة والدهونات وغيرها هى منحة آله الأرواح السماوية أو الجان. وهبوها لهم ليداووا بها مرضاهم.

وفى عصور قدماء المصريين تطورت علوم الصيدلة تطورا كبيرا عندما استطاع الصيادلة توليف الأعشاب الطبية واكتشاف فوائدها العلاجية وطرق تحضيرها وتجهيزها كأدوية. وكانت ممارسة مهنة الصيدلة قاصرة على أسر بعينها يتوارثها أبناؤها.

لأن الصيادلة لم يدونوا فنونهم وعلومهم حتى لا تتسرب لغيرهم إلا أنهم مع الوقت اضطروا لكتابتها على البردى حتى لا تندثر. لكنهم كانوا يضعون أوراقهم فى خزائن خاصة بالمعابد ونسخوا منها نسخا فوق جدرانها ليطلع عليها الأطباء ويكتبوا منها وصفاتهم العلاجية عندما يعالجون مرضاهم.

وكان يوجد بالصيدليات النباتات المقدسة كالعليق نبات أوزوريس وراعى الحمام دموع ايزيس وزهر الزعفران دم تحوت وبصل العنصل عيون تيفون. وكان الأطباء يرسلون وصفاتهم للصيادلة بالمعبد ليقوموا بتركيبها وكانوا يرتلون

الأدعية أثناء عملية التحضير. وكانت بعض الأعشاب الطبية لا تزرع فى مصر. فكانت تجلب من الشام وبلاد ما بين النهرين أو من بلاد بونت (الصومال والحبشة). وهذا يبين أن صيادلة الفراعنة كانوا ملمين بالعقاقير العالمية فجلبوها للعلاج. واستنبطوا منها طرقا جديدة للتداوى كالمنقوعات والخلاصات والمحاليل والمراهم والمروخات واللبخات والحبوب.

وقد تعلم جالينوس من الصيدلة الفرعونية هذه الطرق وأطلق عليها الإغريق الأدوية الجالينية نسبة إليه وهى فى الأصل أدوية فرعونية.

وكان قدماء المصريين يستخدمون المضادات الحيوية بوضع الخبز العفن فوق الجروح فتندمل وتشفى. وكان هذا متبعا لديهم، قبل اكتشاف فليمنج البنسلين فى العشرينات من هذا القرن وتحضيره من عفن الخبز كما كان يفعل قدماء المصريين منذ عشرات القرون. حيث كانوا يضعون قماشا مبللا بالماء الآسن فى البرك على الجروح فتشفى لأن بها مضادات حيوية قوية وتحضر منها هذه المضادات الحديثة الآن وهذه المضادات الحيوية أقوى مفعولا من البنسلين والتراسيكلين وتباع بأسعار مرتفعة.

ولقد ألقت المومياوات الضوء على العديد من الأمراض التى كانت تصيب المصريين كما سبق وأن أشرت.. فلقد اكتشفت فيها حصوات بالكلى وبويضات بلهارسيا ودرن بالعمود الفقرى وسرطان بعظمة ذراع والنقرس. وكان الأطباء كما ظهر فى هذه المومياوات يستأصلون الأورام السرطانية ويعالجون كسور العظام بدقة وكانوا يستخدمون الجبائر والأربطة الكتان فى علاجها.

ولقد ظهر فى مومياء الملك منفتاح أنه كان مصابا بمرض ضيق شريان الأورطى وكان الملك رمسيس الثانى مصابا بطفح جلدى وقيلة مائية بالصفن. ولأن الملك اخناتون قد أمر الفنانين برسم الصور وصنع التماثيل بحجمها الطبيعى وعلى الواقع.. نجد تمثاله قد بين بروزا فى بطنه واستطالة بالجمجمة

وكبرا بالفك السفلى وكان التقزم شائعا لدي قدماء المصريين وهذا ما بينته تماثيل تل العمارنة التى صنعت بواقعية فى عهد الملك اخناتون.

وكان قدماء المصريين يمارسون اختبارات الحمل والتعرف على نوع الجنين فى بطن أمه . فكان يجمع بول المرأة في الصباح . ويوضع جزء منه في إناء به شعير وآخر به قمح. فإذا نما الشعير كان الجنين أنثى وإذا نما القمح فإن الجنين ذكر. وإذا لم ينم كلا الاثنين فالمرأة غير حامل.

وكان الأطباء يلجئون للصيادلة ليستفتوهم فى بعض المشاكل العلاجية التى كانت تصادفهم وكانوا يعاونونهم فى حلها. وكل مشكلة كان الصيدلى يسجلها فى سجل خاص ليرجع إليها لو صادفته مشكلة مماثلة. لأن علوم الصيدلة تعتبر أقدم من الطب والتشريح لأن الإنسان الأول كان يتناول العقاقير النباتية بالفطرة من أجل التداوى وعلاج الأمراض.

وعندما مارس قدماء المصريين التحنيط كان يقوم به المحنطون وكانوا فئة من غير الأطباء وعاونهم الصيادلة فى توليف المواد التى كانت تحفظ جثة الميت من البلى لآلاف السنين. كما اكتشف الصيادلة الأصباغ ومواد الدباغة للجلود والزجاج والصابون وسبائك المعادن.

لهذا أطلق الإغريق على هذه المواد الكيميائية كلمة كيميا وهى إسم مصر باللغة الإغريقية. كما أطلقوا على الصيدلى الفرعونى فارماكى أى مانح الشفاء. وهذه الكلمة فرعونية الأصل لأن مصر كانت مهد الصيدلة. وقد حاول الكهنة تحضير أكسير الحياة وحجر الفلاسفة لتحويل الرصاص إلي ذهب لكنهم فشلوا وفشل علماء الإغريق والعرب من بعدهم فى هذه المسألة.

وقدماء المصريين كانوا يهتمون بصحتهم. فكانوا يلعقون الجروح مقلدين الحيوانات لتطهيرها ومنع نزيفها لأن باللعاب مادة مطهرة. وكانوا يمضغون

بعض الأعشاب ويضعونها فوق الجروح لتشفى. وأكثروا من تناول البصل والثوم لوقايتهم من الأمراض المعدية. لهذا كانت الوجبات للعمال الذين كانوا يبنون الأهرام بها البصل والثوم فى طعامهم كل يوم لهذا الغرض. كما كانوا يستعملون الحقن الشرجية لعلاج الإمساك وتنظيف البطن. وكانت عادتهم اليومية الاستحمام مرتين فى الصباح والمساء.

السحـــر

لعب السحر والطلاسم والتعاويذ دورا بارزا فى حياة قدماء المصريين . وكانوا يعتقدون فى تناسخ الأرواح قائلين بأن لكل إنسان قرينه من الجن. وكانت العلوم السحرية تدرس فى بيوت العلم والحياة لأن الآله (تحوت) هو واضع الكتب السحرية.

لهذا كان الملك يلقب برئيس السحرة. لأن الملوك كانوا يمارسون السحر بأنفسهم. وكانت طائفة السحرة لها وضعها القانونى فى المملكة وكان يطلق عليهم كتبة الحياة وتروى عنهم خوارق جمة وأصدق مثال قصة سيدنا موسى -عليه السلام- مع سحرة فرعون التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم.

وكان السحرة يصنعون التمائم من الطين المزجج أو الحجر لتوضع مع الميت فى تابوته وكانت هذه التمائم ترمز للصحة والشباب والخلود. لهذا كانت تلون بالأخضر رمزا للشباب والذهبى كالذهب رمزا للخلود والبقاء والأبيض الذي كان يعبر عن الإخلاص. أما إسم الشخص الميت فكان ينقش فوق جعران من الحجر لضمان الأبدية بعد الموت.

واعتقد قدماء المصريين فى التنجيم والطوالع والأبراج وأثرها على الخير والشر للإنسان واعتقدوا فى وجود قوى خفية أطلقوا عليها (مانا وهى كانت فى نظرهم قوى روحية خفية.

لهذا لم يتقبلوا الموت وتخيلوه سباتا طويلا حيث يظل الإنسان المتوفى يعيش عيشة الأحياء ويؤدى واجباته الزوجية.

وفى الفكر الفرعونى .. كان هناك فرق بين السحر والطب اللاهوتى.. حيث كان الأول يقوم به سحرة والثانى يختص بالكهنة الذين كانوا يعتقدون فى قوة الآلهة. رغم أن الطب اللاهوتى قد نبع من السحر فى الأصل وكان للكهنة ألقابهم السحرية وكانت تضاف لألقابهم الكهنوتية.

وكان قدماء المصريين يعتقدون فى السحر والاستعانة بالجان والقوى المؤذية كما كانوا يؤمنون بالدين والآلهة لرد الأذى عنهم وكانوا يتشفعون بها. لهذا تعددت الآلهة فى مصر القديمة.

وكانت فكرة الموت والحياة بعده قد سيطرت على أفكار قدماء المصريين حيث تخيلوا أن الميت بعده يعيش حياة سرمدية وقد ينجب فيها كما أنجب الآله أوزوريس من الآلهة ايزيس ابنه. وكانوا يعتقدون أن هذا الآله المعذب فى حياته. يستيقظ أحيانا من سباته ليلا ليزور الأحياء على هيئة شبح أو طيف وهم نائمون ليطالبهم بحقوقه المضيعة بينهم ومن بينها أملاكه.

لهذا كانت شواهد القبور وأكوام التراب فوق المقبرة للحيلولة بين الميت حتى لا يقوم للدنيا مرة أخرى.

وفى العالم القديم ... كانت مصر أرض السحر والسحرة لأن قدماء المصريين قد عرفوا التمائم والتعاويذ المكتوبة والرقى والطلاسم وكان الهدف من هذا كله حماية الإنسان والآلهة من القوى الخفية التى لا يرونها.

فكان السحر يستخدم فى علاج الأمراض ولدرأ الخطر عنهم. ولم يمارسوا السحر لايذاء الآخرين.

وكان من عادات قدماء المصريين عدم كنس بيوتهم ليلا حتى لا يسكنها الجان[١] وكانوا لا يجلسون على أعتاب الأبواب لأن الجان يتردد عليها. وكانوا فى الأعياد يشمون البصل لطرد الأرواح الشريرة واقصائها عنهم.

وكانت بيوت المعرفة تعلم فنون السحر وعلومه للسحرة. ليتعلم الساحر. وليكون عنده مقدرة سحرية.. كان عليه القيام بعدة تمارين روحية ليقاوم شهوة النفس. فكان يمتنع أثناء تأدية هذه التمارين .. عن أكل السمك واللحوم ويختلى بنفسه فى صومعة لا يحدث الناس ولا يختلط بهم طوال حياته. أى يعيش ناسكا حيث يمارس تمارينه الروحية القاسية لتصفو نفسه ويطهر جسده. وكانت مدرسة السحر فى بلدة الأشمونين بأسيوط وكان الآله تحوت رب الحكمة الاهها. وكانت هذه المدرسة مقدسة فى نظر قدماء المصريين.

وكان السحرة يضعون فى جعباتهم الرقى والتعاويذ والأدعية بالشفاء وكان معهم صندوق به أعشاب طبية جافة وطازجة وطين ليشكلوه تماثيل شمع ومداد أسود وأحمر للكتابة به على التماثيل الصغيرة ورسم الرسومات السحرية. وكان المرضى الذين أعياهم المرض وأقعدهم ولم يفلح الأطباء فى علاجهم يلجئون لهؤلاء السحرة كملاذ أخير لهم.

وكان الساحر يقوم بترتيل بعض التعاويذ لمعرفة نوع الروح الشريرة التى لبست جسم المريض. فكان يتمتم ببعض الكلمات ليطردها. ثم يقدم للمريض عشبا مقويا للنقاهة بعده لو ارتدت هذه الأرواح الشريرة لجسم المريض ولم ترضخ لأوامر الساحر ولم تعبأ بحماية الآلهة تلقى العقاب الرادع. وهذه العقيدة كانت تؤثر ايحائيا على المرضى. وإذا فشلت هذه التعاويذ فى مفعولها على المريض .. كان الساحر يقدم له مشروبا كريه الرائحة وبه مرارة قوية ثم يعطيه

(١) هذا الاعتقاد لا يزال قائماً حتى الآن .

بعض الحشرات الحية أو المقطعة ليبتلعها لطرد هذه الأرواح الشريرة من جسمه. وكان بعض السحرة يضعون حيوانا بجوار المريض ويتلون عليه التعاويذ لطرد هذه الأرواح الشريرة بعدما تتقمص الحيوان. فى الوقت الذى فيه .. كان الساحر يتقمص شخصية الاله مهددا هذه الأرواح الشريرة قائلا : إذا لم يشف (فلان) فإن السماء ستقع فوق الأرض ولن تشرق الشمس لتهلك المسئول عن المرض والآله الذى تقاعس عن إنقاذه[١].

وكان السحرة يمارسون السحر الوقائى.. بوضع تماثيل للآلهة عليها رموز سحرية ضد الأفاعى والتماسيح والعقارب. وكان الساحر يضعها فى طريق المعبد ليمر الناس بجوارها. وكان يصب الماء فوق التمثال ليشربه الشخص ويقيه من الأخطار ويشفيه من جروحه.

وكان يكتب تعاويذه على شقفة فخار أو ورقة بردى ثم يصب عليها الماء ليشربه الشخص. وكان الساحر يقرأ التعاويذ السحرية مترنما بها أربع مرات بعدما يتطهر. وهذه الصيغ السحرية كان السحرة يتعلمونها شفاهة بالتلقين والإشارات ولم تكن تكتب أو تدون فى كتب لأنها كانت سرا من الأسرار الكهنوتية العليا. وكان من مهام، الكهنة درأ الخطر عن الملاك والبلاد حيث كانوا يصنعون تمثالا عليه اسم العدو ثم يقطع أوصاله لقطع تداس تحت الأقدام ثم تحرق وتدفن.

ونقل الإغريق والبابليون والآشوريون والحيثيون علوم السحر من قدماء المصريين وأشاعه الإغريق فى كل أوربا. لهذا نجد أن السحر الذى ابتدعه الفراعنة قد لعب دورا كبيرا بين البشر. فتأثروا به لعدة قرون وما زال متبعا ولاسيما بين القبائل البدائية وجماعات الغجر فى سهوب أوربا وآسيا وقد توارثوه عن قدماء المصريين منذ آلاف السنين.

(١) وفى هذا دليل على أن المس الشيطانى حقيقة وموجودة منذ آلاف السنين.

أعيـاد مصر الفرعونية

قسم المؤرخ المصرى (ماينثون) تاريخ مصر الفرعونية إلى ثلاثين أسرة، كونت ثلاثة أقسام رئيسية هى : الدولة القديمة، والدولة الوسطى، والدولة الحديثة، وشملت جميعها الفترة الزمنية (٣٢٠ -٣٣٢ قبل الميلاد). ولا شك أن للأعياد رنة فرح وسرور فى قلوب الناس، ولم يحرم المصريون القدماء أنفسهم من التمتع بمباهجها ومحاسنها، يدلنا على ذلك تلك الأعياد التى كانوا يحتلفون بها فى مواسم الربيع والزراعة وكانت لهم فى حياتهم شأنا يذكر ونحن لا زلنا نحتفل ببعض هذه الأعياد إلى اليوم. نذكر منها :

١- عيد شم النسيم :

اعتاد المصريون القدماء أن يحددوا سنتهم الشمسية طبقا لظواهر فلكية رصدوها. وكانت السنة عندهم تبدأ بعد اكتمال القمر (البدر)، الذى يقع عند الانقلاب الربيعى، ويقع فى ١١ برمودة وكانوا يعتقدون أن ذلك اليوم هو بدء خلق العالم.

هذا العيد وثيق الصلة بعيد الفصح اليهودى، حيث إن بنى إسرائيل حين خرجوا من مصر كان ذلك اليوم يوافق موعد احتفال المصريين ببدء الخلق وأول الربيع واعتبروه أول سنتهم الدينية، سموه يوم الخروج أو الفُصْح وهى كلمة عبرية معناها اجتياز، واشتقت منها كلمة بصخة إشارة إلى نجاتهم وتحريرهم.

وكانوا يحتلفون به وفصل الحصاد ويسمونه (شمو) وقد حُرف الاسم على مر السنين إلى (شَمْ) ثم أضيفت إليها كلمة النسيم حتى أصبح (شم النسيم).

وهكذا اتفق عيد الفصح العبرى مع عيد الخلق المصرى ثم انتقل الفصح بعد ذلك إلى المسيحية لموافقته مع موعد قيامة السيد المسيح ولما انتشرت

المسيحية فى مصر أصبح عيدهم يلازم عيد المصريين القدماء ويقع دائما يوم الاثنين، الذى يلى عيد القيامة.

وكان المصريون القدماء يحتلفون بعيد الربيع كما نحتفل بعيد شم النسيم اليوم فهو العيد الذى تبعث فيه الحياة ويتجدد النبات وينشط الحيوان لتجديد نوعه. وكانوا يحتلفون به احتفالا شعبيا رائعا كما نحتفل به اليوم، ففيه تزهر الخضرة وتتفتح الأزهار ويخرج الناس مبكرين أفواجا وجماعات إلى الحدائق والمتنزهات والحقول، يستنقون رائحة الأزهار ويستمتعون بالورود والرياحين، تاركين وراءهم متاعب الحياة وهمومها.

وكان أحب الأطعمة لديهم فى ذلك اليوم البيض الملون والسمك المملح (الفسيخ) والبصل والخس والملانة (الحمص الأخضر) وهى نفس الأطعمة التى نتناولها اليوم فى هذا العيد السعيد.

ومن العادات التى ورثناها تعليق البصل فوق أسرة النوم ثم شمه فى الصباح الباكر وأصبح البصل تقليدا يؤكل مع الفسيخ فى عيد شم النسيم.

وكان المصريون يقدمون الخس حيث كان يجلب الخصب والقوة والحيوية كما نعتقد نحن فيه اليوم.

وظل عيد شم النسيم عيداً للطبيعة والربيع قائما منذ عهد الفراعنة حتى اليوم وأصبح عيدا قوميا يحتفل به المصريون علي اختلاف طبقاتهم ودياناتهم يلهون ويمرحون ويأكلون البيض والفسيخ والبصل والخس والملانة، إنه العيد الذى أوحت به طبيعة بلادنا الزراعية عيد بعث الحياة عيد أول الزمان.

وبهذه المناسبة فإن قصة البيض الملون، الذى نستخدمه فى عيد شم النسيم وهو بيض الدجاج أما البيض الذى كان يستخدمه المصريون القدماء، والذى يظهر فى النقوش الفرعونية بالمعابد والبرديات القديمة هو بيض حمام أو

أوز أو بط وبيض النعام المعروف بحجمه الكبير أما بيض الدجاج فقد عرفه المصريون القدماء من الفرس فى القرن الخامس قبل الميلاد.

٢- عيد وفاء النيل :

كانت أيام قدماء المصريين تقام للنيل أعياد شعبية يسودها المرح والسرور وكانوا يعتقدون أنه إذا لم تقم الحفلات الرائعة بوفاء النيل فإن النيل يمتنع عن الفيضان ولا يغمر الماء الأراضى. ووفاء النيل هو بلوغه نهاية الذراع السادس عشر.

وكان الفرعون نفسه أو نائبه يحضر هذا الاحتفال بصحبة رجال الدين والعظماء وغيرهم من جموع الشعب وكان الكهنة يحملون تمثالا لإله النيل (الإله حابى) ويقومون بأداء الطقوس الدينية بينما القوم ينشدون الأناشيد على نغمات الموسيقى ومن المرجح أن جزءا من هذا الحفل كان يقام فى مراكب على صفحة مياه النيل.

وقد ذاعت أسطورة إلقاء عروس فى النيل جلبا لخيره وخشية غضبه وحجب الفيضان عنهم.

فقد روى أغلب المؤلفين العرب وعلى رأسهم (ابن عبد الحكم) أن عمرو بن العاص عندما فتح مصر أتاه أهلها وأخبروه أن من عادتهم تهيئة فتاة حسناء بأفخر ملابس وأجمل زينة لإلقائها فى النيل فى الثانى عشر من شهر بؤونة ، جلبا لرضاه وتوقعا لفيضان مناسب.

فرفض عمرو ذلك، وأيده الخليفة عمر بن الخطاب، ويقال إن النيل ظل شهرى أبيب ومسرى وهو متوقف عن الزيادة حتى هم الناس بالهجرة من مصر، فأرسل عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص كتابا لإلقائه فى النيل. فلما قدم الكتاب على عمرو بن العاص فتح البطاقة وقرأ فيها:

«من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد، فإذا كنت تجرى من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الى يجريك، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك».

فألقى عمرو بن العاص البطاقة، فأصبح الناس يوم عيد الصليب وقد أجرى الله النيل فى ذلك اليوم ستة عشر ذراعاً.

ومن هذا التاريخ أبطلت هذه العادة السيئة وهى إلقاء فتاة حسناء في النيل. والواقع أن تلك الأسطورة ليس لها نصيب من الصحة[1]. والحقيقة أنهم كانوا يلقون بقرطاس من ورق البردى يدعى فيه النيل للفيضان وكان الكهنة يعتقدون أن الكتابة على البردى لها قوة سحرية.

ولا تزال الحكومة المصرية إلى اليوم تنهج على منوال أجدادنا الفراعنة فى الاحتفال بعيد وفاء النيل إذا تحتفل به رسميا فى النصف الثانى من شهر أغسطس من كل عام جريا على عادتها منذ آلاف السنين على إحدى البواخر النيلية والقارب الفرعونى المعروف باسم العقبة، بحضور كبار العاملين فى الدولة وتدق طلقات المدافع من الباخرة وهى تشق طريقها فى مياه النيل.

٣- عيد النيروز (رأس السنة القبطية) :

وضع المصريون القدماء أساس التقويم، الذى يسير عليه الفلاح المصرى ليسترشد به فى أعماله الزراعية على مدار السنة وكانوا يحتفلون بهذا العيد بين مظاهر الفرح والسرور وقد أسماه الفرس (نيروز) ومعناه باللغة الفارسية : (يوم جديد) ولا يزال الأقباط (المسيحيون) يحتفلون به حتى اليوم فى بداية السنة القبطية فى أول شهر توت، الذى يوافق ١١ سبتمبر من السنة الميلادية (أو ٢١ سبتمبر فى السنة الكبيسة).

---

(١) هذه القصة ذكرها ابن كثير فى البداية والنهاية وكثير نت المؤرخين وعلماء المسلمين.

وكان المصريون فى عصر الفراعنة يحتفلون بهذا اليوم إكراما لنهر النيل. وقد اعتبر هذا العيد عيد الربيع، الذى تبدأ بعده زيادة مياه النهر، الذى يستكمل مياهه فى الخريف أو أواخر الصيف.

ولعل هذا هو ما يفسر لنا السبب فى أن المصريين جميعاً بغض النظر عن دياناتهم، كانوا يشاركون فى الاحتفال بهذا العيد.

٤- عيد الميلاد وشجرة الكريسماس :

كان المصريون القدماء يؤمنون بأن (أوزوريس) هو إله الخير والخصب وأصبح إله كل شىء فى العالم. وتزوج (إيزيس) ، وفى هذا الوقت تزوجت أختها (نفتيس) (ست) إله الشر وكانت عقيمة لا تلد.

وكان (ست) إله الشر يكره أخاه (أوزوريس) لجماله ورجاحة عقله وأراد أن يمكر به ، فدبر له مكيدة لاغتياله، فأقام له حفلة وأعد تابوتا (صندوقا) جميلا مكسوا بالذهب الخالص بحجم أوزوريس وما أن استلقى فيه حتى أغلقه وألقى بالتابوت فى نهر النيل، الذى طفا حتى البحر المتوسط وحملته الأمواج إلى شاطئ لبنان وهناك نمت شجرة وارفة، احتوت التابوت وكان فى لبنان ملكة جميلة اسمها (عشتروت) ، خرجت لتتريض على الشاطئ فأعجبتها تلك الشجرة الجميلة النادرة فأمرت بنقلها إلى حديقة قصرها.

أما (إزيس) فقد استبدت الأحزان بها، فبكت زوجها (أوزوريس)، بدمعها المدرار وهى تبحث عنه على طول شاطئ النيل وكلما انهمرت الدموع من عينيها سقطت فى مجراه وامتزجت بمائه ففاض- وكان الفراعنة ينسبون سبب الفيضان إلى دموع (إيزيس).

وبينما كانت تجلس بين سيقان البردى - فى مستنقعات الدلتا وقد أنهكها التعب أنصتت إلى صوت رياح الشمال وهى تهمس فى أذنيها بأن الإله

(أوزوريس) ينتظرها على شاطئ (لبنان)، الذى حملت منه رسالتها إليها ومضت (إزيس) إلي (لبنان) ودخلت على الملكة (عشتروت) التى أكرمت وفادتها واتخذتها نديمة لها، وكانت (إزيس) كلما أقبل المساء تحول نفسها بقوتها السحرية إلى نسر مقدس ... فتحلق فى السماء وتحوم حول الشجرة تناجى روح زوجها ... ثم حدثت المعجزة وحملت (إيزيس) من روح (أوزوريس) ولم يمسها بشر.

فحملت الطفل (حورس) فى أحشائها ورجعت به إلى أرض مصر حيث أخفته بين سيقان البردى فى أحراش الدلتا إلى أن كبر وحارب الشر وأعوانه وخلص الإنسانية من شرور (ست) فأطلق عليه المصريون إسم (الإله المخلص)[1].

وبعد ولادة (حورس) عادت (إيزيس) إلى (لبنان) وأراد (عشتروت) مكافأتها فطلبت منها أن تهديها جذع الشجرة، الذى يضم تابوت زوجها فأهدته إليها (عشتروت) وأمرت حراسها أن يحملوا جذع الشجرة إلى سفينة أعدتها لها لتحملها هى وشجرتها المقدسة وتبحر بها إلى أرض مصر.

ولما وصلت إلى أرض مصر أخرجت الجثة من تابوتها ونفخت فيها من أنفاسها، فردت إليها الحياة فباركها زوجها (أوزوريس) هى وابنها (حورس) ثم صعد إلى السماء ليعتلى العرش ويصير ملكا للعالم الآخر ورئيسا لمحكمة الآخرة وقيماً على الجنة والنار. وكان (حورس) الذى ورث ملك مصر من أبيه (أوزوريس) ثم أورثه الملوك من البشر بعد ذلك رمزا للحرب المقدسة ضد الشر وأعوانه حاملا لرسالة الإله لنشر العدل والعقيدة.

أما (إيزيس) فقد أطلق عليها المصريون القدماء اسم (موت نتر) أى الأم

---

(١) يبدو أن بعض الأنبياء قد أخبر قومه عن قصة مريم وعيسى عليهما السلام وأنها ستلد وهى عذراء دون أن يمسسها بشر فحور الناس هذه الحقائق الدينية إلى مثل هذه الأساطير.

المقدسة التى تمنح الحياة وتفرج الكروب وتشرح الصدور.

وكان عيد الميلاد، أو عيد (أوزوريس) وتمثيل الإله وقيامته من أعز ما يحتفل به المصريون ومن أهم أعيادهم الدينية وسمى بعيد الميلاد نسبة إلي ميلاد (حورس) من روح الإله.

وكان يحتفل بهذا العيد فى أول شهر كيهك (كاهى كا) (١٠ ديسمبر) أي روح على روح الذى سمى بهذا الاسم نسبة إلى ميلاد (حورس) من روح الإله وهو رابع أشهر التقويم المصرى حين تنحسر مياه الفيضان فتعود الخضرة إلى الأرض التى يرمز إلى بعث الحياة.

وقد اصطلح المصريون القدماء على تهنئة بعضهم البعض بقولهم :

(سنة خضراء) وهى من الاصطلاحات العامية التى عبرت القرون وما زالت تعيش على شفاهنا.

ومن أسطورة الثالوث المقدس أو أسطورة الميلاد نرى أن (أوزوريس) عاش ومات وردت إليه الحياة ثانية فأصبح شجرة خضراء لذا كان المصريون القدماء يرمزون للحياة المتجددة بشجرة خضراء.

وكان من أهم تقاليد عيد الميلاد عندهم الاحتفال بـ (شجرة الحياة)، التى يختارونها من الأشجار دائمة الخضرة التى تحفظ بخضرتها طوال العام. وقد سرت هذه العادة من الشرق إلى الغرب فخرجت من مصر إلى سوريا ومنها إلى بابل، ثم عبرت البحر المتوسط لتظهر فى أعياد الرومان ثم تعود للظهور مرة أخرى فى أعياد ميلاد المسيح.

وشجرة الكريسماس والتى يختارونها من الأشجار التى تحتفظ بخضرتها طوال العام كالسرو والصنوبر. وهكذا فرض عيد الميلاد نفسه حاملا معه شجرة الحياة أو شجرة الكريسماس إلى أنحاء العالم.

قيام الحضارة
فى وادى النيل

من الصيد إلى الرعى :

منذ خلق الله الإنسان، عاش زمناً طويلا يقلد الحيوان فى تحصيل غذائه من النبات والحيوان. ثم ارتقى عقله، وعلمته التجارب، فعرف الصيد، وصار يطارد الحيوان فى الغابات وفى الخلاء، ثم استطاع أن يجمع عدداً من الحيوانات، ويهتم بتربيتها، والعناية بها، لتكبر وتتكاثر فى المراعى، فبدأت بذلك حياة الرعى.

وفى حياة الرعى يحتاج الإنسان إلي التنقل من مكان إلي آخر، سعيا وراء المراعى الخضراء، ولذلك لا يستقر فى مكان واحد.

نيل مصر :

وكان لنهر النيل أكبر الأثر فى تحضر الإنسان، الذي سكن على ضفتيه، إذ منحه أرضاً خصبة من الطمى، الذى يحمله فيضانه كل عام، ونشأ عن تراكم الطمى عاماً بعد عام، وجود أراض تنبت الحبوب والخيرات، فتعلم المصرى الزراعة، ليحصل على غذائه وغذاء ماشيته.

الاستقرار:

ولما أغنته الزراعة عن حياة التنقل وراء المراعى، استقر بأسرته بجوار الأرض، يفلحها ويعنى بها، واستقرت بجواره أسرات أخرى وهكذا عاش المصريون فى «أوطان» صغيرة، وأصبح المجتمع فى مصر مؤلفاً من جماعات ترتبط حياتها بقطع متجاورة من الأرض، تتعلق بها وتدافع عنها

الزراعة :

وبذلك نشأت بمصر بيئة زراعية مستقرة منذ أقدم العصور، بينما كان سكان أوربا وغيرهم يتنقلون طلبا للصيد وسعيا وراء المراعى.

وعندما بدأ الزراع المصريون يستقرون، ظهرت أمامهم مشكلتان لا يمكن التغلب عليهما إلا بالاتحاد والنظام والعمل.

وكانت المشكلة الأولى خطر الفيضان، لأن القرية التى يقيمونها بجوار النهر يجرفها ماء النيل العالى، إذا لم تكن مبنية على ارتفاع خاص فوق مستوى النهر. فكانوا يتعاونون على جلب الأتربة وتكديسها حتى تكون أكواخ القرية فى مأمن من الفيضان.

وكان من الضرورى أن يحسبوا للفيضان العالى حسابه، فيتعاونوا على تقوية الجسور فى كل عام، ومراقبتها فى موسم الفيضان.

وكانت المشكلة : هى تنظيم الإفادة من مياه النهر بشق القنوات والترع، وإقامة الجسور بين الحياض، وابتكار المشروعات التى تزيد من مساحة الأراضى المنزرعة.

وقد ترتب على ظهور هاتين المشكلتين، أن قامت فى مصر فنون كثيرة: من هندسة الرى وقياس الأرض، وتوحيد جهود المجتمع فى القرية المصرية، وفرض النظام والطاعة على الأفراد لخدمة المجتمع، وأصبحت الحكومة ضرورة من ضروريات الحياة المصرية.

كذلك ارتقى تفكير المصريين منذ أن اعتمدوا في حياتهم على الزراعة بدلا من جمع الثمار والصيد والرعى، فتعلموا خزن المحصول فى فصل الحصاد ليكفيهم طول العام، وتعلموا تنظيم الرى وحصاد الزرع وحفظ المحصول من التلف. وما إلى ذلك من شئون الحياة الزراعية المستقرة.

وكلما استطاع المصرى أن يستغل فيضان النيل، كلما ازدهر المحصول وكثر، ولذلك تصوروا إله النيل كمخلوق مزدوج يجمع بين الرجل والمرأة وتزين رأسه خرقة من نبات البردى.

التجــــارة :

وكما منح النيل مصر حياة الزراعة والاستقرار، فقد كان أيضا شرياناً أساسيا للمواصلات بين مختلف جهات الوادى والدلتا. فصنع المصريون القدماء السفن التى يساعدها تياره على الانتقال بسهولة من جنوب الوادى إلى شماله، كذلك كان من السهل أن تسير تلك السفن من الشمال إلى الجنوب بواسطة الرياح الشمالية التى تدفع أشرعتها نحو الجنوب، فاتصل المصريون بعضهم ببعض اتصالا سهل تبادل التجارية فيما بينهم، فاتصلت أفكارهم، وتقاربت ميولهم.

فضل النيل :

وخلاصة القول أن نهر النيل جعل مصر، منذ أقدم العصور، وطناً غنياً، يصلح لأن تنشأ فيه حضارة عظيمة: فهو يفيض عليها كل عام بالخير والبركات: يروى أرضها، ويجدد خصبها، بما يحمله ماؤه من الطمى. وهو يربط بين أجزاء الوادى، من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، مما ساعد على نمو الحضارة، وقيام حكومة مصرية موحدة.

وفيضان مياه النيل، كان، منذ القدم، ولم يزل حتى الآن، أعظم حادث يؤثر فى ثروة مصر، ولهذا كان قدماء المصريين يترقبون حلول موسم الفيضان فرحين مستبشرين، يقيمون من أجله الأعياد والحفلات الدينية، ويتقربون بالهدايا الثمينة إلى إله النيل «حابى»، وينشدون له الأناشيد قائلين :

فاض (حابى)، فاض (حابى) أبشـــروا يــا زارعــــين
قدمـــوا الثـــيران لحمـــا قـدمـــوهـــا طـائعــــين

* * *

أيها المعبــــود (حـــابـــى) نحـن نقـريـك السـلام
قد نزلــت الأرض تحـــيى نبتهـــا فـــى كـل عـــام

* * *

قـد حبـوت الأرض قمحـاً وشعـــــيراً وكــــــروم
فمــــلأت الــدور خـــيراً وســــــروراً ونعيــــــم

* * *

أن يصب (حابى) جفــاف تصـــبح الأرض مـــوات
فـــترى الأقـــوام هلكـــى تحـــرم المـــاء الفــرات

* * *

فإذا أقبلـــت (حـــابى) عمنـــا خيـــر عظيـــم
وتـرى الأرض عروســـاً زان خديهـــا النعيـــم

* * *

دمت يـــا ســـر السعادة دمت يــا أصــل الوجــود
دمت (حابى) فى زيـادة دمت للقطـــر السعيـــد

* * *

نمو الحضارة وقيام
حكومة مصرية موحدة

قبائل مصر :

تطورت حياة المصريين القدماء من الصيد إلى الرعى ثم إلي الاستقرار بجوار الأراضى الزراعية، فمنذ آلاف السنين لم تكن فى مصر مدن أو قرى يجتمع فيها الناس، بل كان سكان مصر قبائل متفرقة متجولة على ضفاف النيل، واتخذت كل قبيلة لنفسها رمزاً خاصاً تلتف حوله، وقد جرت العادة أن يكون ذلك الرمز صورة حيوان أو نبات، وكانوا يحملون هذا الرمز على عمود يجعلونه علماً لقبيلتهم، وكثيراً ما كانت الحروب تقع بين القبائل المختلفة، فيقوى نفوذ إله القبيلة المنتصرة ويسيطر على القبائل المهزومة.

القرى والمدن :

بعد ذلك أخذت القبائل تستقر فى الأراضى الزراعية وتكون قرى ومدن لكل منها حكومتها الصغيرة، أما شارات هذه القرى والمدن الأولي سواءاً كانت وثناً أم حيواناً فأصبحت كآلهة تحمى هذه القرى المدن.

المقاطعات :

ثم تكونت مقاطعات من اتحاد هذه المدن مع القبائل التى تعترف بسلطان إله المدينة، ولذلك اطلقوا على تلك المقاطعات أسماء ألهة القبائل التى استقرت بها، وقد كانت هذه المقاطعات فى أول الأمر مستقلة، وكانت الخطوة التالية أن المقاطعات القوية أخذت تضم إليها المقاطعات الضعيفة، وقامت حركة اتحاد فى الشمال والجنوب، واستمرت حركات التوحيد والإندماج بين أقسام مصر

المختلفة إلى أن أصبح فى مصر قطران مستقلان : الأول فى الشمال وعاصمته «بوتو» (المعروفة الآن بتل الفراعين شمالى دسوق)، والثانى فى الجنوب وعاصمته «نخن» (على مقربة من مدينة إدفو بالصعيد).

وقد اتخذ أهل الشمال لأنفسهم آلهة تحميهم، كانوا يرمزون إليها بحية تدعى «وازيت»، وكان ملكهم يلبس تاجاً أحمر، واتخذ أهل الجنوب لأنفسهم آلهة كانوا يرمزون إليها يطير من إناث النسر، ويلبس ملكهم التاج الأبيض.

مينا يوحد القطرين :

ظل القطران منفصلين أزماناً طويلة، إلى أن ظهر فى الجنوب حاكم عظيم من بلدة طينة (قنا)، عرف فى التاريخ باسم الملك مينا أو نارمر، عزم على توحيد مصر كلها، شمالها وجنوبها، فى مملكة واحدة، فتم له ما أراد، حيث أسس فى مصر أول أسرة تاريخية معروفة، وكان ذلك قبل ميلاد السيد المسيح بنحو ثلاثة آلاف ومائتى سنة.

مدينة منف :

ولما نجح فى توحيد القطرين، شيد مدينة جديدة لتكون قلعة حربية حصينة تشرف على القطرين، وتصبح قاعدة لصد المغيرين على الأرض المصرية وسماها «من -نفر» أى الميناء الجميلة وهى التى سميت فيما بعد مدينة منف.

ومنذ أن نمت وحدة البلاد أصبح يطلق على مينا ومن جاء بعده من الفراعنة ألقاب «ملك الأرضين وصاحب التاجين، نسر الجنوب وصل الشمال» وبعد أن تم توحيد مصر، ذهب مينا بجيش كبير إلى ليبيا لتأديب الليبيين الذين كانوا يهاجمون مصر، وأسر منهم كثيرين وأخضعهم وأخذ منهم غنائم كثيرة من الماشية والحمير والأغنام.

لوحة نارمر :

وتوجد بالمتحف المصرى لوحة تذكارية من الأردواز، لها وجهان، رسم على أحدهما الملك مينا (نارمر) وقد لس تاج الشمال الأحمر، يسير للحرب وأمامه الأعلام، وبجوارها جثث الأعداء، وقد فصلت عنها رءوسها، وفى أسفل هذا الوجه رسم يمثل الملك على هيئة ثور قوى يهدم حصون الأعداء.

وعلى الوجه الثانى من اللوحة رسم الملك مينا (نارمر) وقد لبس تاج الوجه القبلى الأبيض يمسك بيده اليمنى صولجانا ويقبض بيده اليسرى على ناصية أحد الأسرى وأمامه الإله حوريس، يقف على رأس أسير آخر، وفى أسفل اللوحة رسم أسيرين يفران من الموت.

وهكذا كان مينا أو (نارمر) أول من وحد البلاد توحيدا نهائياً.

بعض مظاهر الحضارة المصرية القديمة

١- النظام الحكومى

فرعون ابن الآلهة :

بعد أن تم توحيد البلاد، أصبح لمصر نظام حكومى ثابت يبدأ بالملك، وينتهى بصغار الموظفين. وكان قدماء المصريين يعتقدون أن ملكهم ليس إنساناً كسائر البشر، وإنما هو ابن الآلهة، لأنه من نسلهم ولأن الروح الإلهية تدب فيه عند ولادته، وعندما يكبر ويصل إلى العرش، يصبح لديهم فى مرتبة المعبودات، ويطلقون عليه لقب (المعبود الطيب) ويعتقدون أنه الواسطة بين أهل الأرض، وآلهة السماء. وكانوا إذا تكلموا عنه لا يذكرون اسمه الحقيقى بل يذكرونه باسم (برعو) أى فرعون ومعناه البيت العظيم إشارة إلى القصر الذى يسكنه، وذلك تعظيما له وصونا لاسمه من أن يذكر على ألسنة الناس.

ولاعتقادهم فى أن فرعون من نسل الآلهة كانت كثير من أسماء ملوكهم تنتهى باسم تلك الآلهة مثل خفرع ومنكاورع وتوت عنخ آمون وإخناتون. وكان للفراعنة ألقاب كثيرة تدخل فيها أسماء الآلهة، فمثلا كان رمسيس الثانى يلقب بأنه «صاحب الجلالة حوريس، الثور القوى، المحبوب من آلهة العدل، حامى بلاد مصر، قاهر البلاد الأجنبية، ابن رع، يضىء على الناس من فوق عرشه مثل رع فى السماء»، وهى ألقاب تدلنا على أن فرعون كان فى اعتقاد قدماء المصريين إلها يتمثل على الأرض.

وعند تولية فرعون كان يذهب إلى المعبد، حيث يطهره الكهنة بأن يصبوا عليه الماء المقدس، ثم يضع رئيس الكهنة التاج الفرعونى على رأسه، ويضع الصولجان فى يده، وبعد إتمام هذه المراسم يطلق الكهنة أربعة طيور تحمل فى

رقابها رسائل إلى جميع الجهات تبشر بتتويج فرعون وينشد الكهنة أناشيد يقولون فيها .

أسرعـــى أسرعـــى يا طيـــور السمــــاء

واهتفـــى واسجعـــى بالمنـــــى والرجــــاء

* * *

أنت بشرى القلوب هيا شدى الرحـال

أسرعـــى للجنـوب وارجعى للشمـــــال

ثـــم فـــى المشــــرق وبغـرب السمــــــاء

حلقــــــى حلقــــــى واهتفى بالدعـــــاء

* * *

رتلـى لحـــن الأمانـــى للعبـــاد

واحملـى البشـرى لآلهة البـلاد

سيد الأرض حوريـس العظيـم

وابن إيزيس وأوزوريس الكريم

يلبس التاجين من مهج القلوب

تاج مصر من شمال وجنــوب

أسرعـــى أسرعـــى رفـرفـــى يا طيــــور

واهتفـــى واسجعـى غردى فـى ســــرور

وعلى الرغم من مظاهر التقديس والإجلال، التى كان فرعون يتمتع بها، فإنه لم يعتزل شعبه، بل كان يحب الاتصال به، ويظهر لأفراده الرعاية والعطف،

ويعتبر نفسه أبا للجميع، حتى أنه كان يأذن للمظلومين بالدخول عليه فى قصره ليرفعوا إليه شكواهم بأنفسهم، وكثيرا ما كان يحدث فى أثناء خروج موكب فرعون من قصره ذاهبا إلى المعبد، أن يندفع أحد المظلومين نحوه فيركع، ثم يقدم شكواه من ظلم لحقه من أحد الموظفين.

وكان فرعون يقوم بنفسه بالإشراف على المشروعات الإصلاحية كشق الترع، وإقامة السدود، وبناء المعابد، ويحرص على أن يقود الجيش بنفسه للدفاع عن البلاد، أو للقيام بغزوات جديدة، وكثيراً ما كان فرعون يقوم برحلات تفتيشية بين شمال الوادى وجنوبه، تاركا فى كل مكان ينزل فيه تذكاراً يدل على وصوله، ومن ذلك ما نراه منقوشاً على صخور جزيرة أسوان وعلى صخور الشلال الأول وبلاد النوبة.

الأمـــراء :

الأمراء هم نسل الملوك، كان فرعون يعين بأمرهم، ويخصص لهم أملاكا معينة، ويعين المتازين منهم وزراء أو حكاماً للأقاليم أو قواداً فى الجيش، وينشأ الأمراء من أبناء فرعون أو أقاربه فى قسم خاص بالقصر، يقوم على تربيتهم مربيون يعنون بتعليمهم وتثقيفهم، وكان الأمير في صغره يتدرب على الأعمال الحربية، ولهذا نبغ الكثيرون منهم فى الرماية وفنون الحرب الأخرى.

وفى بعض عهود مصر القديمة، كان فرعون يسمح لبعض أولاد الأسرات الكبيرة من الشعب أو أبناء رجال الحاشية بالإقامة فى القصر مع أبنائه لينالوا حظهم من التربية والتعليم، ويكونوا فى المستقبل خير أعوان لابنه عندما يعتلى العرش، وقد افتخر كثير من أبناء الشعب بتلك الرعاية، فسجل أحدهم على مقبرته «أنه تلقى دروسا فى السباحة مع أولاد الملك» وكتب آخر على تمثاله «أن الملك نفسه قد علمه ورباه فى البيت العظيم».

الــوزراء :

ولما زادت أعباء الحكم، رأى الملك أن يعين له وزيراً يعاونه فى تصريف شئون البلاد، ويشرف على تنفيذ القانون، وقد عين بعض الفراعنة أبناءهم أو أحد الأمراء المقربين فى هذا المنصب العظيم، وكان يطلق على الوزير فى بعض العهود المصرية القديمة «رئيس عظماء القطرين القبلى والبحرى، والثانى بعد الملك فى ردهة، والمشرف على جميع أشغال فرعون،

وكان الوزير يقوم دائما بوظيفة «كبير القضاة» ، ويشرف على مهام الدولة الأخرى كمراقبة الدخل والمنصرف، وما يرد إلى بيت المال من محاصيل المناجم والمحاجر والضرائب المتحصلة من البلاد الخاضعة لمصر، كما يشرف على حفظ الأمن وترقية الموظفين ورفع مستواهم، وهو القائد الأعلى للبوليس فى العاصمة.

وكان الفراعنة يهتمون بانتقاء وزرائهم ممن عرفوا بالعدل والحكمة واتصفوا بالأخلاق الحسنة. يدلنا على ذلك الخطاب الذى وجهه (تحتمس الثالث) إلى وزيره (رخارع) عندما أسند إليه منصب الوزارة والذى قال فيه: «تبصر فى وظيفة الوزير، ففيها يتمثل نظام البلاد كلها ... اعلم أن الوزارة ليست حلوة المذاق بل إنها مرة... واعلم أن الوزارة لا تعنى إظهار الاحترام والإجلال للأمراء والموظفين واستعباد الباقين من أفراد الشعب ... عامل من تعرفه كمن لا تعرفه والقريب ممن الملك كالبعيد عنه»...

ولما اتسعت دائرة العمل واتسعت أملاك مصر، عين فرعون وزيرين فى نفس الوقت : أحدهما للوجه القبلى ومقره طيبة، والآخر للوجه البحرى، ومقره منف، وكان كل منهما يجتمع بحكام الأقاليم على هيئة مجلس للتشاور فى أمور الدولة وفى بعض العهود اختار فرعون لمنصب الوزير بعض رؤساء الكهنة كرئيس كهنة آمون فى طيبة، ورئيس كهنة الإله (بتاح) فى منف، وبذلك كان

يجمع كل منهما أعلى منصب حكومى وأعلى منصب دينى فى وقت واحد والواقع أن منصب الوزير كان له فى العصور القديمة أهمية كبرى حتى أن أحد وزراء فرعون وصف نفسه بأنه (المشرف على مما تعطيه السماء، وتخرجه الأرض، ويقدمه النيل».

الكهنـــة :

كان المصريون القدماء متمسكين بدينهم، فبنوا المعابد الفخمة ليعبدوا فيها آلهتهم، وأطلقوا على المعبد اسم (بيت الإله)، وكان فرعون هو الكاهن الأعظم، الذى يشرف على جميع المعابد، ويرأس الحفلات الدينية الهامة، ويقدم لكل المراسيم الدينية.

ولما كانت واجبات الملك الأخرى تحول دون قيام الملك يومياً بهذه الواجبات للمعابد كلها فقد كان ينوب عنه رئيس الكهنة، وهو الذى كان يشرف دائماً على الموظفين والخدم القائمين بالعمل فى المعبد، وكان المصريون يحترمونه كل الاحترام لأنه نائب فرعون، وفرعون فى اعتقادهم هو ابن الآلهة.

ويعاون رئيس الكهنة فى النهوض بخدمات بيت الإله (المعبد) عدد من الكهنة يقومون بواجب وظائفهم الدينية كل يوم فى المعابد، فمنهم من يقومون بتقديم القرابين إلى الآلهة، ومنهم من يقرأون الأدعية ويرتلون الصلوات . ويضعون العطور على تمثال الإله. ويحرقون البخور أمامه وكان على الكاهن أن يكون ملما كل الإلمام بأنواع القرابين التى تقدم للآلهة ، والأوقات التى تقدم فيها، والصور المختلفة للآلهة وشاراتها المقدسة.

ومن الكهنة فئة تسمى بالمطهرين[1] نسبة إلى التطهير بالماء، الذي كان يصب عليهم وكان الكهنة المطهرين ورؤساؤهم ينتخبون من بين رجال القصر

(١) مثله الغطاس عند النصارى.

وعظماء رجال الدين أو من بين كبار الموظفين وكان الكهنة المطهرون يحتفلون كل يوم بإقامة الشعائر الدينية. وكان الكهنة يلبسون زياً خاصاً يميزهم عن بقية الطوائف، ويحلقون رءوسهم.

حكام الأقاليم :

انقسمت مصر منذ أقدم العصور إلي اثنين وأربعين إقليماً، منها اثنان وعشرون فى الوجه القبلى وعشرون فى الوجه البحرى، يرأس كل إقليم ممنها حاكم يعينه فرعون، وهو ينوب عنه فى إدارة الإقليم، ويسمى فى بعض الأحيان وكيل الملك أو نائبه، فهو الرئيس الأعلى للإدارة والقاضى الأكبر فى إقليمه والمشرف على جباية الضرائب السنوية التى يرسلها فى مواعيدها إلى العاصمة وكان عليه أن يعمل ما فى استطاعته ليزيد فى الثروة العامة فى إقليمه، لتكثر المحاصيل وتزيد كمية الضرائب من الغلال والماشية التى يرسلها إقليمه إلى فرعون وتمتنع المجاعات .

وقد وصف أحد حكام الأقاليم أعماله فقال : «عندما حلت المجاعة حرثت جميع أراضى الإقليم من الحد الجنوبى حتي الشمالى، وأعطيت الطعام للأهالى حتى لم يوجد بينهم جائع واحد ... ولم أفضل العظيم على الحقير ... وكانت لى الحظوة عند الملك، فقد امتزت بمقدرتى على جمع الإيراد ... وفى السنة الخامسة والعشرين من حكمى أرسلت من أملاك إقليمى ثلاثة آلاف ثور لبلاط فرعون ولذلك صرت ممدوحاً فى البيت العظيم فى كل موسم تجمع فيه ضريبة الماشية».

الموظفون :

استلزم النظام الحكومى فى مصر القديمة عدداً كبيراً من الموظفين، وكان موظف الدولة يبدأ حياته كاتباً، وكان المصريون يقدرون وظيفة الكاتب لأن

الكتابة تفتح له أبواب الترقى فى مناصب الدولة وكانوا يصفون الكاتب بأنه (نو مهنة عظيمة تجلب أدوات كتابته وملفات كتبه البهجة والثراء)، وينصح المصرى القديم ابنه فيقول «الرجل المتعلم يغنيه علمه».

وكان على الطاالب إذا تعلم الكتابة، وأراد أن يُعين بوظيفة من وظائف الدولة أن يلتحق بمكتب موظف كبير ككاتب بيت الخزينة أو أحد المشرفين على إدارة ممن الإدارات وذلك لكى يتدرب على أعمال وظيفته، ويزداد علماً وثقافة، وبعد أن يتم تدريبه تعينه الحكومة فى الوظيفة اللائقة به. بعد أن يتقلبوا فى عدة وظائف إدارية. وقد يصل إلى منصب حاكم لإقليم، أو مدير لإحدى إدارات الحكومة الرئيسية أو أمينا للملك. لذلك كان الأمل مفتوحاً أمام كل مصرى متعلم.

٢- المبانى

المقابر مساكن الموتى :

كان المصريون القدماء يعتقدون أن الإنسان عندما يموت، ينتقل إلى عالم آخر يبعث فيه حيا خالداً إلى الأبد، واعتقدوا أن حياته في الآخرة خير من حياته فى الدنيا، لأن الإنسان يعيش فيها متمتعاً بالسعادة والنعيم، وشجعتهم عقيدتهم فى خلود الروح على الإهتمام بأمور دينهم أكثر من الإهتمام بأمور دنياهم، والعناية بمقابرهم أكثر من عنايتهم بمنازلهم، ووصفوا المقابر بأنها (المساكن الخالدة).

خلود الروح:

واعتقد المصريون منذ أقدم العصور أن لكل إنسان روح يسمونها «با» تسكن الجسم مدى الحياة، وقرين يسمونه «كا» وهو كائن لا يرى، يشبه

صاحبه تمام الشبه، ويلازمه منذ ولادته، ويكبر معه، واعتقدوا أن وجود هذا القرين يضمن لصاحبه الحماية والقوة والحظ والفرح، وكانوا يرمزون إليه بذراعين مرفوعين إلى أعلا للتضرع والحماية.

وعندما يموت الإنسان تخرج الروح من الجسد على هيئة طائر له وجه يشبه وجه الميت، وأما القرين «الكا» فيجب أن يظل متمتعاً بالحياة إلى الأبد ليحل فى الجسد بعد الموت، وعندئذ يتمتع بكل ما كان ينعم به فى الحياة الدنيا، ولذلك عنى المصرى القديم بأمرين لكى يفوز بالسعادة الأبدية فى الآخرة: أولهما العمل بما يأمر به الدين من التحلى بمكارم الأخلاق واجتناب المعاصى حتى تظهر براءته يوم الحساب أمام محكمة الموتى. وثانيهما: حفظ الجسم سليما حتى يهتدى إليه (الكا).

محاكمة الموتى :

أما محكمة الموتى فيرأسها الإله (أوزوريس) إله الموتى ومن حوله اثنان وأربعون قاضيا أشكالهم مخيفة، ورءوسهم على هيئة الثعابين أو الصقور أو الكباش، ولهم أسماء غريبة منها ملتهم الدماء، ومهشم العظام، ونافث اللهب. وهناك فى ساحة تلك المحكمة يتقدم الميت ليدافع عن نفسه، ويتبرأ من الخطايا والمعاصى، ثم يقترب بعد ذلك من الميزان المنصوب وسط ساحة العدل حيث يوضع قلبه فى كفه، ويوضع رمز الصدق فى الكفة الأخرى، ويقف أمام الميزان الإله(تحوتى) إله الحكمة والعلم ليسجل نتيجة الميزان.

فإذا ثبتت براءة الميت أعادوا إليه قلبه الذى يعتبر رمز الحياة، وقاده الإله حوريس إلى أبيه أوزوريس، فيتقبله فى مملكته فى الحياة الأخرى حيث النعيم الأبدى الذى سماه المصريون (يارو) أى حقول السلام، حيث يحيى حياة سعيدة خالدة. وأما من ثبتت إدانته، كان فى انتظاره حيوان مفترس رأسه رأس تمساح، وجسمه جسم عجل البحر، فيلتهم قلبه ويفقده الحياة إلى الأبد.

أسطورة إيزيس وأوزوريس[1]

ويرجع تقديس المصريين للإله أوزوريس إلى أسطورة آمن بها قدماء المصرين منذ أقدم الأزمنة، إذ اعتقدوا أن الدنيا كانت فى سالف الأزمان محيطا عظيما من الحياة (نو) وظهر على وجهه (رع) إله الشمس و(نوت) إلهة السماء، و(جب) إله الأرض وقد تزوج (جب) من (نوت) وخلفا ولدين هما (أوزوريس) و(ست)، وابنتين هما (إيزيس) و(نفتيس) وتزوج (أوزوريس) من (إيزيس)، وتزوج (ست) من (ننفتيس).

ثم أصبح (أوزوريس) ملكاً على مصر، فكان عادلا فى حكمه، طيباً مع شعبه، فأحبه الناس وقدسوه، فحقد عليه أخوه (ست) إله الشر، وعزم على أن يتخلص منه ليخلو له الجو، فأخذ سراً مقاس جسم (أوزوريس) وصنع على قده صندوقاً جميلا مرصعا بالجواهر والأحجار الكريمة، وأقام وليمة فاخرة دعاه إليها مع عدد من المتآمرين معه.

وفى أثناء ذلك عرض (ست) على المدعوين الصندوق الجميل، وأعلن أنه يمنحه هدية لمن يكون الصندوق مطابقا لجسمه، فأخذ كل منهم يجرب وضع جسمه فى الصندوق فلم يطابق أحداً منهم، وأخيراً تقدم (أوزوريس)، ورقد فى الصندوق، فأسرع المتآمرون وأغلقوه وسمروه بالمسامير ثم ألقوه فى النيل.

علمت إيزيس بما حدث، فحزنت أشد الحزن، وعزمت على البحث عنه، وأشار عليها الإله (تحوتى) إله العلم والحكمة بالفرار من مستنقعات الدلتا، ثم عرفت بطريق السحر أن الأمواج قد حملت الصندوق وألقته على شاطئ فينقيا عند مدينة ببلوس، فنبتت فوقه شجرة احتضنته فى جذعها، وأخذت تنمو وتكبر حتى احتوته داخلها بأكمله،

---

(١) يرى بعض المؤرخين أن أوزوريس هو فرعون موسى لأنه مات غريقاً كما تروى الأسطورة.

ولما رأى ملك تلك البلاد هذه الشجرة، أعجبه منظرها، فأمر بقطعها واتخذ من جذعها عامودا زين به ردهة قصره.

ووصلت (إيزيس) إلي فينقيا، وجلست تبكى بجوار قصر الحاكم، فاستدعتها ابنته وألحقتها بالقصر كمربية، وأخيرا أدرك أهل القصر أنها إلهة مصرية، وسمحوا لها بأخذ تابوت زوجها، فجاءت به إلى مصر، وأخفته فى أحراش الدلتا ريثما تبحث عن ابنها (حوريس) الذى كانت قد تركته أثناء بحثها عن زوجها . غير أن (ست) عثر على التابوت وفتحه ومزق جثة أوزوريس، وألقى بكل قطعة فى ناحية من الأرض، ولما عادت إيزيس، أخذت تبكى وتنتحب، وتطوف الأقاليم لتبحث عن أشلاء زوجها أوزوريس، وكانت كلما وجدت قطعة منها دفنتها حيث وجدتها، ولذلك كثرت معابد أوزوريس فى مصر.

ولما كبر ابنها (حوريس) واشتد ساعده، انتقم لأبيه من (ست) وحارب عمه حتى انتصر عليه، وأصبح حاكما على مصر، بينما أصبح أبوه (أوزوريس) حاكما على مملكة الموتى، يحاسب أمامه الميت فى ساحة العدل، ثم يصبح من رعاياه فى العالم الآخر.

أثر هذه العقائد :

١- (التحنيط) :

كان من أثر اعتقاد قدماء المصريين في الحياة بعد الموت، أن وجهوا عنايتهم إلى تحنيط أجساد موتاهم حتى لا تبلى، ووضعوا تمثالا أو أكثر للميت فى مكان أمين فى المقبرة حتى يسهل على القرين(الكا) التعرف عليه.

٢- التماثيل :

أو ليحل (الكا) فى التمثال إذا حدث للجثة تلف أو عطب أو اختفت من المقبرة لأى سبب من الأسباب، ويزداد عدد التماثيل فى المقبرة تبعا لثراء

صاحبها، ولما كان القرين يجب أن يظل حيا وجب تزويده بالمأكل والمشرب يوضع فى المقبرة، ورأى بعض الفراعنة أن يستعيض عن ذلك بأن تنقش على صوره على جدران المقبرة .

٢- كتاب الموتى :

كتب الفراعنة على جدران أهرامهم نقوشا مكتوبة بالهيروغليفية، وهى عبارة عن نصوص دينية وأدعية وطلاسم سحرية اعتقد قدماء المصريين أنها تحول المأكل والمشارب المرسومة على الجدران إلى أشياء حقيقية، واعتاد بعض قدماء المصريين أن يضعوا إلى جانب الميت فى تابوته لفائف من ورق البردى بها كتابات دينية وتعاويذ سحرية ورسوم ملونة سميت (كتاب الموتى)، لتقى الميت شر الأفاعى والوحوش والأرواح الشريرة، وترشده إلى تجنب الأخطار التى تصادفه فى رحلته إلى العالم الآخر، وتعلمه ما يجب أن يقوله أمام القضاة فى محكمة الموتى.

وكان من أثر اعتقاد المصريين القدماء فى الحياة الآخرة أن وجهوا إهتمامهم إلى الشعائر الدينية، والعمل بما يأمر به الدين من فضائل : كالتقوى والإحسان والصدق وضبط النفس وحماية الضعيف وغير ذلك.

تطور بناء القبور :

ولما كان المصريون القدماء يعتقدون منذ أقدم العصور أن القبور هى مساكنهم الأبدية، وجهوا إليها أكبر إهتمامهم : فقد كانوا قبل عصر توحيد البلاد يدفنون موتاهم فى حفرات بسيطة فى الرمل على حافة الصحراء لتكون بعيدة عن مياه الفيضان، يوضع الميت فيها على حصير ويدفن معه الأشياء التى كان يستعملها فى حياته ، وبعض الأوانى والتعاويذ.

المصطبة :

ثم تقدم بناء القبور بمرور الزمن، فكان الميت يدفن فى حجرة عميقة تحت الأرض، تعلوها حجرتان : إحداهما للعطايا والقرابين التى تقدم لروح الميت، والأخرى لتوضع فيها تماثيله.

الهرم المدرج :

وكانت مقابر الفراعنة تبنى على هيئة المصاطب إلى أن جاء الملك (زوسر) الذى أراد أن يشيد لنفسه مقبرة عظيمة، فبنى مصطبة من الحجر الجيرى، ثم بنى فوقها عدة مصاطب، تصغر كل منها كلما ارتفع البناء، ولذلك أطلق عليه اسم الهرم المدرج، ويعتبر أقدم بناء حجرى عرفه التاريخ.

وبعد ذلك بعدة سنين شيد الملك (سنفرو) لنفسه هرما حقيقيا فى دهشور له قاعدة مربعة الشكل، وكل وجه من وجوهه الأربعة على شكل مثلث.

هرم خوفو :

وأكبر هرم بنى فى مصر هو هرم خوفو بالجيزة، ويعتبر أعجوبة من عجائب الدنيا لضخامته وهندسة بنائه، وقد اختار (خوفو) تلك المنطقة لأنها هضبة مرتفعة متسعة، وتبلغ مساحة الأرض التى أقيم عليها الهرم ثلاثة عشر فدانا.

وكان ارتفاعه عند بنائه ١٤٦ مترا ولكن قمته أخذت تتهدم بمرور الزمن حتى أصبح ارتفاعه فى الوقت الحاضر حوالى ١٣٧متراً.

وقد اشتغل فى بنائه مائة ألف عامل كانوا يعملون فى كل عام طول مدة الفيضان، أى حينما تتعطل الحياة الزراعية فى مصر.

ما الذى يدل عليه بناء الأهرام :

ويدل بناء الأهرام على مبلغ ما كان لفرعون من إجلال وتقديس عند شعبه، إذ كان العامل يشتغل فى بناء الهرم وهو يشعر أنه يؤدى واجبا مقدسا لفرعون ابن الآلهة.

ويدل بناء الأهرام وما فيها من سراديب خفية، وغرف داخلية على نبوغ المصريين منذ أقدم العصور فى فن البناء وهندسة العمارة ومهارتهم فى تنظيم العمل، إذ بنى الهرم من أحجار ثقيلة ضخمة، وضعت بإحكام بعضها فوق بعض، وقد نقلت بعض أحجاره من محاجر طره على الضفة الشرقية للنيل، حيث كانت توضع على زحافات تجرها الثيران إلى ضفة النهر، ثم تنقل فى السفن إلى الضفة الغربية، وهناك تسحب إلى مكان البناء. وقد نبهت الكشوف الحديثة على أن المصريين استعملوا بكرات من الجرانيت فى رفع الأحجار الضخمة إلى أن تم بناء الهرام.

ويدل بناء الأهرام على أن مصر كانت تتمتع بالغنى والرخاء حتى استطاعت الحكومة تنظيم هذا العمل الخالد وإطعام مئات الألوف من العمال وإيوائهم.

وبعد عدة مئات من السنين، نحت المصريون مقابرهم فى الصخر، وهناك فى الضفة الغربية للنيل أمام مدينة طيبة (الأقصر) تقع مدينة الأموات حيث توجد مقابر الكثيرين من الفراعنة والأمراء والوزراء وكبار الموظفين، وهى مقابر مفرغة فى صخور الجبال، وجدرانها وأعمدتها مزينة بصور جميلة ملونة تمثل حياة الميت التى كان يحياها فوق الأرض فترى صور فرعون يقدم القرابين للآلهة وهى ترحب به، أو تراه جالساً أو واقفاً وبجواره زوجه أو ذاهباً للصيد والقنص، أو تراه جالساً فوق عرشه وأمامه حكام البلاد التى غزاها، يقدمون له

الجزية وترى غير ذلك من مناظر الحياة اليومية للمصريين كالصناع والزراع والتجار والبحارة ، وبالجملة ترى على جدران القبور حياة مصر القديمة رسمتها ونقشتها ولونتها أيدى فنانين مهرة منذة عدة آلاف من السنين.

المعبد بيت الإله :

وكما اهتم قدماء المصريين ببناء مقابرهم ، اهتموا كذلك بإقامة المعابد، وسموها بيوت الآلهة، لاعتقادهم أن الآلهة تسكن فيها، وقد كانت المعابد في أول أمرها أبنية بسيطة صغيرة مصنوعة من الخشب أو فروع الأشجار المضفورة بالغاب، ولكنها بدأت تتسع، وبتغير هندستها تبعاً لتغير المعتقدات الدينية وتقدم فن البناء.

وعندما بنى خوفو هرمه أقام فى الجهة الشرقية منه معبداً كبيرا يسمى (المعبد الجنائزى) ليقوم فيه الكهنة بتأدية المراسم الدينية، ويتصل بمعبد آخر يسمى (معبد الوادى)، وكان المعبد الجنائزى يتكون عادة من بهو ذى أعمدة وغرفتين ضيقتين توضع فيهما تماثيل فرعون الذى كان المصريون يعبدونه بعد وفاته.

معابد الشمس :

وبعد وفاة الملك خوفو بعدة سنين انتشرت عبادة الشمس وقام عدة فراعنة ببناء معابد لإله الشمس (رع) بجوار أهرامهم، ويقوم معبد الشمس وسط فناء واسع تتوسطه مسلة ضخمة مبنية من كتل من الحجر الجيرى يبلغ طولها حوالى ٦٠ مترا ومقامة على قاعدة مرتفعة، ولها قمة هرمية مموهة بالذهب لتتألق فى أشعة الشمس المشرقة، وأمام المسلة يقع المذبح الضخم، وهو عبارة عن مائدة من المرمر تقدم عليه القرابين إلى (رع) إله الشمس، وكان على جدران

المعبد نحت بارز لقوارب كبيرة تمثل القارب الذى يسبح فيه رع إله الشمس فى أثناء النهار من الشرق إلى الغرب، والقارب الآخر الذى يسبح فيه من الغرب إلى الشرق، ويختلف معبد الشمس عن المعابد الأخرى إذ لا توضع فيه تماثيل للآلهة، لأن (رع) لم يكن مقره الأرض.

بل إنه يسطع فى السماء ولذلك اكتفى فراعنة ذلك العهد بالمسلة الضخمة المقامة وسط المعبد والتى تعتبر رمزاً لعبادة الشمس.

المسلات :

ثم تطورت بناية المعابد بعد أن انتشرت بين المصريين عبادة آلهة أخرى كالإله أمون، وازدادت عناية الفراعنة بإقامة معابد ضخمة تختلف كل الاختلاف عن معابد الشمس إذ يرى الداخل إلى المعبد أبراجا حجرية عالية مغطاة بالرسوم التى تمثل حروب فرعون ومغامراته ويرى فوق الأبراج ساريات تخفق عليها الأعلام وبوابة ضخمة مرتفعة على جانبها مسلتان عاليتان من الجرانيت المصقول لكل منهما قمة مذهبة تتلألأ فى أشعة الشمس.

وتختلف تلك المسلات عن مسلات معابد الشمس، لأن الثانية كانت تبنى من كتل من الحجر الجيرى المرصوص بعضه فوق بعض أما الأولى فكان المصريون يقتطعونها كتلة واحدة من الجرانيت، وينحتونها ويطلون رأسها الهرمى بالذهب ويقيمونها على جانبى باب المعبد.

ومن أشهر المسلات مسلتان أمرت الملكة حتشبسوت بنحتهما وإقامتهما أمام معبد آمون فى الكرنك (بالأقصر) فسافر مهندسها (سنموت) إلى محاجر أسوان وقطع قطعتين كبيرتين من صخر الجرانيت، طول كل منهما ٩٨ قدما وأحضرهما فى النيل إلى طيبة حيث أقيمتا بمعبد الكرنك.

وأمرت حتشبسوت أن يكتب على احدى المسلتين ما يأتى : «كنت جالسة فى القصر أفكر فى خالقى فحدثنى قلبى أن أصنع لأجله هاتين المسلتين اللتين تطاولان السماء».

معبد الكرنك :

ومعبد الكرنك بالأقصر هو أكبر المعابد المعروفة، بناه الفراعنة وكان كل فرعون من فراعنة مصر يحرص على أن ينشىء به أبنية جديدة ولذلك نجده يحتوى على عدة معابد وأشهر المباني التى أضيفت إليه : معبد (أمنحتب الثانى) الذى يشتهر بأن سقفه تحمله قوائم مربعة مزدانة برسوم تمثل فرعون فى حياته الدينية وهو يقدم للآلهة القرابين وتمتاز رسومه بدقة النحت وجمال الألوان.

وعلى مقربة منه معبد أقامته الملكة حتشبسوت يبدأ ببرجين عظيمين وبين برجى البناء مدخل يزدان بقرص الشمس ذى الجناحين. وهى شارة ترمز إلي وحدة القطرين. ثم نجد خلف معبد حتشبسوت معبداً آخر بناه تحتمس الثالث ونصب أمامه تماثيله الضخمة ورسم على جدرانه رسوماً تمثله وهو يضرب أعداءه وينتصر عليهم.

والواقع أن معبد الكرنك يعتبر سجلا حافلا لتاريخ أشهر فراعنة مصر ومتحفا يتمثل فيه تطور فن البناء والعمارة والنحت فى مصر القديمة.

٤- الزراعــة

حياة الفلاح :

الزراعة أساس الحضارة فى مصر. ويرجع السبب فى ذلك إلى نهر النيل ففيضانه كل عام، يغمر أرضها بالماء، فيرسب الطمى الذى يزيد الأرض خصوبة والزرع نماء، وعندما تنتهى فترة الفيضان، يبدأ الفلاح المصرى فى حرث الأرض، وتفتيت ما على سطحها من كتل الطمى الكبيرة، وكان يستخدم في هذا الغرض فأسا قصيرا.

ولما زاد عدد سكان مصر، واتسعت مساحة الأرض المنزرعة استعمل الفلاح المحراث، وهو يشبه المحراث الخشبى الحالى فى شكله. وكان يخصص رجلان لكل محراث، يتكىء أحدهما بكل قوته على مقبض المحراث ليغرس سلاحه المدبب فى الأرض ويشقها شقاً جيداً، ويقود زميله الثيران ويحثها بعصاه على السير. وخلف المحراث كان يسير فلاحون آخرون يحمل كل منهم سلة من البوص أو القش المضفور ينثرون منها البذور فى الخطوط التى شقها المحراث.

غرس البذور :

بعد ذلك يساق قطيع من الغنم لكى تغرس البذور بأرجلها، وتسمد الأرض بروثها، يحثها على السير رجال يحملون السياط أو العصى، وفى بعض الأحيان كان يتقدم الغنم فلاح يلوح لكبيرها (الكبش) ببعض الحبوب فيتبعه ومن ورائه بقيةالقطيع.

الحصــاد :

وكان القمح والشعير أهم المحصولات عند قدماء المصريين فعندما يحين

وقت الحصاد، يجتمع الفلاحون وبيد كل منهم منجل قصير يقطع السنابل، وبينما هم يجدون فى العمل، نجدهم يستعينون على تجديد نشاطهم وتنظيم حركاتهم بالغناء، يقودهم فيه رجل ينفخ فى الناى، وآخر يغنى بصوت جميل، مصفقا بيديه على توقيع النغم.

درس الحبوب :

وبعد أن يتم حصد المحصول يحزم الفلاحون السنابل ويصفونها في شبكات ثم يحملونها على أكتافهم، أو ينقولونها على ظهور الحمير، لدرسها فى الجرن. والجرن مكان فسيح على هيئة دائرة، تنشر فيه سنابل القمح أكواماً منتظمة لدرسها، ولم يكن المصريون القدماء يعرفون النورج الحالى، بل استخدموا الحمير أو الثيران لتدوسها بحوافرها فتنفصل الحب عن القش.

وبعد أن ينتهى درس الحبوب، تبدأ بعض الفلاحات بتذريتها بواسطة ألواح خشبية مقوسة يدفعن بها الحبوب إلى الهواء فتتساقط على الأرض وتحمل الرياح التبن والمواد الأخرى بعيدا عن الحبوب، وكانت الفلاحات في أثناء ذلك يعصبن رءوسهن بمناديل لحمايتها من الأتربة المتصاعد. ثم تغربل النساء الحبوب بغربال مربع حتى تتم تنقيتها من المواد الغريبة. ثم تكال بالمكاييل، وأخيرا ينقلها الفلاحون إلى الصوامع لحفظها من التلف.

والصومعة بناء من الطين مخروطى الشكل تقريبا، له قاعدة مستديرة، وفى الجزء الأعلى لكل صومعة فتحة صغيرة تستخدم لملئها بالحبوب ويصل إليها الفلاح بسلم، وفى الجزء الأسفل فتحة أخرى لأخذ القمح منها على حسب الحاجة.

أما المزارع الكبيرة، الخاصة بفرعون، أو الأمراء، أو الكهنة أو الحكام، فكان يشرف عليها مدير خاص، يطلق عليه اسم «مدير الحقول»، ولكل منها

شونات متسعة لبناء الصوامع الكبيرة، والغرف الصغيرة للكتبة والأمناء المشرفين على إحصاء الحبوب عند وضعها فى الصوامع، وعند السحب منها وقت الحاجة.

محصولات أخرى :

وكما كان الفلاح يهتم بزراعة الحبوب لصنع خبزه اهتم بزراعة الكتان لنسج ملابسه وزرع أنواعا من الخضر والبقول والفاكهة كالبصل والكرات والعدس والحمص والخيار والشمام والتين والعنب وقد عنى بعض كبار المزارعين بزراعة العنب ليعصروه ويستخرجوا منه شرابا يشبه النبيذ.

تربية الماشية :

وكان الفلاح المصرى القديم مغرما بتربية الماشية والأغنام :كالثيران والبقر والخراف والماعز، وكان يعتز بثوره وبقرته، ويطلق عليها الأسماء . ويزينها بالأغطية الجميلة ويعلق فى رقبتها قلائد وجلاجل ذات أشكال مختلفة كما يفعل بعض الفلاحين اليوم. كذلك اهتم بتربية الطيور والدواجن وتفريخ البيض بنفس الطريقة المستعملة فى مصر فى الوقت الحاضر.

بيت الفلاح :

وكان الفلاح يسكن بيتا صغيرا له فناء صغير «زريبة» يضع فيها ماشيته وأغنامه، وبه حجرة أو حجرتين لنومه ونوم أسرته، بكل منهما فراش بسيط، وحصير ومقعد أو مقعدين من الخشب، وفى كل حجرة نافذة ضيقة مرتفعة عن الأرض ذات مصراع من الخشب، تغطى من الخارج بالقش اتقاء للبعوض، وكان الفلاحون فى موسم الزراعة يخرجون فى الصباح الباكر للعمل فى الحقل ولا يعودون إلا آخر النهار، أما فى موسم الفيضان فكانوا يقضون أوقاتهم فى

أشغال أخرى . كعمل الحصير أو غزل ونسج الكتان والصوف أو صنع القوارب الصغيرة وصيد الأسماك والطيور وغير ذلك .

ألعاب الفلاح وأعياده :

أما وقت الفراغ فكان الفلاح يقضيه فى بعض الألعاب يسرى بها عن نفسه، ومن هذه الألعاب · المصارعة والمبارزة بالعصى القصيرة، وكان كل من المتبارزين يشد إلى ذراعه الأيسر سيوراً يتقى بها ضربات خصمه. أو لعبة (الحكشة) وهى تشبه لعبة الهوكى فى العصر الحاضر، أو يتسلى بالألعاب التى تقوم على الحظ أو التفكير كلعبة تشبه الشطرنج يلعبونها على رقعة مصنوعة من طمى النيل وكان بعضهم يتسلى بالرقص بينما ينفخ أحدهم فى الناى ويصفق الباقون، أو يرقص كل اثنين معاً

وكان الأطفال يلعبون ألعاباً مختلفة منها صيد الطيور بالنبال، وكرة اليد، ومنها أن يجلس ولد ويخفى وجهه فى حجر زميله ثم يتناوب زملاؤه ضربه، وعليه أن يخمن من الذى ضربه منهم فإذا أصاب جلس المغلوب مكانه(١) وهكذا

وكان الفلاح المصرى يهتم بالأعياد السنوية، وأهمها عنده عيد الحصاد فعند جمع المحصول. يقيم الفلاحون والفلاحات الاحتفالات لتقديم باكورة الحصاد للإله «مين» إله الخصب فيرقصون رقصاتهم الوطنية وينشدون أناشيد الشكروالابتهاج.

---

(١) مثل لعبة سلطح الآن

قصة الفلاح الفصيح

وكان لبعض الفلاحين المصريين مواهب خاصة، من ذلك ما سجله قدماء المصريين فى آدابهم عن فلاح مصرى كان يعيش فى واحة بإقليم الفيوم قبل ميلاد المسيح عليه السلام بثلاثة آلاف سنة واعتاد ذلك الفلاح أن يحمل حماره بعض منتجات قريته من ملح ونطرون لبيعها إلى أحد التجار فى بلدة أخرى، وكان ذات يوم فى موسم الحصاد يمر بحماره بقطعة أرض يزرعها رجل يسمى «تحوتى» طمع فى حمار الفلاح وما يحمله من الملح، فادعى على الفلاح أن الحمار قد داس القمح وأكل بعض السنابل ثم قال له : «سآخذ الحمار نظير ما أكله من قمحى». وضربه ضرباً موجعاً.

ذهب الفلاح يشكو إلى حاكم المدينة وقاضيها قائلا له : «يا أقوى الأقوياء وأعظم العظماء، يا صديق الفقير ووالد من لا والد له، يا نصير الأرامل وغوث اللاجئين وعون المحتاجين، إنى أمدح إسمك لأنك تأخذ الحق للضعيف فأنت عدو المجرمين ونصير العدالة. إنك تسمع صراخى وسمحت لى بالكلام فأرنى رحمتك وارحم ضعفى وانظر فى أمرى، وامح بعد ذلك ظلماً أصابنى، لقد أثقل الحزن كاهلى ففرج الكرب عنى ورد إلى حقى الذى سلبه الظالم المغتصب».

وقد نقل الحاكم، وهو قاضى المنطقة، شكوى الفلاح إلى فرعون، وذكر له الكلمات الفصيحة التى فاه بها الفلاح فأعجب الملك ببلاغتها، وطلب إلى القاضى أن يأمر الكتبة بتسطير الكلمات التى ينطق بها الفلاح لأنه يود سماعها كلمة كلمة.

ظل الفلاح يتردد كل يوم على دار القاضى يشرح له مظلمته فى فصاحة وبلاغة، والكتاب يدونون فى أوراقهم كل كلمة يقولها. وكان القاضى يهمل شكواه متعمدا، ليستزيد من فصاحته، إلى أن كانت المرة التاسعة، فأرسل إليه خادمين

يقولان له . «لقد سمع فرعون الحديث وقرأه وسر منك وسيكافئك». ثم أمر القاضى بالتحقيق مع «تحوتى» الذى اغتصب الحمار والملح، ورفع نتيجة التحقيق إلى فرعون. ونال الظالم جزاءه فضرب ضرباً موجعاً وصودرت أملاكه وأنعم بها فرعون علي الفلاح الفصيح، وأمر بإحضاره إلى القصر وعينه فى حاشيته وأسكنه هو وزوجته وأطفاله بالقصر

امنمحات الثالث وعنايته بالزراعة والرى :

اهتم الفراعنة بتوسيع مساحة الأراضى الزراعية، والعناية بمشروعات الرى. وكان أول هذه المشروعات مشروع خزان الفيوم: فكر بعض الفراعنة فى الاستفادة من أراضى الفيوم المنخفضة التى تغمرها مياه الفيضان، فأقاموا سدودا بين وادى النيل ومنخفض الفيوم حتى يصبح المنخفض خزانا ينتفع بمائه طوال العام، وكانت مياه الفيضان تنحدر إلى المنخفض فى مجرى يطلق عليه الآن «بحر يوسف» فتحمله إلى بحيرة كان الإقليم لا يستفيد من مياهها.

ولما تولى امنمحات الثالث حكم البلاد بعد وفاة «خوفو» بألف سنة تقريبا رأى أن يقوم بمشروع للاستفادة من أراضى الفيوم على نطاق واسع فأمر بمد السدود التى أقامها أسلافه بالقرب من الفجوة التى توصل المياه إلى منخفض وبذلك جفت مساحة كبيرة من أرض البحيرة وزادت مساحة الأراضى المنزرعة.

ولم يكن اهتمام امنمحات الثالثة بأمور الزراعة والرى مقصورا على إقليم الفيوم بل اهتم بها فى جميع أنحاء البلاد، وأنشأ مقياسا للنيل عند سمنه بالقرب من الشلال الثانى فى شمالى السودان ليسجل منسوب مياه الفيضان فى كل عام حتى تجمع الحكومة الضرائب على حسب ارتفاع النيل ولا يظلم الفلاحون فلا عجب إذا أطلق على عهد امنمحات «العصر الذهبى للفلاح».

٥- التجــارة

أثر النيل فى المواصلات :

لما عرف قدماء المصريين الزراعة واستقروا على ضفاف النيل كان النهر وسيلتهم فى الاتصال بعضهم ببعض، وقيام الحياة التجارية بينهم فسارت قواربهم وسفنهم تنقل حاصلاتهم وسلعهم من مكان إلى آخر، يساعدهم تيار النيل فى دفعها من شمال الوادى إلى جنوبه.

ولم يكن الأمر يحتاج إلى مواصلات أخرى إلا فى المسافات القصيرة بين البلدان التى تقع بجوار النهر والبلدان القليلة الأخرى البعيدة عن الشاطئ، وفى هذه الرحلات القصيرة كان قدماء المصريين يستخدمون الحمير، وكان الحمار فى العصور القديمة هو وسيلة الانتقال بين البلدان البعيدة عن النهر، كما كان أيضا دابة الصحراء لأن الجمل لم يكن معروفا أيام قدماء المصريين. ثم استخدم المصريون لحمل الأثقال نوعاً من العربات تجرها الثيران وأهم ما استخدمت فيه تلك العربات نقل الأحجار وحمل الزاد إلى عمال المناجم.

ولهذا كان المصرى القديم يعتبر نهر النيل الطريق الطبيعى للمواصلات فى البلاد. وكان إذا سافر إلى الصعيد يقول (صعدت مع النهر) وإذا سافر إلى الشمال يقول (انحدرت مع النهر).

وكانوا يعتقدون أن الإله رع (الشمس) يسير فى الفجر فى سفينة الصباح، وعند الغروب يعود فى سفينة الليل. وكذلك كانوا يصنعون نماذج من الزوارق أو السفن يضعونها مع الميت فى مقبرته حتى يتمكن من أن يسبح بها فى الآخرة كما يسبح الإله رع.

وكانت تنصب الأسواق فى المدن والقرى للبيع والشراء بطريق المقايضة، وسجل قدماء المصريين مناظر الأسواق على جدران مقابرهم فنجد مثلا بائع

السمك جالسا أمام سلعة تساومه امرأة على ثمن سمكة كبيرة، وهى تحمل في يدها صندوقا صغيرا لتقايضه به على ما تشتريه وإلى جانبه بائع زيت وأمامه امرأة تفاوضه فى مبادلتها بعض سلعه مقابل إناءين صغيرين.

وكانت السفن إذا رست عند مدينة أو قرية، يندفع البائعون نحو الشاطئ ويجلسون بجواره أمام قدورهم وسلالهم يبيعون للملاحين والمسافرين الأطعمة فى مقابل ما يحمله هؤلاء من مصنوعات وبضائع.

ولما تقدمت التجارة وراجت ابتكر المصريون نوعاً آخر من العملة بدلا من نظام المقايضة، وهى عبارة عن قضبان من النحاس ذات وزن ثابت، ثم استعملوا بدلا منها حلقات من المعادن يسهل حملها.

صناعة السفن:

عنيت مصر عناية كبيرة بصناعة السفن فقد بدأ المصريون قبل عصر الوحدة بمئات السنين بصنع زوارق صغيرة مصنوعة من سيقان نبات البردى شد بعضها إلى بعض وكانت مجرد أطواف ليس لها حافة، يستخدمها الصيادون ولا تتسع لأكثر من شخصين ولا تصلح إلا للسير فى المياه الهادئة، وعندما ارتقت الحياة فى مصر، واستقر المصريون فى قراهم ومدنهم، وأصبحوا فى حاجة إلى تبادل حاصلاتهم وسلعهم.

تقدمت صناعة السفن وبدأوا يصنعون سفناً كبيرة من الخشب مزودة كل منها بعدد كبير من المجاديف وشراع من الكتان يستعمل عند هبوب الريح وكان المجدفون يجلسون وظهورهم نحو مقدمة السفينة وقد ربط كل منهم مجدافه إليها بحبل قصير. وكان ربان السفينة يقف دائماً عند طرفها الأمامى وفى يده خشبة طويلة يقيس بها عمق الماء ثم يصيح مصدرا أوامره للملاحين.

وبنى المصريون نوعا من السفن لها جوانب عالية تتسع لأكبر كمية من البضائع وبها مكان خاص لنقل الماشية أما السفن التى كانت مخصصة لنقل الأثقال كالأحجار الكبيرة فلم تكن تسير بالشراع بل يشدها العمال الذين يسيرون أمامها على طول الشاطئ.

التجارة مع السودان :

وكانت السفن تنقل محاصيل مصر إلي السودان: من حبوب وأقمشة وغيرها وتعود محملة بالحاصلات السودانية : كخشب الأبنوس والعاج وجلود الفهود وريش النعام. وكانت مدينة سين (ومعناها السوق) وهى أسوان الحالية أهم مركز لتبادل التجارة بين شمال الوادى وجنوبه.

التجارة الخارجية :

أما التجارة الخارجية فقد بدأت منذ عرف المصريون بناء السفن الكبيرة من الخشب إذ لم تقتصر أساطيلهم التجارية على السير فى نهر النيل، بل أخذت تتجه نحو البحر حتى وصلت إلي الموانئ الواقعة فى شرقى البحر الأبيض المتوسط على ساحل فينيقيا(سواحل فلسطين ولبنان الحالية) وساعدتهم الأخشاب التى كانوا يجلبونها من تلك الجهات على ترقية بناء سفنهم وسهلت لهم إعداد أساطيل كبيرة للقيام بالتجارة خارج مصر وكانت تجوب البحرين المتوسط والأحمر.

أسطول سنفرو :

وأول أسطول مصرى كبير خرج من مصر هو الأسطول الذى أرسله الملك سنفرو والد (خوفو) إلى فينيقيا وكان مكونا من أربعين سفينة عادت إلى مصر محملة بأخشاب الأرز، وهى أخشاب متينة كان فراعنة مصر حريصين

على جلبها من غابات لبنان لبناء السفن ثم اتسعت التجارة بين مصر وجاراتها، ولما كانت مصر غنية بحبوبها وغلاتها ومصنوعاتها من الأقمشة الكتانية والفخار والذهب، فقد أرسلت إليها ما زاد عن حاجتها واستوردت منها بضائع كثيرة : كالخشب والزيوت والنبيذ وآلات الموسيقى والمصنوعات الجلدية.

وعندما عرف المصريون استخدام الخيول فى جر العجلات أخذت مصر تستورد من الشام عدداً كبيراً منها ووصلت إليها قوافل تجارية من بلاد النهرين[1] والخليج الفارسى تحمل المنسوجات الصوفية والجلود والزيت والحصير، وكانت تلك القوافل تدخل مصر عن طريق سيناء.

وعنى بعض الفراعنة بتنظيم الطرق التى توصل بين مصر والشام، ومنها الطريق الذى يخرج من القنطرة ماراً بالعريش ورفح حتى يصل إلى غزة، وقد حفرت فى ذلك الطريق آبار لسقاية الجيوش المصرية فى طريقها إلى أملاك مصر فى الشام، ولتنتفع بها القوافل التجارية التى تعبر الصحراء من مصر إلى فلسطين.

ولم تقتصر تجارة مصر الخارجية على بلاد الشام بل وصلت أيضاً إلى بعض جزر البحر الأبيض: مثل جزيرة قبرص التى كانت السفن المصرية القديمة تحمل منها إلى مصر الزيوت والفضة والنحاس، وجزيرة كريت التى كانت مشهورة بالأوانى الخزفية.

ومن أعظم الأعمال البحرية التى قامت بها مصر رحلة الأسطول المصرى إلى بلاد بونت الواقعة جنوب البحر الأحمر فى المنطقة التى تسمى الآن بلاد الصومال، إذ اعتقدت الملكة حتشبسوت أن الإله آمون يطلب منها أن ترسل بعثة تجارية إلى تلك البلاد لاستحضار أشجار البخور وبعض المنتجات التى

(١) بلاد النهرين : العراق .

تشتهر بها فجهزت حتشبسوت خمس سفن كبيرة أقلعت فى النيل من شاطئ طيبة (الأقصر) ثم مرت بقناة كانت قديما تخرج من النيل شمال منف وتصله بالبحر الأحمر.

ثم سارت فى ذلك البحر حتى خرجت منه ووصلت سالمة إلى (بونت) ولما ألقى الأسطول مراسيه على الشاطئ أخذ البحارة المصريون يفرغون سفنهم مما حملت من سلع مصرية : كالأسلحة وأدوات الزينة من العقود والأساور والخواتم والخرز. وقد قوبلت البعثة المصرية التجارية بكل ترحيب وإكبار من حاكم تلك البلاد وزوجته.

وتبادل المصريون مع أهالى بنط[1] السلع وعادت سفن الأسطول محملة بمختلف أنواع الخشب العطرى وأشجار والبخور والكمون وخشب الأبنوس والعاج والذهب والكحل وجلود الفهود والنسانيس وتوطدت الصداقة بين أهالى تلك البلاد وأفراد البعثة المصرية. فلما حل ميعاد عودتها طلب عدد من الأهالى أن يرحلوا معها وجاءوا فى صحبتهم إلى مصر مع الأسطول.

وعاد الأسطول بحمولته الكبيرة راجعا إلي الوطن حيث استقبلته الملكة فرحة مستبشرة لأنها أرضت أباها الإله أمون. وغرست فى ساحة معبده بالدير البحرى أشجار البخور التى كانت تنتظرها بفارغ الصبر وقدمت له أحسن ما حمل الأسطول من خيرات تلك البلاد.

---

(١) أهالى بنط الصومال

قصة البحار الغريق

وكان لنشاط مصر التجارى فى الخارج أثر كبير فى الأدب المصرى القديم فجاء فى قصص المصريين وصف خيالى للبلاد البعيدة عن مصر، من تلك القصص قصة البحار الغريق. وهى قصة كتبت على إحدى أوراق البردى، وفيها يروى ملاح مصرى قصة سفره إلى مناجم الملك وركوبه البحر فى سفينة طولها ١٢٠ ذراعاً وعرضها ٤٠ ذراعا وتحمل ١٢٠ ملاحا من أحسن ملاحى مصر.

وفجأة هبت عليهم عاصفة هشمت سفينتهم، وهنا يقول الملاح «قبضت على قطعة من الخشب وغرق كل من كان فى السفينة ونجوت وحدى فقذفنى الموج إلى جزيرة حيث قضيت ثلاثة أيام وحدى لا زميل لى غير قلبى ... فقمت أبحث عن طعام فوجدت فيها تيناً وعنباً وسائر النباتات والثمار والأسماك والطيور ... فأكلت حتى شبعت ثم أخذت زناداً وأشعلت نارا وأحرقت قربانا للآلهة.

عندئذ سمعت صوت رعد فظننت أنها موجة البحر. ولكن الأشجار تحطمت وزلزلت الأرض، ولما كشفت وجهى رأيت حية تقترب، طولها ثلاثون ذراعاً ولها لحية أطول من ذراعى، وجسمها مموه بالذهب... وكانت تتلوى زاحفة نحوى إلى الأمام، ثم فتحت فمها وأنا راقد أمامها على بطنى... وقالت لى : من أتى بك هنا أيها الصغير؟ تلكم! ...

ثم أخذتنى فى فمها وجنبتنى إلى جحرها حيث وضعتنى بغير أن تمسنى. وأعادت القول... من أتى بك إلى هنا؟ فأجبتها وذراعاى منثنيان أمامها عما حدث لسفينتى... فقالت لى لا تخش شيئا... لا تخش شيئا أيها الصغير... ها قد منحك الإله الحياة لقد جاء بك إلى جزيرة الأرواح هذه، التى يوجد فيها كل شيء.

هنا ستقضى أربعة أشهر وستأتى سفينة من العاصمة تحملك إلى بلادك فى سلام ... عندئذ انطرحت على بطنى ومسست الأرض أمامها وقلت لها : سأقص على الملك نبأ قوتك وعظمتك... وسأذبح لك الماشية والأوز قربانا وأجعل السفن تحمل إليك العطور وخيرات مصر كما يصنع الإنسان للآلهة. فابتسمت الحية وقالت لى «ليس عندك عطور كثيرة، أما أنا فإنى إلهة «بونت» فالعطور كلها فى هذه الجزيرة وبعد ذهابك ستزول هذه الجزيرة ويغطيها الموج.

ثم يقول الملاح إن السفينة التى تنبأت بها الحية وصلت بعد أربعة شهور فودعته الحية وأهدت إليه عدة هدايا من خيرات الجزيرة كالعطور والبخور وسن الفيل وكلاب الصيد وغيرها من الأشياء الثمينة. ثم أقلعت به السفينة المصرية حيث وصل إلى العاصمة بعد شهرين وختم قصته قائلا : «دخلت على الملك وجئت له بالعطايا التى أحضرتها من هذه الجزيرة، وقد شكرنى ملأ من الموظفين».

٦- الجيش

فضل الجيش :

اتسعت أملاك مصر حتى أصبحت حدودها فى عصر بعض الفراعنة تشمل مصر وشمال السودان وبلاد الشام، ويرجع الفضل فى ذلك إلى جيش مصر الباسل الذي عرف بالشجاعة منذ أقدم العصور.

ظهور الجيش :

تكون جيش مصر فى أول الأمر من فرق يقدمها حكام الأقاليم للملك عند الحاجة. واستمر الجيش على هذه الحال إلى أن حكم مصر ملك يسمى زوسر، ظهر فى عهده أول جيش دائم عرفته مصر وقد وجه هذا الملك عنايته للدفاع عن مصر فأنشأ الحصون على حدودها ليقيم بها الجند تحت إشراف قواد مخلصين له.

وكان فرعون هو القائد الأعلى للجيش، وكثيرا ما كان يقود رجاله بنفسه فى ميادين الحرب وحوله حرسه الخاص لقتال الأعداء.

وكانت إدارة الجيش تسمى «بيت الأسلحة».

وقد بقى جيش مصر الدائم قويا فى عهد الفراعنة الأقوياء فلما حكم مصر ملوك ضعفاء اعتمدوا على جنود مرتزقة يستأجرونهم من البلاد المجاورة : ليبيا . وكانت مهمة الجيش في أوقات السلم أشبه بمهمة رجال الشرطة، يحافظ على الأمن ويرعى النظام داخل البلاد.

الأسلحة :

أما أسلحة الجيش فكانت فى أول أمرها تتكون من الدبوس وهو عبارة

عن عصا قصيرة ثبتت فى طرفها قطعة من الحجر وبعد ذلك استعمل الجنود الأقواس والسهام والفؤوس والخناجر والبلط والحراب والرماح والدروع المغطاة بالجلد. ولما دخل الهكسوس مصر تعلم المصريون منهم استخدام العجلة الحربية والخيل فى الحرب. وقد عرفت مصر الأساطيل البحرية التى نقلت الجنود فى كثير من الحملات وأمدتها بما تحتاج إليه من مؤن وأسلحة.

تنظيم الجيش :

كانت الجيوش المصرية تتكون من المشاة ثم استخدم المصريون العجلات الحربية في الحروب وقد قسموا الجيش إلي فرق والفرق إلي سرايا وكانت للسرايا أسماء كسرية آمون وسرية رع كما كان لكل فرقة علمها الخاص.

وكان جنود المشاة يسيرون على أقدامهم حاملين أسلحتهم، أما الفرسان فكان كل منهم يركب عجلة حربية خفيفة لها سائق يجرها جوادان. وكثيرا ما كان السائق يشترك مع الفارس فى الحرب عندما تشتد المعركة ويقود المركبة بربط عنان الخيل فى وسطه ويسوق الحصانين بالميل يمينا ويسارا.

وأحيانا كان بعض الفراعنة يستصحب وحشاً مفترساً كالأسد أو الفهد ليثير الرعب فى قلب الأعداء.

وكان الضباط والجنود ينالون نصيبهم من الغنائم ويعطون أراض خصبة معفاة من الضرائب ليزرعوها.

مكانة الجيش :

وكانت الخدمة في الجيش من أعظم الأعمال واعتبر المصريون رجال الجيش أهم طبقة بعد رجال الدين. وقد وصل بعض رجال الجيش إلى أعلى مراتب الدولة وأصبح بعضهم ملوكا. وعُنى الفراعنة بتدريب الجيش فكان الجنود

يدربون على القتال ويتلقون الفنون الحربية. وقد عرف المصريون المخابرات العسكرية فكانت بالجيش فرق خاصة للتجسس على الأعداء ومعرفة تحركاتهم ومواقعهم كما استعانوا بالكلاب للوقوف على أثر العدو.

الملابس :

وكان الجنود يلبسون أثوابا قصيرة لتسهل عليهم الحركة وليستطيعوا السير بسرعة، ويضعون فوق الرؤوس مايشبه قبعة محشوة بالقش وعليها ريش النعام كشعار لهم ويلفون أجسادهم بشرائط. ثم استعملوا أخيرا القمصان المدرعة المصنوعة من المعدن (الزرد).

تكريم الجيش :

وكان الجيش عند عودته منتصراً يقابل بحفاوة عظيمة من الشعب، فتقام له «أقواس النصر» ويزور الملك والقائد المعابد ليقدم القرابين شكرا للآلهة وينقش على جدرانها وعلى المسلات أنباء النصر. وقد بلغ عدد الجيش المصرى فى عهد بعض الملوك نحو ٦٠٠,٠٠٠ جندى من المشاة، كما كان به ٢٧,٠٠٠ عجلة حربية.

جيوش الأقاليم :

ولما ضعف بعض الملوك واستقل الأمراء بالحكم فى الأقاليم وصار لكل أمير جيش خاص ليدافع به عن الإقليم الذى يحكمه غير أن هؤلاء الأمراء كانوا إذا أغار عدو على أرض مصر وقفوا جميعاً تحت راية الملك للدفاع عن البلاد.

وقد احتفظ هؤلاء الأمراء بجيوشهم المحلية ووضعوها في خدمة الملوك واستخدموها فى أوقات السلم فى الأعمال العامة كحفر الترع وتشييد القصور وعمل التماثيل.

قصة سنوحى

لما قامت الحرب بين مصر وليبيا فى عهد الملك امنمحات الأول أرسل هذا الملك جيشا على رأسه ابنه سنوسرت يساعده عدد من القواد من بينهم قائد يدعى سنوحى الذى لم يكن على وفاق تام مع سنوسرت .

وبينما كان سنوسرت فى ميدان القتال وصله خبر وفاة أبيه فاضطر للعودة سريعا إلى مقر ملكه ليعتلى العرش ولما علم سنوحى بوفاة الملك حزن حزناً شديداً ورأى أن يفر خارج مصر خوفا من الملك الجديد فسار حتى وصل إلي الحدود الشرقية وهناك وجد حصناً مصرياً أقيم لرد غزوات البدو فاختبأ بين الأعشاب حتى لا يراه الحارس الواقف فوق جدار الحصن.

وفى الليل عاد إلى السير فى الصحراء حتى كاد أن يهلك من العطش والجوع والتعب ولكنه واصل سيره حتى التقي بالبدو فعرفه أحدهم لأنه قد زار مصر قبل ذلك وأعطاه ماء ولبناً وذهب معه إلى قبيلته فأكرمته بعد ذلك استأنف سنوحى رحلته حتى وصل إلى سوريا وأخذ يتنقل فيها من مكان لآخر حتى استقر فى ضيافة حاكم شمال سوريا الذى أكرمه لأنه سمع المصريين المقيمين ببلاده يمدحون سنوحى ويشيدون ببطولته.

وظل سنوحى موضع تكريم هذا الحاكم فزوجه ابنته الكبرى وأعطاه مساحة كبيرة من أخصب أراضيه حيث تنمو الفواكه والحبوب ومنحه قطيعاً كبيراً من الماشية وعينه رئيساً لإحدى القبائل الكبيرة وعهد إليه بقيادة الجيش لتأديب البدو الثائرين وقطاع الطريق.

وعاش سنوحى محبوباً من الجميع يكرم الضيف ويحمى الضعيف وذات يوم دفع الحسد والغيرة أحد الرجال الأقوياء ممن اشتهروا بالشراسة إلى دعوة سنوحى للمبارزة فقبل سنوحى وعندما التقيا أطلق عليه سنوحى البطل المصرى

سهمه فقتله واستولى على جميع ما يملكه وأراح الناس من شره. ولكن الحياة البدوية وكبر السن والحنين إلى الوطن كل ذلك دفع سنوحى إلى أن يكتب إلى فرعون يستعطفه ويستأذنه فى العودة.

وقد جاء فى ذلك الخطاب قوله : «سوف تسمح لى أن أرى مرة أخرى ذلك المكان الذى لا يزال قلبى يتجه إليه. هل هناك ما هو أعظم من أن يدفن جسدى فى ذلك البلد الذى ولدت فيه؟».

وجاءه الرد من الملك بالعفو عنه والتصريح له بالعودة فأسرع بتوزيع ثروته بين أبنائه ثم سار إلى الجنوب حتى الحدود حيث قابله رسول فرعون فركبا معا سفينة أقلعت بهما إلى العاصمة ولما دخل القصر الملكى قابله الملك ببشاشة وإكرام وأبدى دهشة كبيرة عندما رآه وقد تغير شكله وطالت لحيته كما كان يفعل أهل فلسطين، وقال الملك للملكة :

«انظرى، هذا هو سنوحى الذي عاد كآسيوى من نسل أهل البدو!»

فأجابت الملكة وأولادها :

- «حقا كأنه ليس هو !»

فرد عليهم الملك :

- «حقا إنه هو»!

وعندما طلبت الملكة وأولادها إلى الملك أن يعفو عن سنوحى أجابهم : « لن يخاف ولن يرتاع لأنه سيصير أمينا فى القصر بين الحكام، وسيوضع بين رجال الحاشية.»

وانتقل سنوحى إلى بيت أحد الأمراء وهناك دخل الحمام وحلق لحيته ومشط شعره ولبس رداء من الكتان الرفيع ودلك جسمه بالعطور ووضع على

رأسه شعرا مستعارا كما كان يفعل الأمراء وبعد قليل انتقل إلى دار فخمة ليقيم فيها نهائياً. ثم شيد له عمال الملك وبناؤوه مقبرة بين قبور الحاشية التى تحيط بقبر الملك وهكذا ظل متمتعا برضاء الملك وعطاياه حتى مات ...

وتدل هذه القصة على ولاء المصريين لفرعون وحنينهم لوطنهم وميلهم للأسفار. وقد عنى المصريون بهذه القصة وأمثالها من قصص الأسفار وكانت تدرس للتلاميذ بالمدارس.

الحكام الرعاة

طرد الهكسوس

أصل الهكسوس :

استمرت مصر دولة قوية موحدة زمنا طويلا فلما ضعف ملوكها طمع حكام المقاطعات فى الاستقلال فانتهز تلك الفرصة قوم من فلسطين عرفوا باسم الهكسوس أو الرعاة ودخلوا مصر واستولوا عليها وذلك لكثرتهم واتحادهم وتفوقهم الحربى واستخدامهم العجلات الحربية التى تجرها الخيل وبعض الأسلحة التى يجهلها المصريون.

وظل هؤلاء الغزاة يحكمون مصر نحو قرنين عاملوا المصريين فى بدايتهما أسوأ معاملة فخربوا أغلب المعابد ودمروا المساكن واستعبدوا النساء والأطفال. وبعد عدة سنوات حاولوا أن يتقربوا إلى المصريين ففشلوا .

أفاريس :

(وموقعها الحالى مدينة صان الحجر بمركز فاقوس مديرية الشرقية)

وقد اتخذ الهكسوس عاصمتهم فى مدينة أفاريس بالوجه البحرى. ولما كان نفوذهم الفعلى لا يجاوز الوجه البحرى إلا قليلا فقد ظل أمراء الوجه القبلى محتفظين بشىء كبير من القوة مع اعترافهم الأسمى بسلطان الهكسوس.

الحرب :

وعندما شعر أمراء الوجه القبلى بضعف الهكسوس اتحدوا برياسة حاكم طيبة (الأقصر) واستقلوا بحكم الصعيد فخشى الهكسوس نتيجة هذا الاتحاد وأخذوا يستفزون المصريين حتى يضطروهم إلى الحرب قبل أن يستعدوا لها، فأرسل ملكهم إلى حاكم طيبة من يقول له :

«إن الضجة التى تحدثها أفراس البحر فى بحيرة طيبة تزعج الملك فى نومه بأفاريس وعليه أن يبيد هذه الحيوانات إن رغب فى رضاء الملك !» ، ولما كان هذا الحيوان من معبودات أهل طيبة فقد غضبوا لهذا الطلب وعزموا على القتال. وهكذا دخل المصريون الحرب دون أن يستعدوا لها فهزموا وقتل قائدهم الملك «سكنن رع».

أحمس بطل التحرير :

استمر المصريون يعملون لطرد الهكسوس واستقلال مصر حتى ظهر فى طيبة حاكم قوى شجاع يسمى «أحمس» وحد صفوف المصريين ونظم الجيش وأمده بنفس الأسلحة التى يستعملها الهكسوس.

هاجم أحمس بجيشه القوى جيش الهكسوس وطاردهم حتى أخرجهم من مصر ثم تعقبهم إلى فلسطين والشام واستمر يحاربهم عدة سنوات حتى قضى عليهم نهائيا. بذلك تخلصت مصر من هؤلاء الأجانب واستعادت حريتها واستقلالها وأعلن البطل العظيم أحمس نفسه ملكا على مصر المتحدة وأسس أسرة ملكية جديدة. وبينما كان يحارب الهكسوس ثار عليه أهل الجنوب فسار إليهم وأخضعهم وبذلك وحد وادى النيل.

نمو الروح الحربى :

وفى أثناء الحرب بفلسطين والشام قويت الروح العسكرية في نفوس المصريين فانضموا بجميع طبقاتهم إلى الجيش وبدأوا منذ ذلك العهد فى تكوين امبراطورية مصرية.

واستمرت تلك الروح الحربية قوية فى عهد خلفاء أحمس إلى أن تولت الحكم الملكة حتشبسوت وكان عهدها عهد سلام هدأت فيه البلاد وانصرفت عن الفتوح وأهملت العناية بالجيش فبدأ أمراء الشام يثورون على مصر.

تحتمس الثالث

الامبراطورية :

ولما تولى الملك تحتمس الثالث عزم على القضاء على الثائرين وإعادة بلاد الشام وتكوين امبراطورية مصرية قوية .

أعاد تحتمس تنظيم الجيش وتدريب الجند وتزويدهم بأدوات القتال وبنى أسطولا عظيما جهزه بكل ما يحتاجه من معدات وذلك ليستطيع الاستيلاء على بعض المدن الساحلية الهامة حتى يهاجم منها الأعداء.

ولما تم بناء الأسطول أصبحت مصر أقوى دولة فى البحر المتوسط.

موقعة مجدو :

وبعد أن نظم الجيش وتكون الأسطول سار تحتمس إلي الشام وحاصر الثائرين فى مدينة مجدو، وقضى على جميع الأمراء عدا رئيسهم أمير قادش الذى استطاع أن يفر من الميدان.

وهناك وضع تحتمس لوحة تذكارية على الشاطئ الغربي لنهر الفرات إشارة إلى أن فتوحه قد وصلت إلى تلك الجهات.

وبعد انتصاره عاد إلى مصر ومعه غنائم كثيرة وزعها على ضباط الجيش وجنوده كعادة الفراعنة.

وبعودته منتصرا أقام المصريون الحفلات فى طيبة وزار تحتمس معبد الإله آمون وقدم له القرابين اعترافا بفضله.

قادش :

عاد تحتمس بعد ذلك إلي الشام واستطاع أن يستولى على مدنها الكبيرة

وأهمها «قادش» وبعد أن استولى عليها ذاعت شهرته وخشيه باقى حكام بلاد الشام وسهل عليه فتحها نهائيا وضمها إلى مصر.

رأي تحتمس الثالث أن يضمن بقاء الامبراطورية التى كونها قوية لا يتسرب إليها ضعف كما حدث فى عهد الملكة حتشبسوت. وكانت وسائله لتحقيق ذلك كثيرة من أهمها زيارته لتلك البلاد على رأس جيشه سنويا حتى لا يفكر الحكام فى الخروج عن طاعته ومنها تعيين الحكام، ممن ثبت إخلاصهم لمصر، يراقبهم موظفون مصريون وتعاون هؤلاء فرق من الجيش المصرى.

ومنها كذلك تعليم أبناء أمراء الشام مع الأمراء المصريين بطيبة حتى يعتادوا حب مصر واحترام ملوكها منذ صغرهم.

وقبل موت تحتمس الثالث بقليل ثار أهل النوبة على مصر ورفضوا أن يدفعوا الضرائب فسار إليهم تحتمس على رأس حملة وأخضعهم وثبت نفوذ مصر فى الجنوب حتى الشلال الرابع.

وبذلك أصبحت لمصر إمبراطورية كبيرة مركزها طيبة تمتد من بلاد العراق شمالا إلى السودان جنوبا، وتنتشر فيها الحضارة المصرية بجميع مظاهرها.

رمسيس الثانى

استمرت الإمبراطورية المصرية قوية حتى حكم مصر ملك يدعى اخناتون فوجه كل عنايته إلى توحيد الديانة فى مصر فضعفت الإمبراطورية فى عهده، وشجع ذلك أمراء الشام على الانفصال عن مصر كما شجع أحد الملوك المجاورين، وهو ملك الحيثيين على الاستيلاء على معظم تلك البلاد.

ولما تولى رمسيس الثانى حكم مصر عزم على استعادة الإمبراطورية فسار على رأس جيش لمقابلة الحيثيين عند قادش حيث تحصنوا.

مكيـدة :

ولما صار على مقربة منها وقع في مكيدة دبرها له أعداؤه إذ أوهمه اثنان من البدو، وكانا جاسوسين للحيثيين أن جيش الحيثيين تقهقر إلى الشمال فانخدع رمسيس بهذا القول وسار وراء الحيثين بقوات قليلة حتى توغل فى الشمال فهاجمه الحيثيون من الخلف بقوات كبيرة وقتلوا كثيرا من جنوده ولكنه تمكن بفضل شجاعته وصبره وإخلاص العدد القليل الذى كان معه من جنود حرسه الخاص أن يهزم الأعداء بعد أن قتل منهم الكثيرين وألقى بالباقين فى النهر فماتوا غرقاً.

فطلب الحيثيون الصلح ووافقهم رمسيس عليه. ولكن الحيثيين نقضوا شروط الصلح مع رمسيس بعد قليل فتوجه إليهم بجيوشه وهزمهم وقتل ملكهم وأخذ منهم الجزية..

أقدم معاهدة :

ولما تولى الملك الجديد طلب الصلح فعقد معه رمسيس معاهدة نصت على إنهاء الحرب بين الدولتين وقيام التعاون الحربى بين الملكين عند الحاجة.

وقد سطرت هذه المعاهدة على لوح من الفضة، وهى تعتبر أقدم معاهدة مكتوبة سجلها التاريخ.

ولتقوية العلاقات بين الطرفين تزوج رمسيس بنت ملك الحيثيين.

ولما أحضرها أبوها إلى مصر استقبلها المصريون أحسن استقبال ودامت الصداقة بين الملكين طول حياتهما.

الفنــون

بدأ المصريون الأوائل الرسم والتصوير على الآلات والأدوات والأوانى التى كانوا يستعملونها تعلن بما رأوه حولهم من حيوان ونبات.

وكان للدين أثره في انتشار الرسم والتصوير: ولهذا نجد المعابد ملأي برسوم تمثل الآلهة والملوك ونرى فى المقابر صوراً تمثل ألواناً من الحياة الاجتماعية كالحرث والبذر ورعى المواشى وصيد الطور ومختلف الصناعات. ومن أجمل الصور المصرية الباقية لوحة الأوزات الست التى تكاد تبدو طبيعية لشدة العناية برسمها وتلوينها.

النقش :

وقد برع المصرى القديم في النقش فكان يرسم الأشكال التى يريد نقشها على جدران المعابد أو المقابر ثم يجعلها بارزة أو محفورة وأحياناً يلونها وقد بقي كثير من هذه الألوان حتى الآن.

النحت :

وقد بدأت معرفة المصرى القديم بالنحت عندما أراد أن يصنع تمثالا للإله الذى يعبده إذ صنعه أولا من الخشب ثم من الحجر.

ولما كان المصرى يعتقد أن الروح ستعود إلى الجسم بعد الموت وأن الجسم ربما لا يبقى سليما حتى بعد تحنيطه فقد احتاط فصنع للميت تمثالا أو أكثر حسب ثروة الميت، وضعه في المقبرة حتى تجده الروح إذا فنى الجسم.

وقد بذل النحات المصرى جهداً كبيراً فى جعل التمثال يشبه صاحبه تمام الشبه حتى لا تخطئه الروح وكان من عادة قدماء المصريين أن يضعوا مع الميت تماثيل صغيرة من الخزف أو الخشب أو الحجارة لتقوم مقام خدمه فى إجابة

طلباته ولذلك أطلقوا عليهم اسم المجيبين «شوابتى».

وكانت التماثيل التى تركها القدماء المصريون بديعة الصنع، غاية في الإتقان، تعبر عن كثير من العواطف الإنسانية مما يدل على براعة ومقدرة كبيرة. ولما كبرت المعابد نحت الفانون تماثيل كبيرة الحجم لتناسب ضخامة المعبد الذى تقام فيه.

وقد صنع المصريون التماثيل من مواد مختلفة منها : أنواع الأحجار والعاج والنحاس المطروق وإلى جانب هذا كله نحتوا الجبال وأقاموا فيها معابد وتماثيل ويظهر ذلك جليا فى معبد أبى سنبل بالقرب من أسوان.

أشهر التماثيل :

ومن أشهر التماثيل : تمثال خفرع وهو من حجر أخضر شديد الصلابة ويعتبر هذا التمثال من أبدع ما صنع الفنانون المصريون القدماء. وتمثال الكاتب المصرى وهو من الحجر الجيرى الملون ويمثل كاتباً متربعاً وعلى ركبتيه ملف مفتوح من البردي وتمثال شيخ البلد وهو من الخشب وسمى بذلك لأن العمال الذين عثروا عليه وجدوا فيه مشبها لشيخ بلدة سقارة وقتئذ.

العمـارة :

وكان المصريون يبنون المعابد والمقابر والمساكن من فروع الأشجار والطين فى بادئ الأمر غير أن عقيدتهم فى خلود الروح دفعتهم إلى الإهتمام ببناء المعابد والمقابر من صخور صلبة تتحمل زمناً طويلا ولذلك لا نجد من المساكن إلا بعض آثار لا تذكر لأن بناءها كان من اللبن وعلى الرغم من ذلك ظهر أن المساكن كانت منظمة منسقة فيها صالات وحجرات وبالكبير منها حدائق.

وقد عنى قدماء المصريين ببناء المعابد وعددوا أشكالها وزادوا فى

مساحتها وأحجام مبانيها وزخرفوها بأجمل الرسوم والنقوش وشيدوا فيها الأعمدة الضخمة من الحجر الجيرى أو الرملى أو الجرانيت ونحتوا أعالى تلك الأعمدة على هيئة سعف النخل أو أزهار اللوتس أو نبات البردى فبدت جميلة المنظر.

المعبـــد :

وكان المعبد يتكون من أربعة أقسام هى : الصرح وهو عبارة عن مدخل على جانبيه برجان عظيمان أمامهما عادة تمثالان للملك الذي أقام المعبد ومسلتان عليهما اسمه وموجز لتاريخ حياته ويوجد خلف الصرح فناء متسع على جوانبه بواكى مسقوفة يجتمع تحتها أفراد الشعب فى المواسم والأعياد. ويلي الفناء قاعة الأعمدة حيث يقيم رجال الدين حفلاتهم أو يتسلموا القرابين من أفراد الشعب وينتهى المعبد بحجرة مظلمة ضيقة يوجد بها تمثال الإله وتسمى الهيكل «قدس الأقداس».

وما زال كثير من المعابد قائما في بعض المدن المصرية إلى الآن : كمعبد دندرة بقنا ومعبد الكرنك بالأقصر.

المقابـر :

وكانت المقابر تشيد على أشكال مختلفة، على شكل حجرات مستطيلة أو مصاطب أو أهرام ناقصة أو أهرام مدرجة أو كاملة.

ثم نحت الملوك قبورهم فى الصخور على بعد عشرات الأمتار من سطح الأرض وجعلوها على شكل حجرات واسعة تزين جدرانها النقوش البديعة كما يظهر فى مقابر وادى الملوك والملكات بمدينة طيبة غربى الأقصر.

المساكن :

أما المساكن فلم يهتم بها المصريون اهتمامهم بالمعابد والمقابر فكان الفقير يسكن كوخاً عبارة عن قطعة أرض صغيرة يحيط بها سور من سعف النخل أو جذور البردى وسقف من البوص.

أما المصرى العادى فكان يسكن بيتاً من طابق واحد به غرفتان ومخزن للغلال، سقفه من خشب يغطيه حصير مطلى بطبقة من الطين وله باب واحد وفتحة ضيقة فى أعلى الجدار. أما بيت الغنى فكان مكونا من طابق أو طابقين وبه عدة غرف أمامها حديقة فيها الأشجار والأزهار وكانت حجرات الطابق الأول لاستقبال الزوار وخزن الغلال أما الطابق الثانى فكان يعيش فيه أفراد الأسرة.

ولم يختلف قصر الملك كثيرا عن البيوت الكبيرة الموجودة بمصر الآن فكان له فناء مرصوف بالقيشانى الملون وحوله حديقة بها الأشجار وبرك السمك أما غرفه فكانت كثيرة وعلى الرغم من بنائها باللبن فإن نقوش جدرانها وأعمدتها كانت غاية فى الجمال، أما سقفها فكان من الخشب الثمين.

وأحاط المصريون مدنهم بأسوار متينة لحمايتها من الأعداء وكانت هذه الأسوار سميكة مرتفعة يصعب الدخول منها إلا بعلم من الحراس.

عظمة الآثار التى خلفها عهد
إخناتون وتوت عنخ آمون

اتسعت أملاك مصر فى عهد الملك تحتمس الثالث، كما أسلفنا، حتى أصبحت تشمل مصر وليبيا وبلاد النوبة وفلسطين.

الرخـــاء :

ونتج من هذا الاتسـاع أن كثرت إيرادات مصر فزادت الثروة وعم الرخاء وارتقت الفنون، وظهر أثر ذلك جليا فى عهد خلفاء تحتمس الثالث ومن أهمهم امنحتب الرابع.

التوحيد :

وجه هذا الملك اهتمامه إلى المسائل الدينية دون غيرها فكان لا يفكر إلا فيها وقد هداه تفكيره إلى عبادة إله واحد تتمثل عظمته في الشمس التى تضئ الكون وتبعث الحياة فى جميع الكائنات الحية ولهذا رمز إليه بقرص تخرج منه أيد آدمية توزع الخير على من تصل إليه وسمى هذا الإله «آتون» أى «الشمس» وغير اسمه من «امنحتب» أى «راحة أمون» إلى «إخناتون» أى «بهاء آتون».

آتـــون :

ولكي يضعف من شأن المعبود «آمون» هجر مدينة طيبة (الأقصر) مقر عبادته وعاصمة الملك وأنشأ عاصمة جديدة فى البر الشرقى (وموقعه الحالى تل العمارنة) وسماها «إخيتاتون» أى «أفق آتون» وبنى فيها ثلاثة قصور له منها قصر فى جنوبها ليقضى به أوقات فراغه وحفر فيه بركة ماء كما أقام به حدائق غناء للنزهة وشيد خلفه دوراً للحكومة وقصوراً للأشراف ورجال الدين.

عظمة إخيتاتون :

وفى الجانب الآخر من المدينة بنى منازل صغيرة للتجار والصناع وفى الجهة الشمالية أقام قصراً لابنته الكبرى . وحفر فى الصخور بالناحية الشرقية قبورا خاصة للنبلاء والكهنة وكبار رجال الجيش، امتازت بما على جدرانها من مناظر تمثل الحياة الدنيوية.

وبنى إخناتون جميع المساكن من اللبن وجعل لها أسواراً عالية وزينها بحدائق جميلة وبرك تحيط بها أرصفة من البلاط المزخرف.

وكان بأغلب هذه المساكن أفنية داخلية ذات عمد خشبية مزخرفة برسوم الزهور ذات الألوان البديعة، أما الحجر فقد حليت بالنقوش الزاهية المشابهة للألوان الطبيعية ورسمت على أرضها الرسوم الجميلة الملونة ولم تختلف قصور الملك كثيرا عن باقى المساكن.

وقد انفردت تلك المدينة بشىء لم يعرف من قبل وهو وجود حمامات بمنازلأغنيائها .

وفى هذا العهد تقدم صنع التماثيل تقدماً محسوساً يتجلى فى تماثيل كثيرة من أهمها : تماثيل الملكة نفرتيتى زوجة أخناتون ويوجد أحدها بمتحف برلين بألمانيا كما يوجد تمثال آخر بالمتحف المصرى بالقاهرة.

توت عنخ آمون :

وبعد إخناتون تولى العرش زوج ابنته «توت عنخ آمون» وكان صغير السن فاستطاع كهنة آمون أن يؤثروا عليه ويضموه إليهم ولذا ترك ديانة آتون ورجع إلى عبادة آمون وغير اسمه إلى «توت عنخ آمون» وهجر أخيتاتون وعاد إلى طيبة فاستردت عظمتها السابقة بينما ضعف شأن إخيتاتون فهجرها السكان وتصدعت مبانيها ثم تخربت.

وفى عام ١٩٢٢ عثر أحد علماء الآثار علي مقبرة توت عنخ أمون ووجد بها آثاراً كثيرة تمتاز بنفاستها وتنوعها وهى تدل على ما كانت عليه البلاد حينئذ : من ثروة وغنى ورقى فنى.

آثـــاره :

ومن القطع المهمة التى وجدت بتلك المقبرة وتتجلى فيها عظمة الفن أيام توت عنخ آمون وصهره: العرش الملكى المصنوع من الخشب المذهب المزخرف بالميناء والزجاج البديع الألوان. ولهذا العرش قوائم أربع تشبه أرجل الأسد ويعلو كلا من القائمتين الأماميتين رأس أسد جميل الصنع وقد نحت كل من مسندي الذراعين على هيئة حية متوجة وعلى مسند الظهر منظر للحياة المنزلية لهذا الملك . كذلك التابوت الثالث المصنوع من الذهب الخالص وقيمته الأثرية لا تقدر بثمن. كما وجدت عجلات حربية مذهبة محلاة بالرسوم البارزة وصور أسرى الحرب.

ووجدت كذلك بتلك المقبرة أوانى وكؤوس مرمرية مزينة بنبات اللوتس والبردى. وصناديق وأسرة ومساند للرؤوس وكراسى خشبية مطعمة بالعاج والأبنوس وقلائد وخواتم وعقود وأساور من الذهب والأحجار الكريمة ويدل صنعها على مهارة المصريين فى الفنون.

الاسكندر الأكبر

على شاطئ البحر المتوسط المقابل لمدينة الإكسندرية توجد عدة دول منها اليونان التى كانت تسمى قديما «بلاد الإغريق».

فيليب :

وقد انقسمت تلك البلاد فى أول أمرها إلى مدن وولايات ومن تلك الولايات ولاية مقدونيا التى حكمها ملك يدعى «فيليب المقدونى».

استطاع هذا الملك الشجاع أن يضم مدنا كثيرة من بلاد اليونان تحت حكمه ولكنه توفى قبل أن يتم توحيدها جميعاً.

تولية الإسكندر:

وتولى الملك من بعده سنة ٣٣٦ق.م ابن صغير يسمى الإسكندر، اعتنى أبوه بتربيته عناية فائقة واختار لتعليمه كبار العلماء فى عصره ومنهم الفيلسوف المشهور أرسطو الذي لقنه تاريخ حياة الأبطال، كما تعلم فنون الحرب المختلفة على أيدى كبار العسكريين.

وقد ظهر نبوغ الإسكندر منذ صغره. ولما تولى الحكم استخف به حكام الولايات وثاروا عليه ظناً منهم أنه لن يستطيع أن ينهض بأعباء الحكم كما فعل أبوه . ولكن الإسكندر تمكن من إخضاعهم وتوحيد بلاد اليونان تحت حكمه.

وكانت العداوة شديدة بين اليونان والفرس منذ القدم فأراد الإسكندر أن ينتقم لبلاده وأن يوسع ممتلكاتها فحارب الفرس وهزمهم واستولى علي بلاد الشام التى كانت خاضعة لحكمهم.

فتح مصر :

وفى ذلك الوقت كانت مصر نحت حكم الفرس الذين عاملوا المصريين بشدة فكرههم المصريون. ولما دخل الإسكندر مصر أحبه المصريون لأنه تقرب إليهم واحترم معبوداتهم وقدم لها القرابين، وزيادة فى تقربه إلى المصريين، توجه إلى واحة سيوة وزار معبد آمون ونقش صورته وهو فى ملابس الفراعنة يقدم الهديا للإله آمون على جدران المعبد ولذلك سماه الكهنة «ابن آمون» .

وبينما كان الإسكندر فى طريقه إلى واحة سيوه شاهد قرية تسمى راقودة يسكنها جماعة من الصيادين فأعجبه موقعها بين البحر وبحيرة مريوط وأمامها فى البحر جزيرة «فاروس».

فكر الإسكندر فى إنشاء مدينة بتلك الجهة، فاستدعى مهندسيه لتخطيط المدينة وتولى بنفسه تعيين مواقع الشوارع والمعابد والأسواق. ولم ينتظر الإسكندر حتى يرى مدينة الإسكندرية تقوم فيها المبانى وتعمر بالسكان بل اكتفى بتخطيطها ثم غادرها ليستأنف حروبه، ويوسع أملاكه. فاتجه إلى بلاد فارس واستولى عليها واستمر تقدمه شرقا. وعندما دخل بلاد الهند شعر جنوده بالتعب فاضطر إلى العودة وفى أثناء عودته مرض ثم مات ودفن فى مدينة بابل بالعراق.

مات الإسكندر ولم يترك من أقاربه رجلا قوياً يستطيع أن ينهض بحكم تلك المملكة الواسعة فاقتسمها قواده وكانت مصر من نصيب القائد بطليموس الذى استقل بها وأسس دولة جديدة تسمى دولة البطالمة. وقد قام بطليموس الأول بنقل جثة الإسكندر من بابل إلى منفيس (منف) واتخذ من تلك المدينة عاصمة.

أتم بطليموس بناء الإسكندرية كما خططها الإسكندر وجعل شوارعها مستقيمة وقسمها إلى أحياء.

وقد أحيطت المدينة بأسوار ضخمة ذات أبراج لحمايتها، ووصل إليها ماء النيل العذب بواسطة ترعة مكانها الحالى ترعة المحمودية.

وأنشأ بطليموس بالمدينة الجديدة دار الفنون وألحق بها مكتبة.

بطليموس الثانى

لما توفى بطليموس الأول حكم بعده بطليموس الثانى الذي سار على طريقة سلفه فى الإصلاح.

وقد عنى بالناحية التجارية : فأعاد حفر القناة الملاحية القديمة بين النيل والبحر الأحمر وجدد الطريق الصحراوى بين قفط والبحر الأحمر وعقد

المعاهدات التجارية بين مصر والدول الشرقية، فأصبحت الإسكندرية مركزاً تجارياً يرد إليه من أفريقيا العاج والأبنوس والخيول، ومن الهند التوابل، ومن الصين الحرير، ومن اليونان التين واللحوم الباردة والأسماك المجففة والإسفنج.

وكان القمح والشعير يملآن مخازن الإسكندرية ويصدران منها للخارج، هذا عدا المصنوعات المصرية: كالزجاج والكتان وورق البردى، وبذلك أصبحت الإسكندرية فى ذلك العصر أعظم مدن الدنيا يفد إليها طلاب العلم والتجار والسائحون من جميع الجهات.

دار الفنون والمكتبة :

أراد البطالمة أن يجعلوا مصر مركزا لنشر الثقافة اليونانية في العالم ولذلك أنشأ بطليموس الأول دار الفنون وعنى بطليموس الثانى بها .

وكانت هذه الدار أشبه بجامعة لتدريس بعض العلوم : كالفلك والطب والرياضة . وأحيطت بالحدائق ذات الأشجار ليستظل بها الأساتذة والطلاب الذين كثر عددهم وظهر منهم علماء كبار أمثال : أرشميدس العالم في الطبيعة وأقليدس العالم فى الهندسة.

أما دار الكتب فقد جمعت بها المخطوطات من جميع الأقطار حتى بلغ عددها نحو نصف مليون مخطوط فى شتى العلوم والفنون وفرض على كل من تعلم بالإسكندرية أو يمر بها من العلماء أن يهدى إلى الدار نسخة من كل ما يؤلف من كتب، وكانت المخطوطات فى ذلك العصر عبارة عن أدراج أو لفائف من ورق البردى ويصل بعضهما إلى ثلاثين مترا.

وظلت المكتبة طوال عهد البطالمة مورداً لطلاب العلم حتى جاء عصر الرومان فاحترقت فى أثناء محاولتهم الاستيلاء على الإسكندرية.

منارة الإسكندرية :

فكر بطليموس الأول فى إقامة منارة لهداية السفن ليلا، وذلك عندما صارت للأسطول المصرى السيادة بالبحر المتوسط وكثرت التجارة بميناء الاسكندرية وأصبحت السفن ترد إليها ليلا ونهاراً وقد بنى بطليموس تلك المنارة على جيزرة فاروس، وموقعها الحالى قلعة قايتباى، ولضخامتها اعتبرت إحدى عجائب العالم القديم، وقد تكونت من ثلاث طبقات بلغ ارتفاعها مائة متر. وكان يشع منها ضوء قوى يرى على مسافة ثلاثين ميلا من البحر وذلك لوجود مصباح كان يلقى ضوءاً شديدا على مرايا معدنية فتجمعه وتعكسه وعلى قمتها أقيم تمثال إله البحر عند اليونان وكان ارتفاعه وحده ٧ أمتار وهى أول منارة عرفها التاريخ.

وقد ظلت تلك المنارة قائمة حتى هدمها زلزال شديد حدث منذ ستمائة سنةتقريبا.

تدهور الحضارة المصرية القديمة
فى العهد الرومانى

علاقة مصر بالرومان :

التجارة : اتصلت الإسكندرية فى عهد البطالمة بروما عن طريق التجارة وقويت الصداقة بين البلدين وظلت قوية زمناً طويلاً ولما ضعف البطالمة تدخل الرومان فى شئون مصر وازداد نفوذهم تدريجياً فاستعان بهم بعض البطالمة على بعض للوصول إلى الملك.

الحماية : وبعد ذلك بسط الرومان حمايتهم على مصر وفى النهاية دخلها الإمبراطور أغسطس أول أباطرة روما وضمها إلى أملاكه بعد أن انتصر على كليوباترة آخر من حكم من البطالمة فى معركة أكتيوم البحرية سنة ٣٠ ق.م.

مصر فى عهد الرومان

الضرائب :

عين الإمبراطور الرومانى على مصر حاكما من قبله وجعل مقره الإسكندرية وكان يساعد هذا الحاكم فريق من الرومان الذين تولوا الوظائف الرئيسية ويعاون الجميع حاميات رومانية أقامت فى المدن المصرية الهامة. وكانت مهمة تلك الحاميات المحافظة على الأمن فى البلاد وجمع الضرائب من السكان.

ومن أهم الضرائب التى فرضها الرومان على المصريين الضرائب على السلع التجارية عند نقلها من مكان إلي آخر داخل البلاد والضرائب على المسافرين من بلد إلى بلد كل حسب ثروته والضرائب علي الأرض والمساكن.

وقد استعمل الرومان منتهى القسوة فى جمع هذه الضرائب من المصريين واستغلوا موارد البلاد أسوأ استغلال فكانوا يضاعفون الضرائب كل عام حسب هواهم.

وكان أباطرة الرومان يعتبرون مصر حقلا لتموين روما بالغلال فأرغموا الفلاحين المصريين على تقديم غلالهم لترسل إلى روما.

ولكثرة هذه المظالم حاول المصريون مراراً أن يتخلصوا من الحكم الأجنبى وكانت هذه المحاولات تقابل بالشدة وسفك الدماء من جانب الرومان.

عصر الشهداء :

وعندما ظهرت المسيحية قاومتها الرومان: لأنها تدعو للتسامح والمساواة وعدم عبادة الأوثان وتحرم عبادة الأشخاص.

فلما دخلت المسيحية مصر عامل الرومان المسيحين أسوأ معاملة وأسرفوا فى قتلهم وخاصة فى عهد الإمبراطور أقلديانوس فقد استشهد في عصره كثير من المسيحين المصريين «الأقباط» ولذلك أطلق الأقباط على عصره «عصر الشهداء» وجعلوا بدء حكمه سنة ٢٨٤م مبدأ التقويم القبطى.

وظل اضطهاد الرومان للأقباط قائما حتى صارت المسيحية الدين الرسمى للإمبراطورية ولكن الأقباط لم يتمتعوا بالحرية الدينية زمنا طويلا لأن المسيحيين انقسموا إلى مذهبين اعتنق مسيحيو مصر أحدهما واعتنق الرومان المذهب الآخر.

وكان اختلاف المذهبين سببا فى اضطهاد الرومان للأقباط وذلك لأن المصريين لم يتبعوا المذهب المسيحى الذى يعتنقه الرومان. وقد بلغ من شدة اضطهاد الرومان للأقباط أن فر البطرك إلى الصحراء هرباً من الاضطهاد وتبعه عدد كبير من الأقباط خوفا من التعذيب والسجن ولم يكتف الرومان

باضطهاد الأقباط بل اعتدوا على كنائسهم وسلبوا أثمن ما بها من أوان ونفائس، فسادت الفوضى وعم الفساد وضعفت البلاد.

عهد جديد :

رحب الأقباط بالمسلمين عندما فتح عمرو بن العاص مصر سنة ٦٤١م وقدموا لهم كل مساعدة ممكنة لرغبتهم فى التخلص من ظلم الرومان ولما سمعوه عن الإسلام من عدل وتسامح.

حكمة مصر

حقيقة الرسالة المصرية فيما يتصل بالحكمة والعقيدة والمعرفة المقدسة، وهى فى ذلك سوف تتولى بأسلوب خاص عرض كتاب ظهر باللغة الانجليزية حديثا، وهو يتضمن الصحف الأوزيرية، التى تعرف فى الغرب باسم هير ميتيكا أى الهرمسيات، نسبة إلي هرمس وهو -على ما سلف- الاسم أو المقابل الإغريقى لتحوت رسول الإله إلى الناس، ورب العلم والقلم.

فى كتابه، التواريخ قال المؤرخ الإغريقى هيرودوت «١٣٨٤-١٤٢٥ ق.م.» أن المصريين القدماء كانوا يعتقدون بأنه فى بداية عصورهم، حكمهم الأرباب «أى السادة المتميزون، والتى تترجم خطأ إلى الإلهة»، ثم بعد ذلك حكمهم أنصاف الأرباب، ثم بعد ذلك حكمهم الناس. وثمت كتاب عنوانه بالانجليزية مكتبة نجع حمادى وهو الكتاب الذى يحتوى على ما يسمى بأناجيل المعرفة والتى عثر عليها بالقرب من مدينة نجع حمادى بصعيد مصر. وفى هذا الكتاب نص بأن الأرباب «السادة المميزون» صعدوا وتركوها ومن ثم صار الناس بغير إرشاد روحى ولا توجيه حكيم، فساد بينهم الاضطراب وعم الاختلاط وانتشر التدهور. وغلب على الناس الطيش والنزق والتهور.

ويقصد بالأرباب فى هذا الكتاب وذاك، ما سلف بيانه من أنها قوى ذات خصائص، وإمكانيات وقابليات تفوق المستوى العادى للبشر، وهى من ثم فى تجسدها البشرى ووجودها الدنيوى. تؤدى رسائل أو تنتج أعمالا أو تنشئ أفكارا، لا يقدر على أدائها أو ابتداعها الفرد العادى من البشر. وهؤلاء هم الذين يسميهم الناس عباقرة أو موهوبين أو أفذاذا ، فائقى القدرة» وتطلق عليهم التوراة تعبير أبناء الله «أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسناوات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا» سفر التكوين ٦ : ١ ، ٢.

يوجد ما يسمى بالتعاليم السرية لقدماء المصريين، وهذه التعاليم هى أعلى درجات المعرفة الكونية، استطاع بعض علماء المصريات ذوى النزعة الصوفية العقلية أن يصلوا إليها من بعض النصوص، بطريق الفهم المباشر، أو بقراءة ما بين السطور، أو بإدراك معناها الداخلى الذي يسمى أحيانا بالباطنى وفي هذه التعاليم أو المعرفة أن حكمة مصر كانت تنبنى على معرفة عميقة بأصول الكون، وقواعد الخلق . وفى تطبيق هذه القواعد وتلك الأصول فقد صيغت فى قوانين تختزلها إلى عدد محدود من الوظائف التى تلزم للكينونة في الوجود، وكل هذه الوظائف مرتبطة ببعضها وممثلة للقوى الكونية التى تنبض بدورها من خلال ما يمكن أن يسمى بالقلب الكونى أو النبع الكونى أو الضمير الكونى.

بهذا المعنى كانت مصر القديمة راعية للحكمة الخالدة، حيث تجسد فيها أوزير وهو الكلمة والحكمة والروح، فبذر بذار المعرفة الكونية الصحيحة ومن ثم فقد ظلت روح مصر خالدة تنقل الحكمة العميقة والمعرفة الكونية إلى أجيال بعد أجيال. وفيها تجلت قوى ربانية فى علماء وحكماء وزعماء حتى إذا ما دار الفلك دورة خاصة «ابتدأت بالعقد اللولى الذى انتثر في آفاق السماوات يوم ٢ مايو ٢٠٠٠» عاد الوضع إلي أصله، لتعود مصر إلى ماكانت عليه فى بداية التاريخ البشرى، حيث تكون مرة أخرى مركزا للمعرفة وموئلا للحكمة، ومثابة للنور فى عالم عاجز عن الوصول إلى حقيق الحكمة الربانية وصميم المعرفة الكونية.

واتباعا لهذا الطريق، تركز الدراسة على بعض نقاط حكمة مصر، بأسلوب انتقائى غير اطرادى، لتخلص منه إلى أثره على الفكر البشرى، وقيمته فى الأحياء الإنسانى الجديد، الذى لابد أن يحدث فى عصر الدلو الذى صار فى قبة السماء.

أ) الخطوة الأولى فى طريق الحكمة هى إيقاظ الشعور الكامن وتنمية قوى الملاحظة، والتعرف على القيم الحقيقية والشعور بالمسئولية الكونية، وهذا

مما يمكن تلخيصه فى ضرورة تجربة الحياة، من خلال منهج واضح محدد، للفحص والتمييز والفهم والتقدير.

ب) الأرباب هى قوانين الطبيعة، وقد فسرها العالمون في مصر القديمة لتكون مفهومة للناس مقبولة منهم، فقدموها إليهم على قدر عقولهم ونوع فهومهم. ولكن هل الفرد قوة لتعديل قانون للطبيعة ؟ ربما كان المرء عاجزا عن الحكم، وعليه اتباع صوت قلبه «ضميره» ولسوف يقوده الصوت النقى نحو الحقيقة الكبرى.

ج) اسمع يا إنسان، سوف يأتى يوم تعرف فيه البشرية كيف تعبد الله الحق، وفى هذا اليوم لن يحتاج الناس إلى معابد وهياكل ولا إلى أساطير وتواليف، ترمز إلى عمل القوى الكونية ولا تماثيل ومقاصير تصور الحالات المتناثرة لتجلى القوى، ولن يكونوا فى حاجة إلى كتابات غامضة أو تراتيل متتابعة تشير إلى المعنى السرى للعلم الكونى. آنذاك سوف يصبح الناس جميعا، ولهم أعين يبصرون بها، وآذان يسمعون بها وبصائر للرؤية الشاملة النافذة.

د) إنهم يظنون أن المعبد «أو الهيكل» هو بيت الله، لكن قلب الإنسان هو البيت الحقيقى لله. ولابد من وضع تفرقة بين الفكرة والتعريف بها فهذا غير تلك.

هـ) يا إنسان اعرف نفسك فالمعرفة وعاء من الزجاج النقى الذى يمتلئ بالحكمة، وفى هذا النقاء ينعكس الكون بأسره ثم يتركز فى شعاع مفرده ثم يتساقط على سطوح الحيطان «أى الأشياء».

و) التعليم الحقيقى ليس مجرد تجميع للمعلومات إنما هو فى الأصل والأساس ايقاظ الشعور الذى يتعالى ويسمو درجا إثر درج، يفتح كل منها بابا بعد باب. حتى تتحقق الغاية فى الاكتمال.

ز) يا إنسان : لا تقل أنا خال من الخطايا ، فالاعتراف بالخطيئة أول طريق للتخلص منها والسمو عليها».

ح) الاعتقاد لا شيء. لأن الأدلة عليه مطلوبة وإلا كان الاعتقاد خاويا فارغا يمكن أن يملأه فكر مغلوط أو رأى مخلوط أى أن الاعتقاد بغير دليل واضح سليم هو اللاشيء بذاته. أو ما يعبر عنه في التعبير الدارج بالإيمان الأعمى غير البصير».

ط) لحسن المعرفة ينبغى أن تستثير في نفسك الفضول وحب الاستطلاع «بحيث لا يتوقف قط ولا ينتهى أبدا».

ى) حركة السماء تحكم وضع البشرية ومستقبل الإنسان. ومن ثم فإن الأصل أن يكون التاريخ والثقافة والعمل صورا لها. وسعادة المجتمع «المحلى والعالمى» أن يكون ما في السماء هو ما على الأرض. فعند ذلك يكون قد تحقق التوافق والتكامل الكونى.

ك) مصر هى صورة السماء. وبالأحرى «أو بمعنى آخر» إنها المجال الذى كان وطيطا ومسقطا لكل العمليات التى تحكم وتحرك القوى الكونية. وفى الحقيقة فإن مصر هى معبد العالم كله.

ل) الكتابة الهيروغليفية ، «بمعنى الكتابة المقدسة» تتكون من رموز تشير إلى معان كونية ومقادير إلهية، والمسطورة الدينية التى تطورت من العصور الأولى إلى آخر أيام مصر القديمة هى بدورها رمزية. ولكل رمز منها معنى داخلى «باطنى»، ولعل هذا يظهر بوضوح فى رموز مثل الحمل والثور والأسد والجدى والعقرب والنسر «القوس». وهكذا وعلى سبيل المثال فإن الربة «أو السيدة» «سفجت» تمثل عدد القوى الكونية المنشئة للكون، وهى سبع قوى «وعلى ما سلف من قبل فإنها تظهر فى ألوان الطيف السبعة والسبع مقامات الموسيقية، والسماوات السبع والأرضين السبع، وهكذا».

م) كان المصريون يقصدون أنفسهم عندما يقولون أنهم الناس أو ينطقون لفظ الناس، ولم يكن ذلك عن صلف منهم أو كبرياء ولكن لأنهم كانوا يقصدون باللفظ معنى العارفين للقوى الكونية التى يهيمن بها الإنسان على شخصيته الدنيا.

ن) كانت مدينة أون الأرضية لدي المصريين صورة من مدينة أون السماوية، كما كانت مصر صورة السماء.

س) العناصر الوراثية أمر يتعلق بالدم والجسد. لكنها لا تتصل على الإطلاق بالذات «التى تسمى تجاوزا بالروح». بل إن الذات «أو الروح تتخير من العناصر الوراثية ومن الظروف البيئية ومن الأوضاع الاجتماعية ما يلائمها وما يناسبها في تحقيق أغراضها واكتمال وجودها.

ع) تحقيق الأهداف الكونية يكون بتحرير المعانى من رموزها. والأفكار من حروفها والأرواح من أجسادها، والوقائع من ملابساتها.

ف) لآلاف السنين كان المصريون هم الشعب المختار ليكونوا شهداء للحكمة الكونية التى تعين الإنسانية وترقى بها وقد احتفظت مصر فى تكاملها بالعناصر الأساسية التى أودعت لديها منذ البداية. وهذا مما يؤكد أن مصر فى وقت آخر «قريب» سوف تكون من جديد مركزا كونيا للحكمة.

ص) يا إنسان : عليك أن توقظ ضميرك الفردى وأن ترابطه بالضمير الكونى. فهذا هو الذى يؤدى إلى أن تعرف وتملك سبيل الحق والعدل والاستقامة والنظام الفردى والكونى، وبهدوء وسلاسة والمعرفة الكونية وحدها هى التى تتجلى بها الألوهية فى الإنسان.

ق) المعرفة الكونية هى الشعور الواعى بالحقيقة، والحقيقة فى جماع القوانين التى تحكم الكون، وتضبط الأسباب التى تتدفق هذه القوانين منها.

ر) يا إنسان : عليك أن تعرف جيدا ذلك الفارق بين الظاهرة الطبيعية والظاهرة السحرية. والفارق بين العلاج الطبيعي والعلاج السحرى : فالظاهرة الطبيعية هى نتيجة لقوى طبيعية معروفة، أما الظاهرة السحرية فهى نتيجة لقوى أخرى لا يعرفها الناس بعد ولم تدخل ضمن القوى الطبيعية التى يدركونها لكنهم يمكن أن يكتشفوا أسسها ويتعرفوا على أسبابها فيما بعد، والقوانين التى تدخل فى نطاق القوى الطبيعية غير تلك التى تكون من مجال ما يسمى بالقوى السحرية. وهو ما يعنى أنه لما يسمى بالظواهر السحرية قوانين خاصة بها تختلف عن القوانين الفيزيائية.

ش) كان المصريون القدماء يجمعون بعض القوى في ثالوث مثل آمون ورع وبتاح، لكنهم كانوا يرون أن الثلاثة فى واحد[1]، أو هم واحد له مظاهر مختلفة[2]. لكن التثنيث كان مقصورا على الأرباب أو السادة. أما الله فكان يتجلى فى الكلمة التى تم بها الخلق «على حد التعبير القرآنى كن فيكون». وتشكيل الوجود، والخلاص للناس، لكنه لم يدخل فى ثالوث قط. فالكلمة هى التى تنطوى وتحتوى على قدرة الخلق والتشكيل والخلاص أو النجاة.

ومن جانب آخر فقد كانت الكلمة، هى الحكمة وهى الوحى والثلاث وظائف أو مظاهر «باليونانية أقانيم» فى واحد، أو هم واحد مثلها فى ذلك مثل الشمس، فهى فى قرص ظاهر. وعنها تصدر الحرارة منها يشع النور والثلاثة فى واحد[3].

ت) يقصد بالمعرفة الكونية ما يسبق التعليم العادى وهى تستشار ويشار إليها، بالوعى واليقظة والتنبيه ومن هذه القاعدة أخذ أفلاطون مقولته من أن العلم ، يقصد المعرفة ، ذكره وأن الجهل نسيان».

---

(١) أخذها منهم النصارى أى عقيدة التثليث .

(٢) عقيدة وحدج الوجود الكفرية التى أخذها منهم اليونان محيى الدين ابن عربى.

(٣) أخذها منهم النصارى .

أ) يرتبط كل من الخير والشر بمبدأ الثنائية ووضع الإزدواجية الذى هو صميم الكون المادى الفيزيقى، فلا يوجد فى هذا الكون خير مطلق أو شر مطلق، فى التعاليم المصرية، فإذا كان ثمت خير مطلق أو كان ثمت شر مطلق، ما أمكن أن يوجدا معا فى مجال واحد أو سبب مفرد، ذلك أن المطلق ينفى غيره، مع أنه من اللازم أن يوجد كل منهما وأن يوجدا معا. وإلا انتفى مبدأ الثنائية ووضع الإزدواجية، الذي يقوم عليه الكون المادى ويتأسس العالم المنظور.

فالخير والشر، كمتقابلين أو متناقضين ، يلزم أن يوجدا فى الطبيعة. ومن ثم فإنهما ليسا مطلقين، وإلا جب أحدهما الآخر أو انتفيا معا.

فكل من الخير والشر نسبى، وفقا للمفهوم المصرى الذي لا يضع تعريفا لشىء إلا فى نطاق تعريف لشىء آخر وبالذات فإنه لا يعرف وضعا أو معنى إلا فى نطاق تعريف عكسه وبيان نقيضه.

وبالنظر إلى الفرد، فإن اكتمال تحقيق ذاته، لابد أن يكون متصلا بأعضاء مملكة طبيعية، أو مرتبطا بالفردية الإنسانية عموما، بمعنى أن يكون الاكتمال الفردى فى واقع محقق. وليس مجرد صياغات لفظية أو إدعاءات كلامية.

ب ب) يعنى التصوف المصرى البحث عن وسيلة تحرير الذات من القواعد التقليدية والقيود المادية. والقصد من التصوف الفردى هو امتلاك شعور متكامل متعال داخل كيانه الذاتى «أو حقيقته المؤقتة» يتواصل مع كونيته الروحية بحيث يكون العقل والعواطف والطاقات مجرد وسائط مساعدة للتسامى فوق كل ما هو عادى وشخصى وقاصر. بدلا من الوقوع فى حبائلها والانحدار فى مهاويها.

ويعنى ذلك ببساطة أن التصوف فى جوهره هو امتداد الذات «أو الضمير» الكونى، ولا يكون صحيحا وفعالا إلا من خلال التجربة المباشرة والمعرفة الكلية الكونية.

ج ج) كل شئ مرتبط ومتداخل مع كل شيء آخر، ولا يمكن إدراك ذلك إلا من خلال الولوج ثم السير فى شريعة أوزير لأنه كسيد «رب» للطبيعة قدم الطريق الصحيح للتداخل فيها والتوافق معها.

وشريعة وزير «إدريس فى اللفظ القرآنى» تتلخص في تعبيرين الكل فى واحد ، والكل فى الكل.

د د) فى العالم المادى لا تظهر الحقائق عارية، لكنها تتشح بوشاح وتتغطى برداء، عادة ما لا يستطيع الشخص الدارج أن يدركه أو يستطيع نزعه أو يقدر على النفاذ إلى ما ورائه، لكن من لديهم معرفة مقدسة، ومن تدربوا على استيعاب الحقائق مهما كانت مرة أو صلبة أو غريبة يستطيعون تخطى الرمز إلى المرموز له، وعبور الإشارة إلى المشار إليه، وتجاوز الدلالة إلى المدلول عليه.

هذا وجيز، واف واضح، للمبادئ المصرية فى الحكمة الربانية والمعرفة الكونية يظهر منها بوضوح أن مصر كانت هى السباقة بحق فى وضع أصول هذه المعرفة وتلك الحكمة وهى التى نشرت إشعاعاتها فى كل أنحاء العالم وغرست مفاهيمها فى كل التراث الإنسانى.

ومن النظرة العلمية والمقارنة الموضوعية يتبين أن الآخرين ومنهم الإغريق والعبرانيون، أخذوا من مصر أشياء وتركوا فيها أشياء. ويلوح أن العلة في ذلك أن المصريين لم يكونوا يشرحون للغرباء كنه علومهم وأصل حكمتهم ومن ثم فقد فهم هؤلاء منها شيئا وغابت عنهم أشياء.

ومهما يكن من أمر فإن المقابلة والمقارنة بين الفكر المصرى القديم وكثير من الفكر الدينى الحالى تخلص فيما يلى :

١- مصر كانت تنظر دائما إلى الداخل الفردى والكونى، من خلال الضمير والقلب والذات، أما الفكر الدينى الغائب فهو يتعلق كثيرا بكل ما هو

خارجى، سواء كان ذلك فى القوانين والقواعد التى تحكم الشخص من الظاهر، أم فى فكرة التكفير عن الذنب أو الخطأ بذبيحة أو تقدمة، أو بأن يتحمل الكاهن وزر الشخص وذنبه وخطيئته، خلافا لما كان مقررا فى الفكر المصرى من أن فضيلة الرجل الصالح أفضل عند الله من أية ذبيحة.

٢- ويظهر الفصل الحاد فى التركيز المصرى على القلب وأنه هو بيت الله فى حين يقوم الفكر الدينى الغالب على وجود معبد أو مقام أو مزار يعتبر هو بيت الله عوضا عن القلب وبدلا من الضمير، والفارق بين الاتجاهين واضح ومؤكد وله تداعيات كثيرة وخطيرة أولها وأهمها أن يلتفت المرء عن نفسه لينتبه إلى أثر خارجى وأن لايعنى بتنقية قلبه، بل يهدف إلى تنظيف مكان معين، وأن لا يحكم على الأشخاص والأشياء فى جوهرها وإنما يغلب عليه صدور الحكم على الظواهر والصور والإدعاءات.

٣- فى مصر القديمة كان الفكر دون تعريف يعد لغوا بلا أى قيمة كما كان الرأى في غير مسألة محددة عبثا لا طائل وراءه. أما فى الفكر الدينى الشائع فقد وضعت أفكار كثيرة جنبا إلى جنب وصيغت كلمات وفيرة فى صفوف متراصة وإيقاعات مستمرة مما شتت الوجود الإنسانى وضيع العقل وبدد الفكر وجمد المعتقد فى صياغات وكلمات وروايات غالبا ماتكون متعاكسة أو متشاكسة لا تضع تعريفا ولا تحدد معنى.

وكانت نتيجة ذلك أن تحولت بعض المعتقدات إلى أن تصبح أيديولوجيات أساسها الشعارات الخاوية والعبارات الفارغة والاتجاهات الجامدة.

فهى من ثم شعارات إلى جوار شعارات أو عبارات إلى جانب عبارات أو كلمات إلى صف كلمات، بغير أى تعريف أو توصيف الأمر الذى يؤدى فى الأيديولوجيا عموما. وفى الدينية منها خصوصا، إلى شل الفكر وأسس العقل،

ومنع الفحص وقمع النقد فكل قول أو رأى أو نص أو حديث هو من المسلمات، مهما كانت متناقضة أو كانت متعارضة أو كانت متهاترة.

٤- فى حين حرصت مصر على المعرفة الكونية، وفرضت على كل فرد أن يسعى إليها بنفسه، فإن معتقدات كثيرة عنيت بالمعرفة الكهنوتية «أو الفقهية» وفرضت على كل فرد أن يأخذها من الغير دون نقاش. ويلاحظ أن الكهانة قد تكون بحكم الشىء أو تكون بحكم الواقع وفى الإسلام لاتوجد لدى السنة كهانة بحكم الشرع لكن ظروف الحياة السياسية أوجدتها بحكم الواقع أما لدي الشيعة فتوجد مرجعية دينية مما يعد كهانة بحكم الشرع.

٥- فى مصر القديمة ، كان الاعتقاد أن مدينة أون «شمال شرق القاهرة حالا» هى صورة أون السماوية، وهذه الفكرة نظمتها اليهودية لتشير بها إلى أورشليم السماوية وهو تعبير ورد بنصه فى سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى. كما أن بعض المسلمين يعتقدون أن الكعبة الشريفة فى مكة هى صورة من كعبة توجد فى السماء.

وفكرة وجود شىء أو شخص على الأرض مماثل لشىء أو شخص فى السماء هى «نظرية المثل» عند أفلاطون نقلها عن مصر ويقول بمقتضاها أن كل شىء أو شخص على الأرض مثل لآخر يوجد فى السماء فى عالم اسمه عالم المثل.

وكل هذه الأفكار هى تطبيق شائه للمبدأ المصرى «ما فى السماء يكون على الأرض»، وهو - علي ما سلف - ذات المبدأ الذي قدمه السيد المسيح فى الصلاة المسيحية بفهم صوفى هو طريق الفهم المصرى.

٦- اعتقد المصريون أنهم شعب الله المختار لتحصيل المعرفة الكونية وتفعيل الحكمة الربانية، وكان مقتضى هذا الفهم أن يكونوا مكلفين أفرادا

وجماعات بهذا التفعيل وذلك التحصيل ونشره فى كل الأنحاء ومده إلى كل الأرجاء وبثه فى كل إنسان وبعثه بأى إمكان.

وبهذا كانت مصر منشئة للفكر والمعرفة، ناشرة للحضارة والثقافة، داعية للسلام والأمان. ولم تتحول مصر إلى قوة حربية تؤسس الامبراطوريات وتسير بلاد الغير إلا بعد أن عانت الأمرين من الهكسوس «رعاة الماشية» فأدى طردهم من مصر إلى تغيير مؤقت فى رسالتها بسبب الدفاع عن النفس خلال الدولة الحديثة.

أما العبرانيون الذين نقلوا عن مصر فكرة شعب الله المختار فإنهم لم يقدموا سببا واحدا لهذا الاختيار. بل أن نصوص التوراة ذاتها تمتلىء بما يفيد غضب الإله عليهم وتخليه عنهم، وكانت هذه الفكرة الموهومة ومازالت سببا فى الاستكبار الفردى والاستعلاء القبلى، كما أنها كانت السبب فى أغلب ما حاق بهم من مكاره وإيذاء وما صدر عنهم من إضرار بالآخرين «الجوييم أى الأميين أو الأميين بالتعبير القرآنى». وقد دفعتهم الفكرة التى لا ترتبط بالمعرفية ولا تنبع من الكونية إلى إعلان الحروب على كل الشعوب، منذ أن خرجوا من مصر وحتى الآن، وهى حروب مادية ومعنوية ألحقت بهم وبالبشرية أضرارا بالغة.

وما حدث لدى العبرانيين من فكرة «شعب الله المختار» حدث لدى بعض المسلمين، وخاصة أرباب وأصحاب الأيديولوجيا أى الإسلام السياسى . فمن الآية «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» سورة آل عمران. اجتزا البعض القسم الأول، وصرفه فى ذات المصارف العبرانية .

ومن ثم أصابهم داء الاستعلاء على الآخرين وانتشر فيهم وباء الاستكبار على الأغيار، بل واتهموا من عداهم بالاستعلاء والاستكبار. وهو أمر معروف فى علم النفس بما يسمى الاسقاط ويحدث حين يسقط العليل نفسيا أو المريض

عقليا علته ومرضه وداءه وصفات على الآخرين وهو ما يعبر عنه المثل العربى حيث يقول «رمتنى بدائها وانسلت».

الخيار الوارد فى الآية القرآنية، من واقع النص وواضح التعبير، مشروط بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. ومن لا يأمر بغير المعروف أو يفعل المنكر ويبرره بالحق أو يسوغه بالعدل، لا يمكن أن يكون مختارا من الله قط يضاف إلى ذلك أن ثقات المفسرين المسلمين متفقون على أن المقصود من الآية هى الجماعة الإسلامية الأولى التى تحلقت حول النبى فى مكة، فهذه الجماعة هى الأمة، وهو لفظ من أصل عبرى يعنى القبيلة أو الجماعة.

أما الناس الذين أخرجت إليهم هذه الجماعة وخيرت عليهم، فهم أهل مكة آنذاك، فلقد كان لمكة أسماء عدة منها «الناسة» وكان أبناء مكة ينسبون إلى اسمها هذا فيقال إنهم الناس، وتاكيدا لهذا المعنى فإن الخطاب القرآنى فى التنزيل المكى كان يوجه دائما إلى الناس، لكنه تحول فى التنزيل المدنى ليغلب عليه التوجيه إلى المؤمنين.

٧- الخير والشر فى الفهم المصرى حلان نسبيان، ليس فيهما مطلق أبدا، وإلا أدى المطلق إلى نفى الآخ وانفراده بالساعة، فإما خير مطلق وهو مستحيل، وإما شر مطلق. وهذا هو الذى ينتهى إليه الواقع الذى لا يتلطف بالخير ولا ينضبط بالحق. ومن هذا المفهوم السديد فقد رأوا أن كل فعل وأى قول إنما يقدر فى سياقه ويفهم فى نطاقه.

وهو ما يتأدى إلى أن تكون المكانية والزمانية والتاريخية والنسبية أبعادا أساسية فى كل فعل وأى قول. لا يمكن الحكم عليه أو تقديره بعيدا عنها. وسوف يلى فيما بعد أن هذا المفهوم المصرى القديم كان من أهم الأسباب التى ألهمت البرت اينشتاين نظرية النسبية التى ربط فيها البعد الزمانى مع الأبعاد المكانية الثلاثة فوجد من ثم ما يسمى بالمكانية.

في أغلب الفكر الديني فإن الشر جاء إلي المرء من خارجه من خلال الحية أو الشيطان. ومن ثم فإن تقدير الأفعال والأقوال يتم وفقا لمعيار مطلق، فهي إما أن تكون خيرا محضا وإما أن تكون شرا مطلقا. وهذا المعيار المطلق يؤخذ من عبارات كهنوتية أو تفسيرات فقهية أو نصوص وقتية أو تعبيرات رمزية. لا يدخل في تقديره الظرف النسبي بما ينطوي عليه من حدودية المكان ووقتية الزمان وتاريخية الأشياء ونسبية الأشخاص والنصوص والمعايير. كما أنه لا يضع في مفهومه الفارق بين الرمز والرموز له أو الإشارة والمشار إليه.

٨- كانت اللغة المصرية والكتابية الهيروغليفية، لغة مقدسة وحروفا مقدسة. ذلك لأن الذي علمها للمصريين هو تحوت رسول الإله الأكبر إلى الناس «وهو مظهر من مظاهر الكلمة». هذا فضلا عن أن الحروف الهريوغليفية كانت تنطوي على معان داخلية أو باطنية، لا يعرفها إلا ألو العلم وذوو الحكمة. وقد قال العبرانيون ذلك عن لغتهم العبرية. مع أنهم كانوا في الأصل يتكلمون اللغة الكنعانية، وألواح الوصايا العشر التي قدمها إليهم موسى كانت مكتوبة بالحروف الهيروغليفية، لأن موسى لم يكن يعرف إلا اللغة المصرية القديمة التي ربي عليها ونشأ وترعرع وهو يتكلم بها. وقد نشأت اللغة العبرية في القرن التاسع قبل الميلاد، أي بعد موسى بأربعة قرون، ولم تصبح لغة تخاطب عادي إلا في القرن الثاني قبل الميلاد.

وجدير بالذكر في هذا الصدد أن اللغة العربية بشكلها الحالي. كملت قبل ميلاد النبي ﷺ بحوالي قرن من الزمان، وأنها كانت ذات لهجات متعددة جمعها النص القرآني الذي كتب أيام عثمان بن عفان، وسمي بالرسم «أي الكلم»العثماني.

هذه هي حكمة مصر، صدرت عن ضمير الكونية ونبعت من صميم الإنسانية، لتقدم الألوهية الصافية والكونية الصادقة والإنسانية الراقية.

ففيها، ولديها، أن الله هو الإله الأكبر أى الذي هو أكبر من أى رب آخر، واحد أحد ليست له صورة ولا شكل ولا هيئة وليس كمثله شيء أو شخص أو خلق وهو بلا شريك أو قرين أو رفيق، ومعه كانت ومنه فاضت الكلمة وهى لفظة باللغة المصرية القديمة تعنى الكلمة المتحركة الفعالة «مثلما هو الحال فى اللفظ اليونانى المقابل للكمة . والكلمة هى قوة الله الخلاقة «كن فيكون» .

كما أنها روح الله التى تبث الحياة فى كل شيء، وهى الحكمة التى تسرى فى ثنايا الأكوان والإنسان فتجعل لكل شيء معنى وتوجد التوافق والتناسق والتواثق بين قوى الكون جميعا ليكون الكل فى واحد والواحد فى الكل. وهى فى هيئة أو صورة أخرى الوحى الذى يوجد فى وعى أو طبع كل خلق فيوحى للحيوان والحشرات والزواحف وغيرها نظام عملها وأسلوب حياتها فيما يسمى بالغريزة بحيث تسير فى عملها وحياتها سيرا سليما محددا ليس فيه خطأ أو انحراف، على نحو ما جاء فى القرآن :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ﴾ [النحل].

كما توحى إلى الإنسان بالحق والعدل والاستقامة والنظام، وهى حقائق وطرائق لا يعرفها ولايصل إليها إلا القلب الصافى السليم والوعى النقى الخالص الذى يكون نتيجة ثم يكون سببا إلى المعرفة المقدسة والإيمان الصحيح التى بها وبها وحدها ينال المرء الخلاص من شوائب الماديات وضوارى الجهالات وتدنى السفالات.

هذه الحكمة التى هى صميم الرسالة المصرية ضاعت وتاهت وبادت حين تحولت بعض المعتقدات إلى أن تكون عمل المؤسسات أو تصير محض أيديولوجيات، فانتهت بالبشرية إلى الضلال والضياع والهلاك.

من أسرار الأهرام[1]

قال (ابن عبد الحكم) فى «فتوح مصر» : فى زمان شداد بن عاد بُنيت الأهرام كما ذُكر عن بعض المحدثين ، قال : ولم أجد عند أحد من أهل المعرفة من أهل مصر فى الأهرام خبراً يثبت .

وفى ذلك يقول الشاعر :

حسرت عقول أولى النهى الأهرام واستصغرت لعظميها الأحلام

ملس منيفة البناء شواهق قصرت لعال دونهن سهام

لم أدر حين كبا التفكر دونها واستوهمت لعجيبها الأوهام

أقبور أملاك الأعاجم هن أم طلسم رمل كن أم أعلام

قال : وما أحسب الأهرام بُنيت إلا قبل الطوفان ، لأنها لو بُنيت بعد الطوفان لكان علمها عند الناس.

وقال جماعة من أهل التاريخ : الذى بنى الأهرام سوريد بن سليوق ملك مصر ، وكان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة ، وسبب ذلك أنه رأى فى منامه كأن الأرض انقلبت بأهلها ، وكأن الناس هاربون على وجوههم ، وكأن الكواكب تساقطت ويصدم بعضها بعضاً بأصوات هائلة، فأغمّه ذلك وكتمه .

ثم رأى بعد ذلك كأن الكواكب الثابتة نزلت إلى الأرض فى صور طيور بيض، وكأنها تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين ، وكأن الجبلين أنطبقا عليهم، وكأن الكواكب النيِّرة مظلمة، فانتبه مذعوراً، فجمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر - وكانوا مائة وثلاثين كاهناً وكبيرهم يقال له (أفسليمون) - فقص عليهم ، فأخذوا ارتفاع الكواكب ، وبالغوا فى استقصاء ذلك ، فأخبروا

---

(١) هذا الفصل من كتاب تحفة الكرام بخبر الأهرام للسيوطى .

بأمر الطوفان ، قال : أو يلحق بلادنا ؟ قالوا : نعم ، وتخرب وتبقى عدة سنين ، فأمر عند ذلك بعمل الأهرام، وأمر أن يجعل لها مسارب يدخل منها النيل إلى مكان بعينه، ثم يفيض إلى مواضع من «أرض الغرب» وأرض الصعيد وملأها طلسمات وعجائب وأموالاً وخزائن وغير ذلك .

وزبر فيها جميع ما قالته الحكماء، وجميع العلوم الغامضة وأسماء العقاقير ومنافعها ومضارها، وعلم الطلسمات والحساب والهندسة والطب ، وكل ذلك مفسر لمن يعرف كتابتهم ولغاتهم، ولما أمر ببنائها قطعوا الاسطوانات العظام والبلاطات الهائلة، وأحضروا الصخر من ناحية أسوان فبنى بها أساس الأهرام الثلاثة وشيدها بالرصاص والحديد والصفر.

وجعل أبوابها تحت الأرض بأربعين ذراعاً ، وجعل ارتفاع كل واحد مائة ذراع بالملكى : وهو خمسمائة ذراع بذراعنا الآن وجعل ضلع كل واحدة من جميع جهاتها مائة ذراع بالملكى أيضاً .

وكان ابتداء بنيانها فى طالع سعيد، فلما فرغ منها كساها ديباجاً ملونا من فوق إلى أسفل، وعمل لها عيداً حضره أهل مملكته كلهم، ثم عمل فى الهرم الغربى ثلاثين مخزناً مملوءًا بالأموال الجمّة والآلات والتماثيل المعمولة من الجواهر النفيسة ، وآلات الحديد الفاخر، والسلاح الذى لا يصدأ، والزجاج الذى ينطوى ولا ينكسر، والطلسمات الغريبة، وأصناف العقاقير المفردة والمؤلفة والسموم القاتلة وغير ذلك .

وعمل فى الهرم الشرقى أصناف القباب الفلكية والكواكب، وما عمل أجداده من التماثيل والدخن التى يتقرب بها إليها ومصاحفها، وجعل فى الهرم الملون أخبار الكهنة فى توابيت من صوان أسود، ومع كل كاهن مصحفه فيه عجائب صنعته وعمله وسيرته وما عمل فى وقته، وما كان يكون من أول الزمان إلى آخره.

وجعل لكل هرم خازنا ، فخازن الهرم الغربى صنم من حجر صوّان واقف ومعه شبه حربة وعلى رأسه حيّة مطوّقة، من قرب إليه وثبت إليه من ناحية قصده، وطوّقت على عنقه فتقتله ثم تعود إلى مكانها.

وجعل خازن الهرم الشرقى صنماً من جزع أسود «مجزع بأسود وأبيض» وله عينان مفتوحتان براقتان ، وهو جالس على كرسى ومعه شبه حربة.

وإذا نظر إليه ناظر سمع من جهته صوتاً يُفزع قلبه ، فيخر على وجهه ولا يبرح حتى يموت، وجعل خازن الهرم الملون صنما من حجر البهت على قاعدة منه، من نظر إليه اجتذبه الصنم حتى يلتصق به ولا يفارقه حتى يموت .

وذكر القبط فى كتبهم : أن عليها كتابة منقوشة تفسيرها بالعربية : أنا سوريد الملك ، بنيت الأهرام فى وقت كذا وكذا ، وأتممت بناءها فى ست سنين ، فمن أتى بعدى وزعم أنه مثلى فليهدمها فى ستمائة سنة ، وقد علم أن الهدم أيسر من البناء ، وأنى كسوتها بعد فراغها بالديباج فليكسها بالحصر.

ولما دخل الخليفة المأمون مصر ورأى الأهرام ، أحب أن يعلم ما فيها فأراد فتحها ، فقيل له : إنك لا تقدر على ذلك ، فقال : لابد من فتح شئ منها ، ففتح الثلمة المفتوحة الآن بنار توقد وخل يرش وحدادين يسقون الحديد ويحدونه ومناجيق ترمى بها، وأنفق عليها مالاً عظيماً حتى انفتحت، فوجد عرض الحائط عشرين ذراعاً، فلما انتهوا إلى آخر الحائط وجدوا خلف النقب مطهرة من زبرجد أخضر، فيها ألف دينار وزن كل دينار أوقية من أواقينا، فتعجبوا من ذلك ولم يعرفوا معناه .

فقال المأمون : ارفعوا إلىّ حساب ما أنفقتم على فتحها، فرفعوه فإذا هو قدر الذى وجدوه لا يزيد ولا ينقص، ووجدوا داخله بئراً مربعة، فى تربيعها أربعة أبواب يفضى منها كل باب بيت فيه أموات بأكفانهم .

ووجدوا فى رأس الهرم بيتاً فيه حوض من الصخر فيه صنم كالآدمى من الدهنج (جوهر كالزمرد) ، وفى وسطه إنسان عليه درع من ذهب مرصع من الجواهر، وعلى صدره سيف لا قيمة له، وعند رأسه حجر ياقوت كالبيضة، ضوؤه كضوء النهار، وعليه كتابة (لم توجد فى الدنيا، لم يعلم ما هو)، ولما فتحه المأمون أقام الناس سنين يدخلونه وينزلون فيه من الزلاقة التى منه، فمنهم من يسلم ومنهم من يموت .

وقال «صاحب مرآة الزمان» : من عجائب مصر الهرمان، وسمك كل واحد منهما خمسمائة ذراع فى ارتفاع مثلها، وكلما ارتفع البناء دار رسمهما حتى يصير مثل مفرش حصير، وهما من المرمر وعليهما جميع الأقلام السبعة: اليونانية، والعبرانية، والسريانية، والسندية، والحميرية، والرومية، والفارسية.

قال : وحكى جدّى عن ابن المنادى فى المنتظم أنه قال : حسبوا خراج الدنيا مراراً فلم يف بهدمهما .

قال «صاحب المرآة» : هذا وهم، فإن صلاح الدين «يوسف بن أيوب» أمر أن يؤخذ منها حجارة يبنى بها قنطرة وجسراً، فهدموا منها شيئا كثيراً. قال : وحكى لى من دخل الهرم المفتوح : أنه وجد فيه قبراً، وأن فيه مهالك، وربما خرج الإنسان فى سراديب إلى الفيوم، قال : والظاهر أنها قبور الملوك الأوائل، وعليها أسماؤهم وأسرار الفلك والسحر وغير ذلك .

قال : واختلفوا فيمن بنى الأهرام، فقيل : يوسف، وقيل : نمرود ، وقيل : دلوكه الملكة، وقيل : بناها القبط قبل الطوفان، وكانوا يرون أنه كائن فبنوها فنقلوا أموالهم وذخائرهم إليها ، فما أغنى عنهم شيئا .

وحكى بعض شيوخ مصر : أن من يعرف لسان اليونان حلّ بعض الأقلام التى عليها ، فإذا هى : «بناء هذان الهرمان والنسر الواقع فى السرطان»، قال :

ومن ذلك الوقت إلى زمان نبينا «محمد» ﷺ ست وثلاثون ألف سنة، وقيل : اثنتان وسبعون ألفاً، وقيل : إن القلم الذى عليها تاريخه قبل بناء مصر بأربعة آلاف سنة ولا يعرفه أحد .

وقال : لما ملك أحمد بن طولون مصر، حفر على أبواب الهرم، فوجدوا فى الحفرة قطعة مرجان مكتوبا عليها سطوراً باليونانى، فأحضر من يعرف ذلك القلم فإذا هى أبيات شعر، فترجمت وكان منها :

أنا بانى الأهـرام فى مصر كلها   ومالكهـا قدمـاً بهـا والمقـدّم

تركت بها آثـار علمـى وحكمـتى   على الدهـر لا تبلـى ولا تتثلـم

وفيهـا كنـوز جمـة وعجائـب   وللدهـر لـين مـرة وتهجـم

وفيهـا علومـى كلهـا غير أننـى   أرى قبـل هـذا أن أموت فتعلّـم

ستفتـح أقفـالى وتبـدو عجـائبـى   وفى ليلة فى آخر الدهـر تنجـم

ثمـان وتسـع واثنتـان وأربـع   وسبعون من بعـد المئتـين تسـلم

ومن بعد هذا آخر تسعين برهـة   وتلقـى البرابـى تستحـر وتهـدم

تدبر مقالى فى صخور قطعتـها   بسيفـى وأفـنى قبلهـا ثم تُعدم

فجمع أحمد بن طولون الحكماء وأمرهم بحساب هذه المدة ، فلم يقدروا على تحقيق ذلك فيئس من فتحها .

وقال صاحب «مناهج الفكر» : ومن المبانى التى يبلى الزمان ولا تبلى، وتدرس معالمه وأخبارها لا تدرس ولا تبلى : الأهرام التى بأعمال مصر، وهى أهرام أعظمها الهرمان اللذان بجيزة مصر، ويقال : إن بانيهما سوريد بن سلهوف بن شرياق بناهما قبل الطوفان، لرؤيا رآها فقصها على الكهنة، فنظروا فيما تدل عليه الكواكب النيرة من أحداث تحدث فى العالم، وأقاموا مراكزها فى

وقت المسيلة، فدلت على أنها نازلة من السماء، وتحيط بوجه الأرض، فأمر حينئذ ببناء البرابى والأهرام العظام، وصور فيها صور الكواكب ودرجها، ومالها من الأعمال والأسرار والطبائع والنواميس وعمل الصنعة .

ويقال : إن هرمس المثلث الموصوف بالحكمة ـ وهو الذى تسميه العبرانيون أخنخ وهو إدريس عليه السلام ـ استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان يوجد، فأمر ببناء الأهرام وإيداعها الأموال وصحائف العلوم، وما يخاف عليه من الذهاب والدثور.

وكل هرم منها مربع القاعدة مخروط الشكل، ارتفاع عموده ثلثمائة ذراعاً وستون ذراعاً، (يحيط به أربعة سطوح متساويات الأضلاع، كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعا)، ويرتفع إلى أن يكون سطحه مقدار ستة أذرع فى مثلها.

ويقال : إنه كان عليه حجر المكبة، فرمته الرياح العواصف ، وهو مع هذا العظم من إحكام الصنعة وإتقان الهندسة وحسن التقدير بحيث إنه لم يتأثر إلى الآن بعصف الرياح وهطل السحاب وزعزعت الزلازل .

وهذا البناء ليس بين حجارته ملاط إلا ما يتخيل أنه ثوب أبيض فرش بين حجرين أو ورقة ولا يتخلل بينهما الشعرة ، وطول الحجر منها خمسة أذرع فى سمك ذراعين ويقال : إن بانيها جعل لهما أبوابا على أزاج مبنية بالحجارة فى الأرض، طول كل أزج منها عشرون ذراعاً، وكل باب من حجر واحد يدور بلولب إذا أطبق لم يعلم أنه باب ، يدخل من كل باب منها إلى سبعة بيوت، كل بيت منها على اسم كوكب من الكواكب وكلها مقفلة بأقفال واحدة فى كل بيت صنم من ذهب مجوف، احدى يديه على فيه وفى وجهه كتابه بالمسندية، إذا قرئت انفتح فوه، فيؤخذ منه مفتاح ذلك القفل فيفتح به .

والقبط تزعم أنهما والهرم الصغير الملون قبور، فالهرم الشرقى فيه سوريد الملك، وفى الهرم أخوه هرجيب ، والهرم الملون فيه أفربيون بن هرجيب.

والصابئة تزعم أن أحدهما قبر «شيث» والآخر قبر «موسى» عليهما الصلاة والسلام، والملون قبر صاب بن هرمس وإليه تنسب الصابئة، وهم يحجون إليها ويذبحون عندها الديكة والعجول السود ويبخرون بدخن .

ولما فتحه المأمون فتح إلى زلاقة منقبة من الحجر الصوان الأسود، الذى لا يعمل فيه الحديد، بين حاجزين ملتصقين بالحائط قد نقر فى الزلاقة حفر يتمسك الصاعد بتلك الحفر، ويستعين بها على المشى فى الزلاقة لئلا يزلق، وأسفل الزلاقة بئر عظيمة بعيدة القعر.

ويقال : إن أسفل البئر أبواب يدخل منها إلى مواضع كثيرة وبيوت ومخادع وعجائب، وانتهت بهم الزلاقة إلى موضع مربع فى وسطه حوض من حجر جلمد مغطى، فلما كشف عنه غطاؤه ولم يوجد فيه إلا رمة بالية .

وقال «ابن فضل الله فى المسالك» : قد أكثر الناس القول فى سبب بناء الأهرام، فقيل : هياكل للكواكب، وقيل : قبور ومستودع مال وكتب، وقيل : ملجأ من الطوفان، قال : وهو أبعد ما قيل فيها لأنها ليست شبيهة المساكن، قال : وقد كانت الصابئة تأتى فتحج الواحد وتزور الآخر، ولا تبلغ به مبلغ الأول فى التعظيم.

قال : وأما أبو الهول فهو صنم بقرب الهرم الكبير فى وهدة منخفضة، وعنقه أشبه شئ برأس راهب حبشى، على وجهه صباغ أحمر لم يحل على طول الزمان ، يقال : إنه طلسم يمنع الرمل عن المزارع، قال : وسجن يوسف شمالى الأهرام على بعد منه فى ذيل خرجه من الجبل فى طرف الحاجر.

قال صاحب «مناهج الفكر» : وبدهشور من أعمال الجيزة أهرام، بناها

شداد بن عاد بن النون بن سيرين بن قفطيم بن مصرايم بانى مصر، وقال بعضهم : ذكر عبد الله بن سراقة أنه لما نزلت العماليق مصر حين أخرجتها جرهم من مكة نزلت مصر ، فبنت الأهرام واتخذت بها المصانع ، وبنت بها العجائب ، فلم تزل بمصر حتى أخرجها مالك بن ذرع الخزاعى .

وقال سعيد بن عفير : لم تزل مشايخ مصر يقولون إن الأهرام بناها شداد، وكانوا يقولون بالرجعة ، وكان أحدهم إذا مات دفن معه ماله كله ، وإن كان صانعاً دفنت معه آلته ، وقال «محمد بن عبد الله بن الحكم» : كان من وراء الأهرام إلى الغرب أربعمائة مدينة من مصر إلى الغرب فى غربى الأهرام.

وقال «ابن المتوج» فى كتابه : من عجائب مصر ما بجانبها الغربى من البنيان المعروف بالأهرام، وعددها ثمانية عشر هرماً منها ثلاثة بالجيزة مقابل الفسطاط، ولما فتح المأمون أحدها انتهى إلى حوض مغطى بلوح من رخام مملوء من ذهب، واللوح مكتوب فيه أسطر.

فطلب من يقرؤها ، فإذا فيه : «إنا عمرنا هذا الهرم فى ألف يوم، وأبحنا لمن يهدمه فى ألفى يوم، والهدم أسهل من العمارة، وجعلنا فى كل جهة من جهاته من المال بقدر ما يصرف على الوصول إليه لا يزيد ولا ينقص».

وعند مدينة فرعون يوسف هرم أخر، دوره ثلاثة آلاف ذراع، وعلوه سبعمائة ذراع، وعند مدينة فرعون موسى أهرام أخر، وأحدها هرم يعرف بهرم ميدوم ، كأنه جبل وهو خمس طبقات ، والطبقة العليا كأنها قلعة على جبل.

وقال «الزمخشرى» : الهرمان بالجيزة على فرسخين من الفسطاط ، كل واحد أربعمائة ذراع عرضاً، والأساس زائد على جريب مبنى بالحجارة المرمر، فهى منقولة من مسافة أربعين فرسخاً من موضع يعرف بذات الحمام فوق الإسكندرية، ولا يزالان منخرطان فى الهواء حتى يرجع دورهما إلى مقدار

خمسة أشبار فى خمسة وليس على وجه الأرض بناء أرفع منهما مقور فيها بالمسند كل سحر وطلسم وطلب، وفيه: «إنى بنيتهما فمن ادعى هدمهما فليهدمهما» فإذا خراج الأرض لا يفى بهدمهما ، وقالوا : لا يعرف من بناهما .

وقال «المسعودى» : طول كل واحد وعرضه أربعمائة ذراع وأساسهما فى الأرض مثل طولهما فى العلو ، وكل هرم منهما سبعة بيوت على عدد السبعة كواكب السيارة ، كل بيت منها باسم كوكب ورسمه.

وجعل فى جانب كل بيت منها صنماً من ذهب مجوف، واحدى يديه موضوعه على فيه، وفي جبهته كتابة كاهنية إذا قُرئت فتح فاه وخرج منه مفتاح ذلك القفل، ولتلك الأصنام قرابين وبخورات ولها أرواح موكلة بها، مسخرة بحفظ تلك البيوت والأصنام وما فيها من التماثيل والعلوم والعجائب والجواهر والأموال، وكل هرم فيه ملك فى ناووس من الحجارة مطبق عليه ومعه صحيفة فيها اسمه وحكمه، وطلسم عليه : لا يصل إليه أحد إلا فى الوقت المحدود .

وذكر بعضهم : أن فيها مجارى الماء يجرى فيها النيل، وأن فيها مطامير تسع من الماء بقدرها، وأن فيها مكاناً ينفذ إلى بحر الفيوم، وهى مسيرة يومين. ودخل جماعة فى أيام أحمد بن طولون الهرم الكبير، فوجدوا فى أحد بيوته جاماً من زجاج غريب اللون والتكوين .

فحين خرجوا فقدوا منهم واحداً، فدخلوا فى طلبه فخرج إليهم عرياناً وهو يضحك، وقال : لا تتعبوا فى طلبى، ورجع هارباً إلى داخل الهرم، فعلموا أن الجن استهوته وشاع أمرهم، فبلغ ذلك ابن طولون فمنع الناس من الدخول، وأخذ منهم الجام فملأه ماء ووزنه ثم صب ذلك الماء ووزنه، فكان وزنه ملآنا كوزنه وهو فارغ .

وقيل : إن الروحانى الموكل بالهرم البحرى فى صفة امرأة عريانة مكشوفة

الفرج ، ولها نوائب إلى الأرض، وقد رآها جماعة تدور حول الهرم وقت القائلة، والموكل بالهرم الذى إلى جانبه فى صورة غلام أصفر أمرد عريان، وقد رؤى بعد المغرب يدور حول الهرم، والموكل بالثالث فى صورة شيخ فى يده مبخرة وعليه ثياب الرهبان، وقد رؤى يدور ليلا حول الهرم، حكى ذلك صاحب «مرآة الزمان».

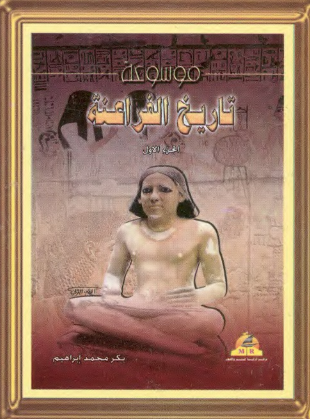
قال القاضى الفاضل : الهرمان فرقدا الأرض، وكل شئ يُخشى عليه من الدهر إلا الهرمان فإنه يُخشى على الدهر منهما .

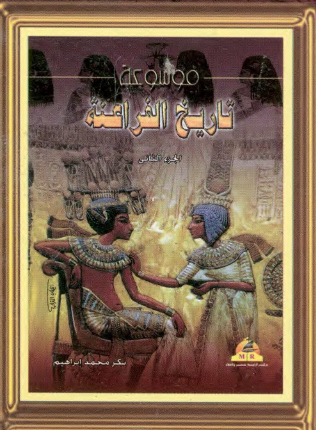
الفهرس

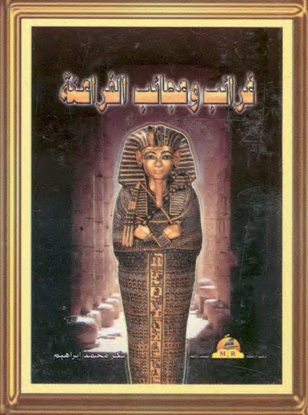
تابع الفهرس

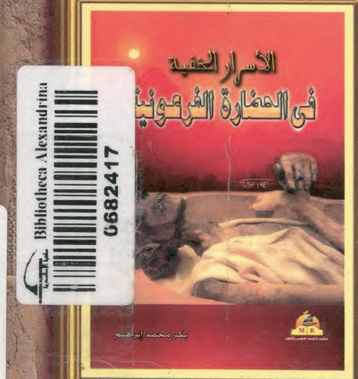
تابع الفهرس

تابع الفهرس









الناشر
مركز الراية للنشر والإعلام ٣٠ ميدان الحسين - مكتبة فكرى - القاهرة
ت: 5926219 ـ فاكس: 7870906 بريد إليكترونى: alraya93@hotmail.com